أول الغيث
في
تفسير سورة الفاتحة والجزء الأول
من سورة البقرة

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٨/٣/٩٣٣)

اسم الكتاب: "أول الغيث في تفسير سورة الفاتحة والجزء الأول من سورة البقرة.
إعـــــداد: سمر محمد حاووط._عمان: دار المأمون للنشر، ٢٠٠٨.
(٣٤٩) ص
ر.أ: (٢٠٠٨/٣/٩٣٣).
الواصفات:/سور القرآن// الآيات القرآنية// التفاسير/

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية



دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail: daralmamoun@maktoob.com

العدد الأول:

أول الغيث

في

تفسير سورة الفاتحة والجزء الأول

من سورة البقرة

تأليف

سمر محمد حاووط

راجعه

الدكتور أحمد سليمان الرقب

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

المُقدّمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، وجعله مفازةً للناس فمن تمسّك بمنهجه اهتدى ونجا، وأفضلُ الصلاةِ وأتمُّ السلام على نبيّنا محمدٍ مصباح الدُّجى، وعلى آله وصحبه أولي النُّهى والحجا.. أمّا بعد:

فَنُثْني عليه سبحانه وتعالى إقراراً بِمَنِّهِ وإجلالاً لقدْره، ونُعطّرُ الكتاب بذكره، مَنْ أسبغَ علينا آلاءه، وأوسعَ لنا نعماءَه، مَنْ لا يفي بحقِّ شُكره لسانٌ ولا بنان، ولا عملٌ ولا خَفْقُ جَنان..

لقد تكفَّل الله عزَّ وجلَّ بحفظ كتابه الكريم، وقيَّض سبحانه لهذا الكتاب عبر العصور مَنْ يُعنى به، ويُعلّمه للناس إلى قيام السَّاعة، فإنَّ العنايةَ بكتاب الله من سائر وجوهها من أجلّ ما يقوم به المُسلم، وهو ما فعلهُ الدَّارسُونَ على اختلاف طبقاتهم وعلومهم، فلا يُعرَف كتابٌ في العالم منذ بدء الخليقة، إلى يومنا هذا، وإلى قيام السّاعة، نال من العناية والدّرس والاهتمام كما نالَ هذا القرآن العظيم؛ لأنَّ خدمتهُ عبادة، والقيام بشأنه قيامٌ بحقّ الألوهيّة، وما أعظم أن يحيا الإنسان مع كلام الله عزَّ وجلَّ، وفي ظلاله المباركة، ولكنَّ الاستفادة الحقَّة من هذا الكتاب الكريم تكون بدوام الصلة به عملاً وعلماً، تلاوة وتدبُراً وفهماً: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص:٢٩].

ومن سبل ذلك التدبُّر والفهم: النظر فيما كتب أهل العلم في تفسير القرآن العظيم، فإنَّ من كمال حفظ الله عزَّ وجلَّ لهذا الذكر الحكيم أن قيَّض له جهابذةً فهموا مراد الله عن الله وعن رسوله ﷺ فألفُوا في ذلك كُتُباً بسطوا فيها ألفاظ القرآن، وأبانوا ما يعسُر فهمه، وفصَّلوا ما جاء فيه من القواعد والكليّات، ودفعوا التعارضات المُتوهمة، وعيّنوا المعاني المُرادة إذا احتمل الكلام أوجهاً متعدّدة، وكانوا طرائق قَدداً في عنايتهم بهذا الكتاب العظيم.

ولقد مَنَّ الله عليَّ بالكتابة في التفسير.. بعد أن كان كتابي الأول "صنعةُ التميُّز والإبداع" رسالةً منّي إلى معلم القرآن، ويتطلّع إلى أن يتعبَّد المعلمُ اللهَ تعالى بعمله، وذلك بإتقانه وأدائه على أحسن وجه؛ فتعليم كتاب الله العظيم حياة ينبغي أن يُتفاعل معها من جميع جوانبها، والإتقان خَصلةٌ ينبغي أن يتحلّى بها كل مسلمٍ مع كل عملٍ يُؤديّه، فكيف بمَنْ حمل أمانة تعليم القرآن الكريم؟! ويتخلّل ذلك ان يوسّع المعلم دائرة أهدافه، فيَدأبَ على تعبيد طُلابِهِ لله تعالى وحده، ويحرصَ على تخريج عاملين بالقرآن الكريم مُتَخلّقِينَ به، بإذن الله تعالى.

وها هو كتابي الثاني.. "أولُّ الغيث" الذي هو ثمرة من ثمرات ما عايشتُهُ في دورة العلوم الشرعيّة في مركز (النور)، وما لاقيتُهُ من تشجيع وتحفيز من الدكتور الفاضل أحمد الرقب حفظه الله تعالى وجزاه عنّي خير الجزاء، الذي قدَّم لي نوراً من فِكْرَة لإنجاح هذا الكتاب، فهذا جُهدُ المُقِلّ، والمرءُ قليلٌ بنفسه كثيرٌ بإخوانه.

ولقد صُغت كتابي هذا بعد إيضاح المعاني كما يراها سيد قطب وابن كثير ومحمد حسنين مخلوف والعلاّمة السعدي، صغتُه على نمط أسئلة وأجوبة سهلة، مُختصرة، ميسَّرة، واضحة الإشارة، كي يسهُل على الطالب استحضارها واستيعابها وتلخيصها، بعباراتٍ قريبة لا خفَاء فيها ولا غموض، بعد إيضاح المعنى المقصود من الآية، دون إطالة أو استطراد، أو حكاية أقوال تخرج عن المقصود، وذكرتُ بعض أنواع الإعراب الذي يتوقَّف عليه المعنى، كما ذكرتُ بعض المعاني التي يراها الراغب الأصفهاني في "مفرداته" عسى الله العليّ القدير أن يفتح عليّ من أبواب رحمته، ويوفقني للصواب، ويكتب لي الأجر، ولعلمي الانتشار والذيوع.. ويكرمني بالقبول.. وينفع به كل من قرأ كتابي هذا..

ولا يفوتُني أن أُزجي الشكر إلى أبويَّ الحبيبين، إلى زوجي العزيز، إلى شيوخي ومعلّماتي وأساتذتي المُوَقَّرين أصحاب الفضل، إلى جمعيتي الحبيبة جمعيّة المحافظة على القرآن الكريم، إلى جميع أخواتي في الله، إلى كل منْ كان له سهمٌ في تعليمي حرفاً من كتاب الله، إلى الأخوات الفاضلات في مركز المنار القرآني اللواتي رَفَدْن عملي هذا، إلى كل طالباتي، جزاهم الله عني خير الجزاء وأجزل لهم الثواب والعطاء.. ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

وآخر دعوانا ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

سمر حاووط
ربيع الثاني (١٤٢٨ هـ)
أيار (٢٠٠٧م)

مُقدّمات في علم التفسير

التفسير:

لغةً: الفَسْر: البيان. فَسَرْتُ الكتابَ أُفْسِرُه فَسْراً. وفَسَّرْتُ أفَسِّره تفسيراً.

وقيل: هو مقلوب من السَّفَر والمعنى واحد، أسفر الصبح إذا أضاء.. ففيه معنى الكشف والتوضيح.

اصطلاحاً: قال الزركشي في "البرهان": هو: علمٌ يُفهم به كتاب الله المُنَزَّل على نبيّه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمِهِ، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان، وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ.

التأويل:

لغةً: أصله من الأوْل: وهو الرجوع.

اصطلاحاً: طائفة من العلماء عرَّفوه بما عرَّفوا به التفسير. وذهبت طائفة إلى أن هناك فرقاً بين التفسير والتأويل. قال الراغب الأصفهاني في "مفرداته": التفسير أعمّ من التأويل، والتأويل أخصّ، وأكثر استعمالات التفسير في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجُمل، وأكثر ما يُستعمل في الكتب الإلهية، أما التفسير فيُستعمل فيها وفي غيرها.

الحاجة إلى علم التفسير:

علم تفسير القرآن من العلوم المهمّة التي يجب على الأمّة تعلّمها، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾[محمد:٢٤]، وقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص:٢٩]، وتدبّر القرآن هو فهمٌ معانيه بمعرفة تفسيره، وهذا فرض كفاية على الأمّة؛ إذا قام به أهل العلم المُتأهلون له من الأمة الإسلاميّة سقط عن الباقين.

والله سبحانه إنّما يخاطب كل قومٍ بما يفهمونهُ، ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه، وأنزل كتابه بلغتهم. وقد نزل القرآن بلسانٍ عربيّ مبين في وقتٍ بلغ فيه العرب الغاية في الفصاحة والبلاغة، وكانوا يفهمون ظواهره وأحكامه، وأمّا دقائق معانيه وحقائق تأويله فإنّما كان يظهر لهم بعد البحث، والنظر، والتأمل، وما كان يخفى عليهم منه أو يشكل كانوا يسألون النبي ﷺ عنه؛ فعندما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢] فزعوا إلى النبي، وقالوا: وأيُّنا لم يظلم؟ فبيَّن لهم: أن المراد بالظلم الشرك، واستدلّ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]. وقد بين لهم النبي معاني القرآن، كما بينّ لهم ألفاظه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤] فمن ثمّ حفظوا ألفاظه، وفهموا معانيه، وفقِهوا أحكامه. قال أبو عبد الرحمن السلمي [هو عبد الله بن حبيب بن رُبَيّعة الكوفي التابعي الجليل]: حدّثنا الذين كانوا يُقْرِئُوننا القرآن كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، أنهم كانوا إذا تعلّموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن، والعلم، والعمل جميعاً. إذن كانوا يجمعون إلى الحفظ: العلم، والعمل. لذلك أقام ابن عمر رضي الله عنهما على حفظ البقرة ثمان سنوات (أخرجه مالك في الموطأ)، وروي عن أنس قال: كان الرجل منّا إذا قرأ البقرة وآل عمران جدَّ في أعيننا - أي عظُم وجَلّ- (رواه أحمد في مسنده).

التفسير من أشرف العلوم:

لأن الشيء إنّما يشرف:
١. إمّا بشرف موضوعه.
٢. وإمّا من جهة غايته والغرض منه.
٣. وإمّا من جهة الحاجة إليه.

وموضوع علم التفسير: هو كلام الله. وكلام الله هو أشرف الكلام وأصدقه، وهو أصل الدين.

وغايتـه: الاعتصـام بـالعروة الـوثقى، والوصـول إلـى السـعادتين الدنيويّـة والأخرويّة..

والحاجة إليـه: كل كمال دينـي ودُنيوي عاجل أم آجل مفتقر إلـى العلوم الشرعية، والمعارف الديّنية متوقّفة على العلم بكتاب الله.

العلوم التي لا بُدّ منها للمُفسِّر:

١. **اللغة**: لأن بها يُعرف مفردات الألفاظ وشرحها ومدلولاتها: قال مجاهد: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عارفاً بلغات العرب". والمُراد العلم الواسع باللغة والمُتعمّق.

٢. **النحو**: أخرج أبو عبيد عن الحسن البصري: أنه سُئل عن الرجل يتعلّم العربية يلتمس بها حُسن المنطق، ويُقيم بها قراءته؟ فقال: "حسن، فتعلّمها؛ فإن الرجل يقرأ الآية فيعي بوجهها فيهلك فيها"؛ لأن المعنى يختلف باختلاف الإعراب.

٣. **التصريف**: لأنه به تُعرف أبنية الكلمات والصيغ.

٤. **الاشتقاق**: لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادّتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما مثلاً: المسيح: إذا كان من السياحة يسمّى المسيح لكثرة سياحته. أما إذا كان من المسح يسمّى المسيح لأنه لا يمسح على ذي عاهة إلا برأ بإذن الله. والثاني هو لعيسى عليه السلام.

ومثل ذلك النبي: إمّا من النبأ، فهو مُخبِر عن الله، أو مُخبَر من الله. والنبأ يعني الخبر. أو هو من النَبْوَة: بمعنى الرِفعة.

٥. ٦. ٧. **علوم البلاغة الثلاثة**: المعاني، البيان، البديع:

يُعرف بالأول: خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى.

ويُعرف بالثاني: خواص تراكيب الكلام من جهة اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها.

ويُعرف بالثالث: وجوه تحسين الكلام. وهذه الثلاثة من أعظم أركان المُفسّر، لأنه لا يُدرك العلم بما يقتضيه الإعجاز إلا بهذه العلوم.

٨.**علم القراءات**: لأن به يُعرف كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم، وبه يترجَّح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

٩.**علم أصول الدين**: ليعرف الفرق بين العقائد والشرائع، وما هو من أصول الدين، وما هو من فروعه.

١٠.**علم أصول الفقه**: لأنه به يُعرف وجه الاستدلال على الأحكام وطريقة استنباطها من النصوص.

١١.**علم أسباب النزول وعلم القصص والأخبار**: لأنه به يُعرف المراد من الآية، ويُزيل الإشكال عن بعضها، ويُبيّن بعض حِكم الله في التشريع. وبعلم القصص: يُعلم ما هي الإسرائيليّات التي دُسَّتْ في الرواية الإسلامية.

١٢.**علم الناسخ والمنسوخ**: لأنه مهم جداً حتى لا يقع المفسّر في أخطاء كثيرة.

١٣.**علم الفقه**: لأنه به يعرف مذاهب الفقهاء، ومن احتجّ منهم بالآية ومن لم يحتّج بها، وطريقة كل منهم في فهم الآية والأخذ بها.

١٤.**علم الأحاديث والسُنن والآثار**: وذلك لتفصيل المُجمل، وتوضيح المُبهم، وتخصيص العام، وتقييد المُطلق.

١٥.**علم الموهبة**: وهو علم يورثه الله جل وعلا مَن عمل بما علم، وإليه الإشارة بحديث رسول الله ﷺ: "من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم". والطريق في تحصيله ليس قدرة الإنسان بل ارتكاب الأسباب المُوجبة من العمل والزُهد، وإن الصحابة والتابعين كانت عندهم علوم العربية بالطبع (أي بالفطرة والسليقة) لا بالاكتساب، واستفادوا العلوم الأخرى من النبي ﷺ.

أقسام التفسير:

١. التفسير بالمأثور:

المأثور: اسم مفعول من (أثرتُ الحديث أَثَراً). أي نقلتُه نقلاً. وحديث مأثور أي: منقول. التفسير بالمأثور أي بالمنقول: سواء كان متواتراً أم غير متواتر.

وعلى هذا يشمل: المنقول عن الله تعالى في القرآن، والمنقول عن النبي ﷺ، والمنقول عن الصحابة رضوان الله عليهم، والمنقول عن التابعين رحمهم الله، وهذه الأنواع الأربع هي:

أ.تفسير القرآن بالقرآن.

ب.تفسير القرآن بالسنّة.

جـ.تفسير الصحابة.

د.تفاسير التابعين.

- المُفسرون من الصحابة: الخلفاء الأربعة، ابن مسعود، أُبي بن كعب، ابن عباس، زيد بن ثابت، أبو موسى الأشعري، ابن الزبير، رضوان الله عليهم جميعاً.
- المُفسرون من التابعين: مجاهد بن جبر، سعيد بن جُبيْر، عكرمة مولى ابن عباس، عطاء بن أبي رباح، الحسن البصري، مسروق بن الأجدع، سعيد بن المسيّب، أبو العالية، الربيع بن أنس، الضحاك بن مُزاحم، زيد بن أسلم، محمد بن كعب القرظي، قتادة بن دعامة، مرّة الهمداني. عمر بن عبد العزيز، رجاء بن حَيْوة، كعب الأحبار، عبد الرحمن بن غنم الأشعري، يزيد بن أبي حبيب الأزدي، طاووس بن كيسان، وهب بن مُنبّه.. رحمهم الله جميعاً.

٢. التفسير بغير المأثور:

أجاز أكثر العلماء تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد. وذهب آخرون إلى أنه لا يجوز لأحد أن يتعاطى شيئاً من تفسير القرآن، وإن كان عالماً أديباً متسعاً في معرفة الأدلّة والفقه والنحو والأخبار والآثار، وليس له أن ينتهي إلاّ إلى ما روي عن النبي أو إلى صحابته أو من أخذ عنهم من التابعين.

لا يشبع منه العلماء

روى الترمذيُّ عن الحارث الأعور – رحمه الله – قال: دخلتُ المسجدَ – يعني في الكوفة في خلافة عليّ – فإذا الناس يخوضون في الأحاديث. فدخلتُ فأخبرتُه – يعني علياً – فقال: أَوَقَدْ فعلوها؟ قلت: نعم! قال: إني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ألا إنها ستكون فتنة. قلتُ: فما المخرج منها؟ قال: كتاب الله؛ فيه نبأ ما قبلكم، وخبرُ ما بعدكم، وحكمُ ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزْل. مَنْ تركهُ مِنْ جبّار قصمَهُ الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلَّه الله، وهو حبل الله المتين. وهو الذكر الحكيم. وهو الصراط المستقيم. وهو الذي لا تَزيغُ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخْلَقُ – أي لا يبلى – عن كثرة الرّد، ولا تنقضي عجائبه. وهو الذي لم تنتهِ الجنُّ إذْ سمِعَتْه حتى قالوا: "إنا سمعنا قرآناً عجباً. يهدي إلى الرشد فآمنّا به" (١) مَنْ قال به صدق، ومَنْ عمل به أُجِر، ومن حكم به عَدَل، ومن دَعا إليه هُدِي إلى صراطٍ مستقيم (٢) .

وندعو القارئ الكريم إلى أن يُمعن النظر في صفات القرآن المذكورة وأن يَلحَظَ أبعادها الواقعيّة، وأن يعيشها وهو يتلو القرآن ويحفظه ويتدبَّره..

القرآن الكريم لا يشبع منه العلماء!! والتاريخ الإسلامي شاهدٌ على صدق هذه الحقيقة. فما من فترةٍ في تاريخنا الإسلامي، في أي بقعة من بقاع العالم الإسلامي إلا وبرز فيها عالمٌ من علماء القرآن.. وإذا نظرنا في حياة أيّ عالمٍ من علماء القرآن - مثل الطبري والزمخشري والرازي ورشيد رضا وسيد قطبٍ - فسنجد صدقُ هذه الحقيقة كذلك حيث كان العالم منهم يتدبَّر القرآن وينظر فيه مراتٍ ومرات، ولا يملُّ النظر والتدبُّر، أو بمعنى آخر: لا يشبع منه..

ولا يتّصف بهذه الصفات إلا كتابُ الله، ولا تتحقَّق هذه المزيّة إلا لكلام الله.

إنّ عجائب القرآن ودلالته وكنوزه ولطائفه لا تنقضي ولا تعدُ، على اختلاف الزمان والمكان والأشخاص. العلماء - في كل زمانٍ - يُضيفون إلى دلالاتِ ومعاني ولطائف القرآن الجديدُ المُفيدُ. وعندما يُسجِّل العالمُ بعض لطائف معاني الآيات، ثم يعود إليها مرةً ثانيةً، فإنَّه يجدُ فيها الجديدَ المفيد..

---

(١) الجن: الآيتان ١، ٢.

(٢) سنن الترمذي: رقم (٤٢)، أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في تعليم الحديث، حديث رقم: ٣٠٧١..

باب التفسير لا يُغلق

هناك بدهيَّةٌ يقينيَّة، نرى من المناسب الإشارة إليها في هذا المقام، وهي تتعلّق بتفسير القرآن وضرورته لكل عصر.

إنّ باب التفسير لا يُمكن أن يُغلق، وإنَّ مادة التفسير لا بُدَّ أن تتجدَّد، وإنّ مدد التفسير لا يمكن أن ينفد..

بعض العلوم العربيّة والإسلامية نضجتْ، ولا تقبل إضافة على أُسسها وقواعدها، ويُسميها بعضهم "علوماً مُحترقة" وذلك مثل "علم النحو"، و "علم أصول الفقه"، و "علم أصول الحديث"، أُقرَّت وانتهت، وستكون كتابة الكاتب فيها بتنويع الأمثلة والنماذج، أو ترتيب المسائل وتنظيمها..

وبعض العلوم العربية الإسلامية حيّة نامية، ويُسمّيها بعضهم "عُلوماً حيّة" وذلك مثل "علم التفسير وأُصوله وقواعده"، و"علم الحديث"، وعلم "البلاغة والأدب". لا يستغني المسلمون في أي عصرٍ عن تفسير – أو تفاسير – بأقلام علماء يعيشون عصرهم بحُضورٍ فاعلٍ، ونَظْرة إيمانية، وحركة واقعيّة جديّة بإيمانهم وقرآنهم، فيُفسّرون بِلُغَة عصرهم، وأسلوب عصرهم، وطريقة عصرهم.. حتى يُعالجون مشاكل المسلمين في ذلك العصر، ويُلبّون حاجاتهم..

إنّنا بحاجة إلى من ينقض لنا – من خلال تفسيره – مذاهب فكريّة معاصرة، مثل الماركسيّة والوجوديّة والماسونية والقوميّة، كما فعل الإمام رشيد رضا في "المنار" والشهيد الحيّ سيّد قطب في "الظلال".. لسنا مُقيَّدين إلاّ بالطريقة المُثلى في التفسير، التي قرَّرها علماء السلف. وهي تفسير القرآن بالقرآن، ثم تفسيره بالسنة الصحيحة، ثم تفسيره بأقوال الصحابة الكرام رضوان الله عليهم.

لكل مُفسّر أهدافه ومنهجه وخطته وطريقته وأسلوبه، بما يتفق مع حاجاتِ وقضايا ومشكلاتِ واهتماماتِ المسلمين في عصره..

وبرز في عصرنا مُفسّرون أعلام، كتبوا تفاسير عظيمةً رائدة، قدّموا فيها الجديد والمُفيد.. وسيظهر في الأجيال القادمة مُفسّرون آخرون، يُضيفون معانٍ ودلالاتٍ ولطائفَ جديدة.. وما ذلك إلا لأنَّ "التفسير" علمٌ حيٌّ نامٍ، وأنّ "بابَ التفسير مفتوحٌ لا يُغلق"..

وقد أجمع العلماء المُحقّقون على جواز التفسير بالرأي المحمود المُلْتزم بالضوابط المُتّفق مع القواعد. فالتفسير فتوحات، والمُفسّر البصيرُ يقف على التفسير النقلي ويطَّلع على الروايات المأثورة، وينطلق من ذلك ليُسجّل ما يستخرجه من دلالاتٍ ولطائفَ وإيحاءات..

إنَّ معظم نِتاج الدَّارسين المُتأَخّرين للقرآن، ناتجٌ عن نظراتهم حول آيات القرآن الكريم، وتدبُّرهم لها. ولذلك تُعتبر تلك النظرات الصّائبة، والتَّحليلات الصادقة، والاستنتاجات الصحيحة "فُتوحات" فتح اللهُ بها على أصحابها. والمُهم أن يلتزم المُتدبّرُ للقرآن بالضوابط التي قرّرها علماء التفسير، وأن يُراعي الآداب التي بيَّنُوها. وهو مُطالبٌ أن يُقبِل على ربّه إقبالاً خالصاً، يستمدُّ منه العون والتوفيق، ويسأله أن يفتح عليه من أبواب رحمته فُتوحات، يفهم بها معاني الآيات. وما سأل الله ذلك عالمٌ عابدٌ إلا أمدَّهُ بالفتوحات، وأفاض عليه الفيوضات!! وما أحسن عالمٌ التوكلَ عليه إلا منحهُ العلم، ووفَّقهُ للصَّواب وكتب له الأجرَ، ولعلمه الذيوعَ والانتشار..

سورة الفاتحة

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ
نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ
ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة:٧]

- **تعريـــف بسُـــورة الفاتحـــة.**
- **أسمـــاء ســـورة الفاتحـــة.**
- **فضـــل ســـورة الفاتحـــة.**
- **معـــاني الكلمـــات.**
- **التفســـير والبيـــان.**
- **أســـرار ســـورة الفاتحـــة.**
- **لطـــائف لغويّـــة.**

تعريفٌ بسورة الفاتحة

يردّد المسلم هذه السورة القصيرة ذات الآيات السبع، سبع عشرة مرة في اليوم والليلة على الحد الأدنى، ويردّدها أكثر من الضعف إذا صلّى السُنن، وإذا صلّى الرواتب أكثر من أربعين. ولا تقوم صلاة بغير هذه السورة.

لا تقوم صلاةٌ بغير هذه السورة على رأي الجمهور خلا أبي حنيفة؛ لما ثبت في الصحيحيّن عن عُبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب" و"مَنْ صلّى ولم يقرأ بفاتحة الكتاب فصلاته خداج" أي: ناقصة أو فاسدة.

قال سيد قطب: إنّ في هذه السورة كليّات العقيدة الإسلامية؛ أي: جميع أصولها؛ لأن العقيدة مبنيّة على:

١. توحيد الربوبيّة.
٢. توحيد الألوهيّة.
٣. توحيد الأسماء والصفات.

رب العالمين – ربوبيّة، الرحمن الرحيم – أسماء وصفات، إياك نبعد وإياك نستعين – ألوهيّة.

ويقول سيدٌ: "كليّات التصوّر الإسلامي للحياة، أي كيف نفهم الحياة، ما قيمة هذه الحياة. كليّات المشاعر والتوجُّهات".

كل هذه الكليّات تُؤكد حكمة اختيارها للتكرار في كل صلاة؛ كأن المسلم يومياً يُراجع عقيدته، يُقلّب صفحات فلسفته للحياة.

ثم قال سيدٌ: هناك خلافٌ حول البسملة. أهي آية من كل سورة؟ أم آية من القرآن يُفتتح بها عند القراءة في كل سورة؟ مسألة اختلف فيها القراء. ورجَّح سيدٌ أنها آية من سورة الفاتحة. وقال بذلك الشافعيّة وبها تحتسب آياتها سبعاً.

أسماء سورة الفاتحة

هي السورة الأولى في المصحف، ترتيبها في النزول السورة الخامسة، نزلت بعد سورة المدثر وبعدها سورة المسد، آياتها سبع، جلالاتها واحد، مكيّة، من أسمائها أم الكتاب، الكافية، المناجاة، السبع المثاني، الصلاة، الشافية، الوافية، الحمد، الشكر، الدعاء، السؤال، الكنز، النور، الأساس، الشفاء، التفويض.

فضل سورة الفاتحة

أخرج أحمد من حديث جابر بن عبد الله: "أخير سورة في القرآن (الحمد لله)"، وأخرج الترمذي: "ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني"، وللبيهقي في "شعب الإيمان": "أفضل القرآن (الحمد لله)"، وللبخاري: "أعظم سورة (الحمد لله)"، وعن أبي سعيد رافع بن المُعلَّى رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: "ألا أُعلمك أعظم سورة من القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟ فأخذ بيدي، فلمّا أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله إنك قلتَ لأُعلمنّك أعظم سورة في القرآن؟ قال: (الحمد لله رب العالمين) هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته" (رواه البخاري). وقال ﷺ : "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب". وقال ﷺ: "والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا الإنجيل ولا الزبور ولا الفرقان مثلها، إنها السبع المثاني" (رواه الإمام أحمد).

وبيّن الله تعالى في سورة الحجر عظمة سورة الفاتحة. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر:٨٧] والسبع المثاني هي الفاتحة، وقد سميت بالمثاني لكثرة تكرارها في الصلاة.

وبالإضافة إلى ما سبق فإنّ السورة تُعلّم العبد الأدب مع ربه، فهي مُقسّمة إلى نصفين: النصف الأول ثناء على الله، والنصف الثاني: دعاء إليه، فالنصف الأول يتجلّى في الآيات ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾، والنصف الثاني ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾. واللطيف أن عدد أحرف الثناء في النصف الأول مساوٍ تماماً لعدد أحرف الدعاء في النصف الثاني.. فالسورة تُعلّم المسلم كيف يتعاملُ مع الله، فإنْ أراد الدعاء فيُستحبّ له أن يُثني على الله أولاً فيبدأ بحمد الله تعالى وتمجيده ثم الصلاة على رسوله ﷺ، وبعد ذلك يدعو بما يشاء، فإنّ دعاءه يُستجاب بإذن الله.

وإنّ الفاتحة جمعت جوامع خير الدهر.. حيث جَمعت كل معاني القرآن، وجُمعت كل معاني الفاتحة في﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾. وهذه الآية مقسومة إلى قسمين كلاهما ضروري في الإسلام: عبادة الله تعالى (أي ممارسة الشعائر)، والاستعانة بما خلق الله في هذه الأرض وتسخيرها للنجاح في الحياة ولإدارة الأرض وفق منهج الله، ولأن الصحابة فهموا هذه الآية جيداً وطبّقوها – بمحوريْها ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾- في حياتهم قادوا الأرض ونجحوا في الدنيا والآخرة وكانوا جيلاً قرآنياً فريداً. وإننا نرى في عصرنا الحاضر بعض المسلمين يُطبّقون ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾فيقتصر فهمهم للإسلام على التديّن فقط، ويهملون المحور الثاني.. لكن الإسلام يأمر بالتوازن بين الأمريْن.. وهذا ما تُبيّنُهُ سورة الفاتحة بوضوح.. فكلما تقرأ هذه الآية تشعر عند كلمة (إيّاك) أن الإخلاص يتجدّد في قلبك كل يوم، أنه لا معبود إلا الله، ولا مُعين إلا الله، فتخشع في صلاتك، فلا تمرّ على هذه الآية مرور الكرام بل اجعلها عنوان حياتك وجدّد معانيها في قلبك كلما تقرأها..

حين تقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ تذكّر نِعَم الله عليك، هذا يجعلك تخشع في صلاتك، من نعمة الإسلام والإيمان، إلى نعمة القرآن، إلى إرسال النبي ﷺ... إلخ. وحين تقرأ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ تذكر رحمة الله بعباده، والتي شملت الدنيا والآخرة فتخشع في صلاتك.. وحين تقرأ : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ تذكر يوم القيامة وأهواله واطلب من ربنا أن يُخفّف عنك تعب ذلك اليوم، فتخشع في صلاتك.. وحين تقرأ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ تشعر بعظمة الله في قلبك وكيانك، فتخشع في صلاتك.. وحين تقرأ: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾يزيد قربك من الله ورجاؤك لرحمته وخوفك من عذابه، فتخشع في صلاتك. وحين تقرأ: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾تذكّر إبراهيم ونوح وعيسى ومحمد وأبي بكر وعمر وباقي الصحابة رضوان الله عليهم، هذا الكمُّ الهائل من المعاني المتجدّدة يطبع في ذهنك آلاف الصور التي تجعلك تخشع في صلاتك، وتزيدك قُرباً من الله، صلاة بعد صلاة، وبذلك تصبح صلاتك حيّة..

من روعة سورة الفاتحة أن كل سور القرآن متسلسلة في معانيها وأهدافها ووسائلها، فهي مرتبطة بما قبلها ولا يصحّ أن ترتبط إلا بالسورة التي جاءت قبلها

بترتيب المصحف، إلا سورة الفاتحة، فلو جاءت قبل أية سورة لوجدت المعنى متصلاً بل متكاملاً أيضاً، لذلك فإننا نبدأ صلاتنا بالفاتحة ثم نقرأ أي سورة بعدها ويبقى المعنى متصلاً مهما كانت السورة، وإنّ الفاتحة هي مفتاح الدخول إلى معاني القرآن..

ومن اللطيف أنّ هذه السورة تطمئن المسلم بأن الأصل في الكون هو رحمة الله، وأنّ أصل علاقة الله بعباده هي الرحمة..

معاني الكلمات

الحمد: الشكر لله وحده خالصاً دون سائر مَنْ يُعبد.

قال ابن جرير:

١. الحمد ثناءٌ أثنى به الله على ذاته المقدسة.
٢. يتضمّن هذا الثناء أمر العباد بأن يُثنوا على رب العباد.

فكأنّ الله يقول لعباده: (قولوا الحمد لله). ما أجمل هذا البدء للقرآن، فالحمد لله أن أنزل الكتاب.

و(أل) في كلمة (الحمد): للتعريف وهي (أل) الاستغراق، أي إن الحامد يستغرق جميع أجناس الحمد وصنوفه لله تعالى؛ أي جميع ما يُمكن أن يُحمد الله به.

الرب: كلمة الرب بـ (أل) لا يجوز أن تُطلق إلا على الله. أمّا بالإضافة فيجوز نسبتها إلى غير الله: رب الأسرة، رب البيت.

الرب في اللغة: لها معانٍ عديدة، منها:

١. المالك.
٢. المتصرّف.
٣. السيّد.
٤. المتصرّف للإصلاح وبالإصلاح.

أي إنني قد أتصرّف بهذه العمارة لكن قد أخرب بها، أما الله عز وجل فيتصرف بالإصلاح وللإصلاح.

العالَمين: جمع عالَم (كل ما خلق الله عزَّ وجلّ). والعالَم: جمعٌ لا واحد له من لفظه (ليس له مفرد من جنسه). مشتق من العلامة لأنه عَلَمٌ دالٌّ على العالم، وعلى الخالق الصانع لهذا العالم. وجُمِعَ جَمْعَ العقلاء تغليباً.

وفــي كــل شـــيءٍ لـــه آيـــة تـــــدل علـــــى أنـــــه واحــــــد

العوالم: أصناف المخلوقات في الأرض والسماوات.

والعوالم: كل قرن أو جيلٍ يسمّى عالَم.

الرحمن: اسمٌ عَلَم دالٌ على الذات المقدسة على وزن (فعلان) صيغة مبالغة.

الرحيم: اسم علَم دالٌ على الذات المقدسة على وزن (فعيل).

وسيأتي التفصيل والإيجاز بين الرحمن والرحيم. ولا يُطلق الرحمن إلا على الله الرحمن.

مالك (مَلِك): كلاهما قراءتانِ متواترتانِ سبعيّتانِ صحيحتان (سبعيتان: من القراءات السبعة التي ذكرها ابن مجاهد).

يوم الدّين: دانه: حاسبه. يوم الدين: يوم الحساب والجزاء.

إياك نعبد: العبادة في لغة العرب: التذلُّل. وفي الشرع: قال ابن تيمية: "العبادة: هي الذلّ التام مع الحب التام" (الجمع بين النقيضيْن إنْ صحَّ التعبير). فالله سبحانه نذلُّ له ونحبّه.

إياك نستعين: طلب العون من الله تعالى.

اهدنا الصراط: ألهمنا الدلالة والوصول والسير على الطريق المستقيم، أو وفّقنا، أو أعطنا، أو أرشدنا، أو ثبتنا، أو زدنا. إذن من معاني الهداية: الإلهام، التوفيق، العطاء، الرشاد والرُشد، الثبات، الزيادة.

الصراط فيها ثلاث قراءات: بالصاد، وبالسين، وبالزاي المُشمّاة. قال شيخ المُفسرين ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ): الصراط هو: "الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه".

قال ابن كثير:

١. دُلّنا على الطريق.
٢. ثبّتنا على الإسلام والدين والكتاب.
٣. ثبّتنا على الحق.

ثم قال ابن كثير: "وحاصل الأقوال المتابعة لله والرسول".

المغضوب عليهم: اليهود ومَنْ سار على نهجهم.

الضّالين: النصارى.

التفسير والبيان

الرحمن الرحيم:

قال سيدٌ: وصف سبحانه نفسه في البداية بالرحمن الرحيم. وعندما ذكر هاتين الصفتين ذكر بعض الفوائد والفرائد:

١. أن ذكر هذين الاسمين الكريمين يستغرق كل معاني الرحمة وحالاتها (كأنه ذكر كل ما يتعلّق بالرحمة).

٢. في ذلك دلالة على أنه سبحانه هو المختصّ وحده باجتماع هاتين الصفتين.. مثلاً الحاكم العادل رحيمٌ بشعبه لا يمكن أن يكون رحماناً. فالصفة المطلقة للرحمن فليستْ إلا لله الرحمن، فالله وحده هو الذي تجتمع عنده الصفتان كلتاهما.

٣. أنه سبحانه المختصّ وحده بصفة الرحمن، وفي القرآن سورة الرحمن.

٤. أنه من الجائز أن يوصف أحد من العباد أنه رحيم، ومن المُمتنع أن يوصف أحدٌ من العباد أنه رحمان، ومن المُمتنع أن يجمع بين الصفتين إلا رب الثقلين. ثم يشير سيد إلى الاختلاف في معنى الصفتين (الرحمن، الرحيم) كما سيأتي..

سؤال١:

أيهما أدلُّ على سعة رحمته سبحانه: الرحمن أم الرحيم؟

الرحمن أدلّ، واستغراق هاتين الصفتين مجتمعتين لكل معاني الرحمة وحالاتها ومجالاتها.

٥. الرحمن: على وزن (فعلان)، صيغة مبالغة، تعني كثرة النِعم التي ليس لها حدّ ولا عدّ.

الرحيم: على وزن (فعيل)، صفة مشبهة تدل على الدَّيمومة. فمثلاً عندنا خيرات كثيرة لكنها منقطعة غير دائمة، أما الله عزّ وجل نعمةُ كثيرة ودائمة. فجاء الجمع بين هذين الاسمين وهاتين الصفتين ليشير إلى أن النعمة كاملة وتامة.

يقول سيّدٌ: من الآيات يتمُّ استخراج بعض كليات التصور الإسلامي للحياة:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ – تُمثّل الكليّة الأولى في التصوّر الإسلامي وهي إثبات الربوبيّة لله سبحانه..

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ – تُمثّل الكلية الثانية في التصوّر الإسلامي في استغراق معاني الرحمن بهاتين الصفتين. وهي: إثبات الأسماء والصفات لله سبحانه.. "إيّاك نعبد وإيّاك نستعين" تُمثّل الكلّية الثالثة في التصور الإسلامي وهي: إثبات الألوهية لله سبحانه..

سؤال ٢:

ما معنى (الحمد لله) عند سيّد؟

هو الشعور الذي يفيض به قلب المؤمن بمجرَّد ذكره لله.

ثم يقول: فإنّ وجوده (أي العبد) ابتداءً ليس إلا فيضاً من فيوضات النّعمة الإلهية، ومن ثم كان الحمد لله ابتداء، وكان الحمد لله ختاماً: ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۚ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٥﴾ [الزُّمَر:٧٥]. ويقول الله عزّ وجل ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٧٠﴾ [القصص:٧٠].

ثم يذكر سيّد أن هذه اللفظة القوية وهذه الفيضة من الحمد تُثقّل الميزان، ثم ذكر حديثاً وذلك حتى يربط التفسير بالسنّة.. ذكر الصحابة أن عبداً من عباد الله قال: يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، فلم يدريا كيف يكتبانها لثقلها وعظمها فعضلت بالملكين، فصعدا إلى الله. فقالا: يا ربنا إنّ عبداً من عبادك قد قال مقالةً لا ندري كيف نكتبها، قال الله - وهو أعلم -: (ماذا قال عبدي؟ قال الملكان: قال: يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، قال الله عزّ وجل: أكتباها كما قالها عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها).
ومن فضل الله وفيضه على المؤمن أنه إذا قال (الحمد لله) رجحت بكل الموازين.

- قال سيدٌ: (ربّ العالمين) تُمثّل قاعدةً مهمّةً من قواعد هذا الدين تشمل ما يلي:

١. الربوبيّة المطلقة الشاملة.
٢. الملك المتصرّف.
٣. الخلائق منهم إنسهم وجنّهم برّهم وفاجرهم مُحتاجون لذات الله العظيم.

- لو أنّ الله (حاشا وكلاّ) منع شيئاً من الرزق عن نملة في قعر البحار أو غفل لما استحقّ أن يكون إلهاً.. فالله سبحانه وتعالى سيدّ الكون.

- إنّ الله عزّ وجلّ لم يخلق الكون ثمّ يتركه عبثاً: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾. فالرزق من دلائل الربوبيّة، والنِّعم من دلائل الربوبيّة. ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون:١١٥]. ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة:٣٦].
- إذن من مُقتضيات واستحقاقات الربوبيّة وجود صلة بين الخالق والخلائق، وإنَّ هذه الصلة دائمة قائمة في كل وقتٍ وحين.
  هل معاصينا تمنع ربنا من أن يُنزل علينا الأرزاق؟
  هل معاصينا تجعل ربّنا يتخلّى عنّا؟
- قال سيد: فالرّبُ لا يطارد عبادهُ مطاردة الخصوم والأعداء كالآلهة في نزواتها، ولا يُدبّر لهم المكائد كما تزعمُ الأساطير المزوَّرة في العهد القديم.

حاشا وكلاّ.. سبحانك يا ربنا ما أكرمك، سبحانك يا ربنا ما أحلمك، سبحانك يا ربنا ما أرحمك.

سبحانك يا ربنا ما أعظمك.. كل شيء خاشعٌ لك. كل شيءٍ قائمٌ بك.. أنت غنى كل فقير. وأنت عِزُّ كل ذليل..

أسرار سورة الفاتحة

١. أنّها حاوية أهداف القرآن.
٢. فهي تشتمل على جميع معاني القرآن، فكلّ معنى في القرآن الكريم تجده في الفاتحة، وكل أهداف القرآن جُمعت في هذه الآيات السبع، والمعاني الثلاثة التي يطلبها القرآن من المؤمنين موجودة فيها، وهي:
   أ. عقائد.
   ب. عبادات.
   جـ. مناهج الحياة.
٣. وبها نتعلّم الأدب مع الله، وبها نتعلّم التعامل مع الله، وبها نتعلّم الحوار مع الله، لذلك كان عمر بن عبد العزيز يقرأ الفاتحة آية آية ويسكت بين الآية والأخرى، وحين سُئل عن سبب سكوته: قال: "لأستمتع بردّ ربي"، ويقول ابن القيّم: "إن الله أنزل (١٠٤) كتب، جمع معانيها في ثلاثة كتب: التوراة والإنجيل والقرآن، وجمع معاني هذه الكتب الثلاثة في القرآن، وجمع

معـاني القـرآن فـي الفاتحـة، وجمـع معـاني الفاتحـة فـي ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

٤. وسميت بالفاتحة:

أ- لأنّه أفتتح بها المصحف.

ب- لأنها مفتاح لمعاني القرآن، فكل كنوز القرآن فيها.

٥. والفاتحـة ميـزان الخشـوع فـي الصـلاة؛ لقـول النبـي ﷺ: "لـيس للعبـد مـن صلاته إلا ما عقل منها".

٦. ولهـا خصوصـية أنهـا خاليـة مـن كـل أحكـام التجويـد الصـعبة؛ لكـي يتيسَّـرَ للجميع قراءتها حتى لمن لا يتحدث بالعربية.

٧. هي البطاقة الشخصيّة للدخول إلى مناجاة الله والأنس برجائـه، وهـي جـواز سفر المرء لفهم القرآن.

٨. تذكّرنا سورة الفاتحة بأساسيات الدين ومعانيه العظيمة وهي:

أ- نعم الله.

ب- الإخلاص.

ج- طلب الصُحبة الصالحة.

د- التحذير من أصحاب السوء.

ه- التركيز على أسماء الله الحسنى.

و- الاستقامة.

ز- الآخرة والاستعداد لها.

ح- أهمية الدعاء وأدبه.

ط- أمتنا أمة واحدة، لذلك جاءت كل ألفاظ المخاطبة بصيغة الجمع؛ أي إن المسلم ضمن أمة واحدة وليس وحيداً في هذا الكون.

سؤال ٣:

لماذا جاء ذكر هذين الاسمين بعد الحديث عن ربوبية رب العالمين؟

لأن السّمة البـارزة فـي الربوبيّـة تتأكدْ بهـاتين الصـفتين (الـرحمن الـرحيم). والسـمة البـارزة هـي: الصـلة الدائمـة بـين الـرب والمربـوبين، بـين الخـالق والمخلوقين.

ثم يقول سيد: فالربُ سبحانه لا يطارده عباده مطاردة الخصوم والأعداء كآلهة الألمب ونحوها في نزواتها (أو آلهة الحب وآلهة الحرب عند اليونان) ولا يدبرّ لهم المكائد كما تزعم بعض الأساطير المزوّرة في العهد القديم.

مالك يوم الدّين:

يتحدّث سيّدٌ عن كليّة مهمة وأُسٍّ مهمّ من أُسس العقيدة الإسلامية وهو أس الاعتقاد بالآخرة، وبدأ الحديث عن هذا الأسّ بقوله (مالك). المُلك: يعني هنا أقصى درجات السيطرة والاستيلاء.. هذا المُلك للدنيا والآخرة وما يجري من مُلك المربوبين مُلك مجازيٌ.

﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر:١٦-١٧].

يوم الدين: يوم الحساب. أو يوم الجزاء. (دانَ فلان: أي حاسبهُ).

سؤال ٤:

ما أهميّة ذكر هذا الأُسّ (الاعتقاد بالآخرة)؟

وجوه أهمية أسْ الاعتقاد بالآخرة:

١. كان بعض الناس من قريش في بواكير الدعوة يعبدون الأصنام ولسانُ حالهم يقول: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر:٣] ولا يعتقدون بيوم الحساب وإنما شعارهم: (أرحام تدفع وأرضٌ تبلع). فجاء التصوُّر الإسلامي في أول سورة بالقرآن ليرْدُم (يُزيل) فجوة في هذا المفهوم وليثبت أمراً عقائدياً مهماً أن هناك يوم حساب.

٢. تعليق أنظار البشر وقلوبهم بعالم آخر بعد عالم الأرض هو عالم الآخرة، وهذا مهمٌ جداً حتى يصبروا على الظّلم.. فهو خروج من عالم المادّيات إلى عالم المعنويات.

٣. حينما يتمكّن هذا التصوّر الإسلامي السّابق في قلوبنا نستعلي على شهوات الأرض ونزواتها.

٤. وبالتالي ستكون النتيجة حرص المسلم على أن يُخلِص العمل لله وينتظر الجزاء حيث يقدّره الله في حياته أو بعد مماته، في الأرض أو في دار الآخرة، لذلك كان شعار الصحابة في حياتهم: (إنّما هي إحدى الحُسنيين إما الظفر أو الجنة)، فما الذي يجعل الرجل يرمي بنفسه إلى الشهادة، إنّه الجزاء في الآخرة.

سؤال ٥:

ماذا لو لم تكن عقيدة الإيمان باليوم الآخر؟

سيؤدي ذلك إلى عدم الاستقامة وعدم الالتزام، ويؤدي ذلك إلى شريعة الغاب، ويعمّ الظلم في كل مكان.. إذن وجود اليوم الآخر نعمة جاءت بعد صفتي الرحمن الرحيم.

سؤال ٦:

ما الفرق بين (مالك) و(ملك) بالقراءتين؟

مالك: الذي يملك الشيء ويحوزه، لكن ليس بالضرورة أن يتحكّم في مصير هذا الشيء وسيره وأموره، قد يحكم وقد لا يحكم لكنّه يملك..

ملك: الذي يحكم. لكنّه قد يملك وقد لا يملك، ليس بالضرورة أن يملك الشيء ولكن له الحكم والتصرُّف فيه.

فالله سبحانه هو [مالك الملك] فالقراءتان يعضُدُ كل منهما الآخر فالله سبحانه يملك ويحكم ويتصرّف.. لذلك استحسن بعض الشافعيّةُ أن يقرأ المسلم في الركعة الأولى (ملك)، والثانية (مالك)..

* ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

- قال سيّدٌ العبقري الجهبذ: "هذه الكليّة الاعتقاديّة تنشأ عن الكليّات السابقة)".. تُثبت لله الربوبيّة والألوهيّة بالعبادة والاستعانة. (فلا عبادة إلاّ لله، ولا استعانه إلا بالله، ولا رب إلاّ الله).

- هذه الكلمات الأربع ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أنشأ منها محمد ﷺ حديثاً لعبد الله بن عباس: "يا غلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلمْ أن الأمّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وأن الأمة لو اجتمعت على أن يضروّك بشيء لم يضروّك إلاّ بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفّت الصحف".

فهلاّ أطلنا الصلاة قليلاً وتأمّلنا وتدبّرنا لتُصبح صلاتنا رحلةً علميّة في عالم العقائد.

- قال سيدٌ: تُعلِن هذه الكليّة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ميلاد التحرّر البشري الكامل من عبوديّة النُّظم والأوهام والأساطير والخرافات والأشخاص. إذن هو يوم ميلادٍ جديدٍ للبشريّة جمعاء.

* ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾

أصبح القلب البشري الآن جاهزاً للدعاء والمناجاة.

- قال سيدٌ: بعد تقرير تلك الكليّات الأساسيّة وبعد تقرير الاتّجاه إلى الله وحده بالعبادة والاستعانة يبدأ في التطبيق العملي لها بالتوجُّه إلى الله بالدعاء في صورةٍ كليّة وهي ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ (أي وفقنا إلى معرفة الطريق المستقيم والاستقامة عليه بعد معرفته).

سؤال ٧:

ما علاقة الصراط المستقيم المذكور بالسورة بصراط يوم القيامة؟

إنْ ثبّت الله عزّ وجلّ العبد على الصراط في الدنيا بالعبادة والطاعة جاز على صراط يوم القيامة إن شاء الله.

* ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾:

- قال سيدٌ: هذه الآية تنكشف فيها حقيقة هذا الصراط المستقيم، إنه صراط الذين أنعمتَ عليهم.. كما تقول الآية: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء:٦٩].

وكأنّه تلخيص لكل القصص القرآني من لدن آدم عليه السلام والسلف الصالح إلى يومنا هذا والصديقون كأمثال أبي بكر والملهمون كأمثال عمر والأمناء كأمثال أبي عبيدة، وكل العالم النوراني من الفضلاء فأي خشوعٍ يتمَّلكُ المؤمن وهو يقرأ هذه السورة!

إذن الفاتحة عبارة عن كبسولة روحيّة تجعلك تتيه في عالم الملكوت.

- يختم سيّدٌ حديثه عن الفاتحة بحديث مسلم: "عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: قسمتُ الصلاةَ (أي الفاتحة لأن من أسماء الفاتحة الصلاة) بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين. قال الله تعالى: حَمدَني عبدي. وإذا قال العبدُ: الرحمن الرحيم. قال الله تعالى: أثنى عليّ عبدي. فإذا قال العبد:

مالك يوم الدين. قال الله تعالى: مجّدني عبدي. فإذا قال العبد: إياك نعبد وإياك نستعين. قال الله عزّ وجل: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قال العبد: إهدنا الصراط المستقيم. قال الله عزّ وجلّ: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل". (رواه مسلم).

لطائف لغويّة وفوائد قرآنية

بسم الله: أي أبتدئ بكل اسم لله تعالى؛ لأنّ لفظ "اسم" مفرد مضاف؛ فيعُم جميع الأسماء الحسنى.

الله: هو المألوه، المعبود، المُستحق لإفراده بالعبادة لما اتصف به من صفات الألوهية، وهي من صفات الكمال.

الحمد لله: ثناء، أثنى الله به على نفسه، وفي ضمنه تعليمُ عباده كيف يُثنون عليه سبحانه، وعن ابن عباس قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هو الشكر لله، والإقرار بنعمته وهدايته.

ربّ العالمين: مالكهم، وكل من ملك شيئاً يُدعى ربّه، أو مربيّهم ومتولي أمورهم، والقائم عليهم بما يصلحهم، يقال لمن قام بإصلاح الشيء وإتمامه: قد ربّه.

وفي الحديث: "هل لك من نعمة.. تُربّها عليه" أي تحفظها وتُربيها له كما يُربي الرجل ولده، وأصل الربّ: مصدر بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله بحسب استعداده شيئاً فشيئاً.

الرحمن الرحيم: اسمان دالاّن على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمَّت كل حيّ، وكتبها للمتقين سبحانه، المُتّبعين لأنبيائه ورسله، فهؤلاء لهم الرحمة المُطلقة، ومن عداهم فلهم نصيبٌ منها فقط.

مالك: المالك: هو من اتصف بصفة الملك التي من آثارها أنّه يأمر وينهى ويثيب ويعاقب، ويتصرف بمالكيه بجميع أنواع التصرفات..

اهدنا الصراط المستقيم: الهداية: الدلالة بلطف على ما يوصّل إلى المطلوب. وقيل: هي الدلالة الموصلة إليه.

الصراط المستقيم: الطريق السهل السّوي الذي لا اعوجاج فيه، والمُراد منه: الطريق الحق، أو دين الإسلام، وهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد، ولهذا وجب على الإنسان أن يدعو الله به في كل ركعة من صلاته، لضرورته إلى ذلك.

صراط الذين أنعمت عليهم: أي أنعمت عليهم بطاعتك، من ملائكتك وأنبيائك والصدّيقين والشهداء والصالحين.

غير المغضوب عليهم ولا الضالين: رُوي مرفوعاً تفسير (المغضوب عليهم) باليهود و(الضالين) بالنصارى، قال تعالى في اليهود: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة: ٦٠] وقال تعالى في النصارى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة:٧٧].

فاليهود قد عرفوا الحق وانصرفوا عنه وانحرفوا فغضب الله عليهم، والنصارى جهلوه وعموا عنه فضلُّوا وأضلوا، وفي حكم اليهود والنصارى مَنْ هم على شاكلتهم من أهل النِّحَل الأخرى من غير المسلمين.

والغضب: صفة أثبتها الله تعالى لنفسه على الوجه اللائق بجلال ذاته نؤمن بها، ونُفوّض إليه تعالى علم حقيقتها بالنسبة إليه، مع تنزيهه سبحانه عن مشابهة الحوادث..

والضلال: العدول عن الطريق السويّ، والذهاب عن سنن القصد، وطريق الحق، ومنه: ضَلّ اللبن في الماء إذا غاب.

سؤال ٨:

ذكر العلامة السعدي أن تربيته سُبحانه وتعالى لخلقه نوعان: عامّة وخاصّة، ما المراد بكل واحدة منهما؟.

قال العلامة السعدي: التربية العامة: هي خلقه للمخلوقين ورزقهم وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا. والتربية الخاصة: تربيته لأوليائه سبحانه، فيُربيّهم بالإيمان، ويوفّقهم له، ويكمّلهم، ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة من كل شر، ولعلّ هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ (الرب)، فإنّ مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصّة.

سؤال ٩:

لماذا قدّم المعمول على العامل، ولماذا قدّم العبادة على الاستعانة في الآية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ؟

تقديم المعمول يُفيد الحصر، وهو إثبات الحكم للمذكور ونفيه عمّا عداه، فكأنّه يقول: نعبدك، ولا نعبد غيرك، ونستعين بك، ولا نستعين بغيرك.

وقدّم العبادة على الاستعانة لأنها وسيلة إجابة، وتقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة أقرب إلى الإجابة.

وقدّم العبادة على الاستعانة من باب تقديم العام على الخاص، واهتماماً بتقديم حقّه تعالى على حقّ عبده.

العبادة: اسم جامع لكل ما يحبّه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة.

والاستعانة: هي الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة به سبحانه في تحصيل ذلك.

يقول الراغب الأصفهاني في "مفردات غريب القرآن":

إيَّا: لفظٌ موضوعٌ ليتُوصَّل به إلى ضمير المنصوب إذا انقطع عمّا يتصل به وذلك يُستعمل إذا تقدّم الضمير نحو ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾أو فُصل بينهما بمعطوف عليه أو بإلا نحو ﴿نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ [الإسراء: ٣١] ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[الإسراء:٢٣].

آمين: ليست من القرآن باتفاق.

اسم فعل أمر بمعنى استجبْ يا رب. جاءت في مكانها الصحيح نهاية الفاتحة يجهر بها المسلمون في صلوات العتمة.

المغضوب عليهم: الذين عرفوا الحق وتركوه، ولها عدّة تفسيرات أشهرها اليهود.

الضالين: الذين أُلبس عليهم الأمر فأضلّهم الله وتاهوا، ولها عدة تفسيرات أشهرها أنهم النّصارى.

- كان الإمام أحمد بن حنبل إذا قرأ بالصلاة الفاتحة بكى وخشع.. فسألوه ذات يوم: ما يُبكيك؟ قال: أتخيّل الصراط المنصوب يوم القيامة.

سورة البقرة

-تعريـــــــف بالســـــــورة

-مـــن فضـــائل الســـورة

-أقســـــام الســـــورة

-أهم الموضوعات التي تناولتها السورة

-ســـــبب التســـــمية

-أهـــم مـــا يُميّـــز الســـورة

-محـــــور الســـــورة

-المُلابسات التي رافقت نزول السورة

-السبب الرئيس لظهور طبقة المنافقين

-قصّة اليهود مع الدعوة الإسلامية

-وصـــف عـــام للســـورة

-خاتمـــــة الســـــورة

بين يدي السورة
تعريف بالسورة

عدد آياتها: (٢٨٦) آية.
عدد أرباعها: (١٩) ربعاً.
فاتحتها: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾
خاتمتها: ﴿أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾
تقع في الأجزاء: الأول والثاني والثالث.
ترتيبها بالمصحف: السورة الثانية.
ترتيبها في النزول: هي أول سورة نزولاً بالمدينة المنورة، وقبلها نزلت سورة المطففين آخر سورة نزولاً في مكة.
أخواتها من السُور: آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة حيث افتتحت بـ﴿الٓمٓ﴾.
من أسمائها: الزهراء، فسطاط القرآن، سَنام القرآن.

من فضائل السورة

- أخرج مسلم: "يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمهم سورة البقرة وآل عمران تحاجّان عن صاحبهما". وفي رواية: "كأنهما غمامتان أو ظُلّتان".

- وفي حديث أنس: "إنّ الشيطان يخرج من البيت إذا سمع سورة البقرة تُقرأ فيه، تعلّموا سورة البقرة؛ فإنّ أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة" (البطلة أي السحرة).

- وعن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قلتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾، فضربَ في صدري وقال: ليهنك العلمُ أبا المنذر" (رواه مسلم).

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قاعدٌ عند النبي ﷺ سمع نقيضاً (صوتاً) من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا بابٌ من السماء فُتح اليوم ولم يُفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملكٌ نزل إلى الأرض لم ينزل قطّ

إلا اليوم. فسلّم، وقال: أَبشرْ بنوريْن أوتيتَهما لم يُؤتهما نبيُ قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرفٍ منهما إلا أعطيته".

- والحديث قال ﷺ: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر، وإن البيت الذي تقرأ فيه البقرة لا يدخله شيطان".

أقسام السورة

١. المقدمة:

من الآية (١) حتى (٥) صفات المتقين

من الآية (٦ – ٧) صفات الكفار

ومن الآية (٨ – ٢٠) صفات المنافقين

كأنّه يقول لك أيها المسلم: حدّد واخترْ من أي الأصناف أنت، واحداً منها فقط هم الذين سيجعلهم الله مسؤولين عن هذه الأرض.

٢. القسم الثاني: يعرض نماذج لثلاث مجموعات استخلفهم الله قبلنا هم: سيدنا آدم عليه السلام من الآية (٣٠)، بنو إسرائيل من الآية (٤٠)، وسيدنا إبراهيم من الآية (١٢٤).

٣. القسم الثالث: يتكون من الآيات (١٤٢-٢٨٣)، وهو عبارة عن أوامر ونواهٍ يجب على الأمة وأفرادها أن يتبعوها ليُستخلفوا.

٤. الخاتمة: تُختم السورة بآيتين هما كنزٌ من تحت العرش يمدح الله بهما المؤمنين.

أهم الموضوعات التي تناولتها السورة

١. استخلاف آدم عليه السلام.
٢. المعصية هي سبب الاستبدال.
٣. تجربة بني إسرائيل ونماذج من نعم الله عليهم.
٤. أخطاء الأمم السابقة.
٥. التجربة الناجحة ومثال عليها: سيدنا إبراهيم عليه السلام.
٦. وسطيّة التميّز كانت لأمة الإسلام.
٧. الحجُّ محطّة وقود.
٨. أهم أحكام الأسرة.
٩. قدرة الله وعظمته وآية الكرسي سيدة آيات القرآن.
١٠. النظام المالي والاقتصادي ويتمثل في (الربا، الدَّين، النفقة).

سبب التسمية

سُميت هذه السورة بسورة البقرة لأن قصّة البقرة قد جسَّدت الأخطاء الأساسيّة الكبرى لبني إسرائيل التي تمثلت من الماديّة إلى الجدل، ومن عدم طاعة أنبيائهم إلى عدم طاعة ربّهم، والالتواء على منهجه، حتّى حين نفذوا ما أمرهم الله به نفذّوا ذلك كارهين: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾؛ فسّميت السورة باسم تلك القصة لكي يتذكر المسلم المسؤول عن الأرض هذه الأخطاء ويتجنبها.

أهم ما يُميّز السّورة

١. هي أطول سورة في القرآن الكريم.
٢. فيها أطور آية وهي آية الدَيْن (آية ٢٨٢).
٣. هي أول سورة نزولاً في المدينة المنورة، إذن هي سورة مدنيّة.
٤. فيها آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ من القرآن: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾. (الآية: ٢٨١).
٥. فيها سيّدة آيات القرآن الكريم وهي آية الكرسي (الآية ٢٥٥).
٦. كل سورة افتُتحت بحروف فواتح السور مكية باستثناء البقرة وآل عمران والرعد.
٧. كل سورة فيها قصة آدم وإبليس هي مكية باستثناء البقرة.
٨. هذه السورة واكبتْ نشأة الدولة الإسلامية منذ بدايتها في المدينة إلى نهايتها؛ لأن فيها أول ما نزل وآخر ما نزل بالمدينة من القرآن الكريم.

محور السورة

قال سيد: هذه السورة من أوائل ما نزل بعد الهجرة النبوية الشريفة، وهي أطول سور القرآن على الإطلاق، والمرجح أن آياتها لم تنزل متوالية (أي دفعةً واحدة). ويقول: ولكن المُعوَّل عليه في ترتيب السور من حيث النزول هو سبق نزول أوائلها لا جميعها، وفي هذه السورة آيات من أواخر ما نزل كآيات الربا.

ومن قضايا علوم القرآن التي تتعلق بمحور السورة:

- ترتيب آيات كل سورة هو أمر توقيفي موحىً به من عند الله عزَّ وجل.

- يلحظ القارئ ممن يعيش في ظلال القرآن الكريم أنّ لكل سورة من سور القرآن الكريم شخصيّة متميّزة.. شخصيّة لها روح يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حيٍّ مُميّز الملامح والسمات والأنفاس كما يقول سيد قطب رحمه الله.

- قال سيّدٌ: وإن السورة من القرآن الكريم لها موضوعٌ رئيس أو عدة موضوعات رئيسة مشدودة إلى محور خاص، ولها جوٌّ خاص يُظلّل موضوعاتها كلها، ولها إيقاعٌ موسيقيٌ خاص (ولا يقصد تلك الموسيقى التي فيها المعازف كما افترى عليه المفترون، وإنما يقصد ذلك الخيط الموزون الذي ينظم آيات القرآن الكريم).

- قال سيّدٌ: هذه السورة تضمُّ عدّة موضوعات، كل هذه الموضوعات تدور حول محورٍ واحدٍ مُزدوجٍ يترابط فيه خطّانِ رئيسيّانِ ترابطاً شديداً.

الخطُّ الأول: يدور حول موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية في المدينة، وسائر ما يتعلّق بهذا الموقف، وفي هذا الخط ذكرت العلاقة بين اليهود والمنافقين، وبين اليهود والمشركين.

الخطّ الثاني: موقف الجماعة المسلمة من بداية نشأتها، وفي هذا الخط ذكرت العناصر التالية:

العنصر الأول: ما يتعلق بإعداد هذا الجيل (جيل الصحابة) وما يتعلّق بحمل هذا الجيل للأمانة، وقيام هذا الجيل بالخلافة في الأرض.

والعنصر الثاني: تُعلن السورة إعلاناً صارخاً نُكول بني إسرائيل (أي نكوصهم) عن حمل الأمانة والخلافة.

والعنصر الثالث: تبصير الجماعة المسلمة (أي تحذيرها) من العثرات التي وقع فيها بنو إسرائيل.

وكل آيات السورة تدور حول هذا المحور المزدوج بخطّيْه الرئيسين.

جَوُّ نزولِ السُّورة (المُلابسات التي رافقت نزول السّورة)

قال سيّدٌ: جاءت الهجرة النبوية الشريفة قدراً إلهياً مُنسجماً مع واقع الدولة الإسلامية. إن النبي ﷺ بذل جهداً كبيراً في مكة: (ثلاثَ عشرة) سنة، حتى جاء نفر من الخزرج أعلنوا إسلامهم، وتعرضت الدعوة للجمود، ثم شاء الله أن يفتح لهم الباب في المدينة، فالدعوة في نهاية المرحلة المكية تعرضت لفترة حرجة خاصة بعد وفاة السيدة خديجة وأبي طالب ثم جاء الفتح والفرج بفضل الله.

ومن ثمّ كان النبي ﷺ يبحث عن قاعدة جديدة لقيام الدولـة تكفل هذه القاعدة الحريّـة لـه ولأتباعـه، وهـذا فـي تقـديري السـبب الأول والأهـم للهجـرة النبويّـة الشريفة، وقد سبق المحاولـة للهجرة محـاولاتٍ أخرى مثل الهجرة للحبشـة. فلم تكـن الهجـرة للحبشـة هروبـاً مـن الأذى وإنمـا للبحـث عـن إقامـة دولـة، فغالبيّـة المهاجرين إلى الحبشة لم يكونوا من الضعفاء بل كـانوا من ذوي العصبيّات (أي لهم قبائل تحميهم)، وأصحاب الجاه (أي كُبراء القوم)، والمَنَعة والمال كجعفر بـن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بـن العوام، بل وهاجرتْ نساءٌ من أشرف بيوتات مكة مثل أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان ورقيّـة بنت النبي (وذلك لبيان دور المرأة في بناء الدولة الإسلامية).

بعد ذلك فتح الله على رسوله من حيث لا يحتسب فكانت بيعتا العقبة الأولى والثانية؛ حيث التقى الحبيب بالستة وأسلم ستتّهم فغيّروا وجه المدينة، وإن السبب في إسلامهم ما أصابهم في حرب بُعاثٍ بين الأوس والخزرج التي استمرت أربعين عاماً فأنهكتهم، وكانوا يسمعون من اليهود حولهم أن هناك نبياً قد أظلّ زمانه، وقد ذكرت كل صفاته في التوراة، إلا أنه من العرب لم يذكرها الله لهم حتى كانوا يستفتحون به على العرب (أي يطلبون الفتح على يديه). فلما سمع بذلك الخزرج قالوا: (دعونا نسبق إليه يهود) فأسلموا رضي الله عنهم وأرضاهم، ثم رجعوا إلى يثرب وبدأ أمر الله بالانتشار والانتصار، وفي العام الذي يليه وبنفس الزمان والمكان جاء اثنا عشر رجلاً بايعوا النبي وأرسل معهم مصعب بن عُمير ليُعلمهم الإسلام وبعد عام وفدَ عليه ثلاثة وشبعون رجلاً وامرأتان وتمت بيعة العقبة الثانية والكبرى، من ثمّ مشى الإسلام بالمدينة حتى لم يبق بيتٌ من بيوت المدينة إلا دخله الإسلام، أرسل مصعب إلى النبي يبشّره بذلك، ثم أذن الله بالهجرة إلى المدينة.. وهاجر النبي ﷺ إلى المدينة، والتقى المهاجرون والأنصار، وقامت أخوَّة عزَّ نظيرها عبر التاريخ، وبعد وصول الحبيب المصطفى قامت هذه الثلّة المباركة بنشر الإسلام وتدعيم دعائم الدولة الإسلامية،

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة:٢-٥].

كانت صفاتهم من الآيات المباركة من (١-٥).

قـال سـيّدٌ: "فتكوّنـت الطبقـة الممتـازة بالمدينـة وبـدأت السـورة بـذكرهم ومدحهم". وظهرت في المجتمع المدني طبقات أخرى:

١. طبقة المتقين.
٢. طبقة الكافرين.
٣. طبقة المنافقين.
٤. طبقة اليهود.

* أما صفات الكافرين فجاءت من الآيات: ٦-٧ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ .... وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

* وأما صفات المنافقين فجاءت في الآيات: ٨-٢٠ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ... إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٌ﴾.

السبب الرئيس لظهور المنافقين

هو ظهور قوة الإسلام ودولتهم، خاصّة بعد غزوة بدر الكبرى: فاحتاج خاصةً الكُبراء من الناس إلى المجُاملة والمُداهنة والمُصانعة للحفاظ على مصالحهم الشخصية ومكتسباتهم. (لذلك إياك أن تضع الحق في كفّة، ومصالحك الشخصية في كفّة ثانية، وتُرجّح كفةّ مصالحك، فانظر إلى إيمانك) ﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ﴾ [البقرة:١٤] الشياطين هم اليهود.

قصّةُ اليهود مع الدّعوة الإسلامية

أو أسباب عداوة اليهود لدعوة الإسلام:

١. فقدان اليهود مكانتهم الدينية بين الناس في مكة والمدينة.
٢. كان العرب يُعدّون اليهود أعلم منهم باعتبارهم أهل كتاب سماوي.
٣. كان اليهود يعيشون على حالة الانقسام الداخلي بين الأوس والخزرج في المدينة وهذا فيه منافع لهم:
   أ. أنّ لهم السيادة السياسيّة.
   ب. أنهم يُحصّلون اكتسابات ماديّة.
٤. لما جاءهم الإسلام حرمهم هذه المزايا كلها فقد:
   أ. جاء القرآن الكريم مهيمناً على جميع الكتب السابقة.
   ب. أزال الفُرقة بين الأوس والخزرج ووحّد الصف الإسلامي.

جـ. أقام مجتمعاً فريداً متميزاً وهو مجتمع المهاجرين والأنصار.

٥. كان اليهود يعتقدون وما يزالون أنهم شعب الله المختار، ويجب أن تكون خاتمة الرسالات منهم، فكانوا يتطلّعون أن يكون نبي آخر الزمان منهم؛ فقد أخفى الله عنهم هذه المعلومة في كتبهم، حيث كانت كل صفاته واضحة إلا هذه الصفة لم تُذكر.

٦. بعد أن ظهر النبي ظنوا أن دعوته خاصّة بالعرب وليس لهم أي علاقة بها، وأنهم خارجون عن هذا النطاق وهذه الدعوة؛ فلم يلبثوا إلا أن دعاهم النبي ﷺ وقال لهم (لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبّعني). فسار فيهم الحسد لأن الله اختاره نبياً وكان خاتم الأنبياء، ورسالته خاتمة الرسالات، وأنزل عليه خاتم الكتب السماوية ومُهيمناً عليها.

٧. ولا يزال حسد اليهود للنبي محمد ﷺ من النجاح السريع في الدعوة الإسلامية والنجاح الشامل في المدينة المنورة.

٨. العُزلة السياسيّة والاجتماعية لليهود في مجتمع المدينة، بعدما كانوا فيه ظاهرين أصبحوا معزولين عقلياً واقتصادياً، حيث كانوا هم سادة الميدان التجاري من خلال (الربا)، فأوقف ذلك الإسلام، فأثّر على مصالحهم الشخصية فأصبحوا أمام خيارين أحلاهما مُرّ:

أ. إمّا الاستجابة للدعوة الإسلامية.

ب. أو الذوبان في المجتمع الإسلامي والانتظام في نظامه.

- قال سيّدٌ: ومن هنا نجد أن الحديث عن اليهود في سورة البقرة يأخذ مساحاتٍ واسعة).

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾ [البقرة:٤٠]

﴿۞أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾ [البقرة:٧٥]

﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٠﴾ [البقرة:٨٠]

﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة:١١١]

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾[البقرة:٨٩]

- قال سيّدٌ: (وكان من معجزة القرآن الكريم أنَّ صفتهم التي دَمَغَهُم (وصَفَهم) بها هي الصفة المُلازمة لهم في كل أجيالهم من قبل الإسلام ومن بعده إلى يومنا هذا).

ثم يقول سيّدٌ: (وكأنّ هذه الكلمات الخالدة هي التنبيه الحاضر والتحذيرُ الدائمُ للأمة الإسلامية تجاه أعدائها الذين واجهوا أسلافها بما يُواجهونها اليوم به من دَسٍّ وكيدٍ وحربٍ مُنوّعة المظاهر مُتحّدة العقيدة).

وصفٌ عامٌّ للسّورة

تبدأ السورة بوصف تلك الطوائف الأربعة (المتقين، الكافرين، المنافقين، اليهود)، ثم بعد ذلك خطاب الناس جميعاً، "يا أيها الناس"، ثم بعد ذلك تحدّي المرتابين بأن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بسورة من مثله ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة:٢٤]، ثم التعجيب من الذين يكفرون بخالقهم ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة:٢٨]، فالله سبحانه خلق كل ما في الأرض للناس وذكر قصة الاستخلاف والعهد لبني آدم ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة:٣٠] ثم تجولت بنا الآيات في جولة واسعة مع بني إسرائيل... ثم ذكر أن اليهود قد أعلنوا عداءهم لجبريل عليه السلام لأنه قد نزل على سيدنا محمد " ﴿قُلْ مَن

كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾[البقرة:٩٧] ويشبهون بذلك بعض طوائف الشيعة الذين يقولون (تاهَ الأمين بالرسالة). ثم ذكر أن اليهود حاولوا إثارة الشُبهات والتشكيكات في صحّة الأوامر النبويّة مثل شأن تحويل القبلة ثم ينتهي السياق بشنّ حملة قويّة على اليهود وأفاعيلهم ويخُتتم هذا السياق بتيئيس المسلمين من الطمع بإيمانهم (اليهود) ثم يبينّ لنا السياق الكريم أن ورثة إبراهيم الحقيقيّين هم الذين يسيرون على نهجه وأن هذه الوراثة انتهت إلى محمد ﷺ، وأن هذه الوراثة جاءت عندما وقف إبراهيم عند الكعبة يدعو ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ ...﴾ [البقرة:١٢٩]، ثم يبدأ سياق السورة يتجّه إلى النبي ﷺ والجماعة المسلمة ووضع الأسس للجماعة المُستخلفة الجديدة (جيل الصحابة الجيل القرآني الفريد المُتميّز الناجح) ومن ذلك يتعيّن قبلة جديدة ورسول جديد، ودولة جديدة، وكتاب جديد، ومناهج جديدة، هو منهج التصوُّر والعبادة، منهج السلوك والمعاملة، هذا المنهج ذكر جملة من الأحكام (القصاص، الوصيّة، الصوم، الجهاد، الحج، المطاعم والمشارب، الزواج والطلاق، الصدقة، الربا، الدَّين، التجارة والرَّهن، الإرث)...

قال سيّدٌ: إذن كان الحديث في الجزء الثاني قد انصرف إلى بناء الجماعة المسلمة وإعدادها لحمل الأمانة.

خاتمة السُّورة

(وفي النهاية وفي ختام السورة ينعطف على افتتاحها، حيث كانت بدايتها عن صفات المتقين المؤمنين ومُقومات الإيمان، وكذلك نهايتها عن صفات المؤمنين ومقوّمات الإيمان).

وهاتان الآيتان هما كنزٌ من تحت العرش. وذكرت أركان الإيمان: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، ثم ذكرت ثناءً ومدحاً للمؤمنين ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ ثم ذكرت دعاء ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة:٢٨٦].

تعليق

- سورة البقرة شاملة لأحكام الإسلام لذلك كان النبي ﷺ يُولـيِّ على القوم مَنْ يحفظها؛ لأنه بذلك قد جمع معالم المنهج، هذا المنهج الشامل الذي هو الصراط المستقيم في سورة الفاتحة نجده عقيدة في آية الكرسي، وعبادة في أحكام الصيام والحج، ومعاملات في الإنفاق وتوثيق الديون، يُغلّفها جميعاً ثلاثة محاور:

أ. طاعة الله.

ب. تميُّز الأمة.

جـ. تقوى الله.

-وجاءت الخاتمة بالدعاء لأنه قد يُخطئ الإنسان في حياته أثناء قيامه بهذا المنهج وقد يضعف، فالصراط المستقيم هو هداية من الله، لذلك يحتاج المسلم إلى العون الربّاني بأن يدعو بالعفو والغفران والرحمة، فإذا قام المسلم بقتال من أراد محاربة هذا المنهج وأهله فهو يسأل النصر على القوم الكافرين.

الرُّبع الأول

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢]

- معـــــاني الكلمـــــات.
- التفســـير والشـــرح والبيـــان.
- اثنـــان وثلاثـــون ســـؤالاً.
- لطـائف لغويـة وفوائـد قرآنيـة.
- تحـــــدّي وإعجـــــاز.
- العمـــــى.. والعمـــــهْ.

الرُّبع الأول
معاني الكلمات

كما ذكرها ابن كثير رحمه الله:

الم: ذكر ابن كثير في تأويل هذا اللفظ الكريم أن فيها أقوالاً كثيرة أبرزها:

١. ممّا استأثر الله بعلمه.
٢. ممّا فُسّر من قبل جهابذة العلماء.
٣. أنّها للسور نفسها.
٤. أنها فواتح افتتح الله بها القرآن الكريم.
٥. أنها اسم من أسماء الله الحسنى وهذا بعيدٌ جداً، ومنهم من قال بأنها اسم من أسماء القرآن الكريم.
٦. أنها اسم الله الأعظم على أحد الأقوال وهذا أبعد وأغرب من سابقه.
٧. أنها قسمٌ أقسم الله به.

تحدّي.. وإعجاز

يقول الدكتور صلاح الخالدي: الأحرف المُقطّعة التي افتُتحت بها بعض السور القرآنية، للتحدّي والمعاجزة والإعجاز، وللإشارة إلى مصدر القرآن، وأنه كلام الله، حيث يضع بين أيدي الكافرين المُنكرين المادة الأوليّة، لصياغة وتركيب الكلام العربي، وهي الحروف، فإن كنتم في شك، فصوغوا منها كلاماً مثل القرآن في الفصاحة والبلاغة والبيان، فإن عجزتم فاعلموا أنه كلام الله..

ومّما يُلاحظ أنّ عدد الحروف المُقطّعة في أوائل السور – بدون المكرّر – أربعة عشر حرفاً، وهو نصف عدد حروف الهجاء العربية، وكأنّ القرآن يُطالبهم بالإتيان بالنصف الثاني.. وجُمعت تلك الحروف المُستعملة في جُملةٍ لطيفة ذات دلالة وهي: "نصٌ حكيمٌ قاطعٌ له سرٌ" وعدد السور المُفتتحة بهذه الأحرف تسعٌ وعشرون سورة، على عدد حروف الهجاء العربيّة.. وهذا دليلٌ على إعجاز القرآن، وعلى مصدره الربّاني، وعلى ترتيب المصحف التوقيفي من عند الله سبحانه وتعالى..

ذلك الكتاب: أي هذا القرآن: ليس المقصود به التوارة أو الإنجيل.

قال ابن كثير (من قال إن معنى الكتاب التوراة والإنجيل فقد أبعد الفجعة وأغرق في النزع، وتكلّف ما لا علم له به).

لا ريب فيه: الرَّيْبْ: الشك، والتُهمة، والاضطراب، ثلاثةُ معانٍ، قد نفى الله عزّ وجلَّ هذه المعاني الثلاثة عن القرآن الكريم لعظمة هذا الكتاب.

هدىً: يُطلق الهدى ويُراد به:

١.ما يستقرّ في القلب من الإيمان بالله.
٢.البيان والتوضيح والإرشاد.
٣.الهدى هو حقيقة هذا الكتاب وكيانه وماهيّته وطبيعته.

للمتقين: التقوى: أصلها التّوقيّ مما يكره.

يؤمنون: الإيمان: لغة: التصديق المحض.

اصطلاحاً: ما يتعلق بالاعتقاد والقول والعمل.
وقالوا: "الإيمان: ما وقَرَ في الجَنَان، ونطقَ به اللسان، وصدَّقْتهُ الأركان".

فالمتقين: الذي تجنبوا المعاصي وأدّوا الفرائض فوَقَوْا أنفسهم العذاب.

الغيب: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنّته وناره ولقاءه والحياة بعد الموت، والبعث.. فهذا كلّه غيب.

غشاوة: غطاء وستر.. الشغاوة: ما يُغطى به الشيء، من غشاه إذا غطّاه، يُقال: غَشِيهُ غشاوة وغشاية، ستره وغطّاه.. وهو هنا غطاء التعامي عن آيات الله ودلائل توحيده.

الصّلاة: أصل الصّلاة في لغة العرب: الدعاء.

وابن كثير الفقيه في اللغة يقول أنّ (اشتقاقها من الدعاء أصحّ).
اصطلاحاً: قال ابن كثير (هي أفعال مخصوصة في أوقاتٍ مخصوصة، بشرائط مخصوصة).

هُدىً: نور واستقامة، وسداد وتوفيق، ورشاد ويقين..

المُفلحون: المعنى العام هم الفائزون.. يقول ابن كثير (هم الذين أدركوا ما طلبوا ونَجَوْا من شرِّ ما هربوا).

خَتَم: طَبَع، الخَتْم: الطبْع: هو تثبيت الذنوب على القلب من كل نواحيه حتى تلتقي عليه فيغلق.

قال ابن كثير: (وهو نظير الختم على الأوعية والظروف فلا يُفتح إلا من صاحبه).

أي مغلف أو بريد أو طرد أو كتاب لا يُفتح إلا بإذنٍ من صاحبه.

السُّفهاء: جمع سفيه. والسَّفيه: الجاهل، الضعيف الرأي، قليل المعرفة بمواضع المصالح المضارّ، خفيف العقل، أصل السّفه: الخفّة والاضطراب. والسفهاء: الخرْقَى.

يعمهون: العَمَهْ: الضلال، الحيرة، التردُّد، عدم الدّراية، والعمهْ: في البصيرة، وقال بعضهم: العمى في العين، والعمه في القلب.. وقد تستعمل العمى بالقلب أيضاً لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[الحج:٤٦].

يقال: عَمِهَ عَمَهاً: إذا تردّد وتحير، فهو عَمِهٌ وعامِهٌ وهم عامهون، وعُمَّه، كرُكَّعْ.

يخادعون: يعملون عمل المخادع. الخداع: إنزال الغير عمّا هو بصدده بأمرٍ يُبديه على خلاف ما يُخفيه.

مرضٌ: شك ونفاق أو تكذيب وجحد (آفة وعلّة).

خلو إلى شياطينهم: انصرفوا إليهم أو انفردوا معهم. يُقال: خلا به وإليه ومعه، خَلْوا وخلاءً وخَلْوة.

ويمدُّهم: يزيدهم أو يُمهلهم.

طغيانهم: مجاوزتهم الحدّ وغلوّهم في الكفر.

سؤال١:

ما هي أبرز العناصر التي عرضها سيدٌ في حديثه عن افتتاحية السُّورة؟

١. قال سيّدٌ: (في هذا المقطع الذي يكوّن افتتاح السورة الكبيرة نجد الملامح الأساسيّة للطوائف التي واجهتها الدعوة بالمدينة المنورة، باستثناء اليهود، وإن وَرَدَتْ إشارة بأنهم شياطين).
٢. قال سيّدٌ: (في رسم هذه الملامح تجدُ خصائص التعبير القرآنية في اللغة العربية كأن الكلمة تقوم مقام حيٍّ، إذ سُرعانَ ما ترسم الصورة من خلال الكلمات كأنّها تنبضُ وتموج بالحياة).
٣. قال سيّدٌ: (في عددٍ قليلٍ من الكلمات تُرسم لنا الآيات صور لثلاثة نماذج لمجموعاتٍ ضخمة من البشر في كل زمان ومكان) وذلكم هو الإعجاز.
٤. في تلك الكلمات القليلات تُرسم الصورة دقيقة الصفات والميّزات.
٥. بعد عرض هذه الصور الثلاث (المتقين، الكافرين، المنافقين) دعى الله سبحانه وتعالى الناس جميعاً إلى الصّورة الأولى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١] وذكّرهم ببعض، نعم الله عليهم: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة:٢٢].
٦. تحدّاهم أن يأتوا بسورة من مثل هذا القرآن ولن يفعلوا، وحذّرهم بالعذاب وبشّر المؤمنين بحُسن المآب ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة:٢٣].

التفسير والبيان

نستشعر أنّنا نحن في رعاية الله والملائكة ونحن نعيش هذه الظلال رحمك الله يا سيّد أيها العملاق العبقريّ.

سؤال ٢:

ما الذي رجّحه سيدٌ في معنى ﴿الٓمٓ﴾؟

قال سيّدٌ: ورد في تفسيرها وجوهٌ كثيرة أختار منها أن هذه الحروف إشارة للتنبيه إلى أن هذا الكتاب مؤلف من جنس هذه الأحرف، وهم مع ذلك (أي العرب) لا يملكون أن يصوغوا من تلك الأحرف شيئاً مثلها).

إذن يرى سيدٌ أنها رمزٌ للتحدي.

سؤال ٣:

ما ذكره سيدٌ هنا قد ذكره غيره من قبله كالإمام الزمخشري، فما الجديد الذي جاء به سيدٌ؟

الجديد هو أن سيد بفكره الصائب ونظره الثاقب وسَّع دائرة هذا الفهم.. قال سيّدٌ: الشأن في هذا الإعجاز هو الشأن في خلق الله جميعاً.. مثال ذلك: هذه التربة الأرضية مؤلفة من ذرات معلومة الصفات قد تصوغ منها لبِنة، آجُرَّة، آنية، أسطوانة، هكيلاً، ولكنّ الله سبحانه المُبدع يجعل في تلك الذرات سرَّ الحياة.

فالله جعل من التراب أناساً يمشون على الأرض، تماماً كالحروف جعلها تنبض بها الروح بالآيات والسورْ ولم يستطيعوا أن ينظموا نظماً كالقرآن.

قال سيّدٌ: وهكذا القرآن الكريم حروفٌ وكلماتٌ قد يجعل البشر منها كلاماً ولكن الله قد جعل منها قرآناً وفرقاناً، والفرق بين صنع البشر وصنع ربّ البشر هو الفرق ما بين الجسد الخامد والروح النابض، كالفرق بين صورة الحياة وحقيقة الحياة) فمثلاً عدة أشخاص صنع كل واحد منهم تمثالاً وجمّله، وأضافوا عليه، لكن مهما فعلوا وأضافوا وزيّنوا لن يستطيعوا أن يجعلوه يمشي على رجليه.

سؤال ٤:

هل يفهم من هذا الكلام أن سيداً يقول بخلق القرآن؟

خَلْق: أي فيه روح.. أنه مخلوقٌ كباقي المخلوقات.. لأن سيد قال إن القرآن كخلق الله جميعاً.. هذا فهمٌ غير صحيح.. بل هو كذبٌ وافتراء على سيد، لقد قَوَّل سيداً ما لم يقُلْه، فلم يتذوّق حُسن التعبير عنه، إنَّ سيّداً أراد شيئاً من التوضيح، وشيئاً من التشبيه حتى يُقرب الفهم للناس، فيجب أن نتأدَّب مع العلماء ونحفظ لحومهم، خاصّةً لمن قدّم دمه وروحه فداء لهذا الدين.

سؤال ٥:

أحسن سيّدٌ في استخلاص مفاتيح القرآن من خلال الآية الثانية لسورة البقرة فما هي؟

قال سيّدٌ: لمن يكون ذلك الكتاب هدىً ونوراً ودليلاً ناصحاً أميناً؟

أ. للمتقين فالتقوى هي التي تفتح مغاليق القلب: هي التي تهيئ له بأن يلتقط، وأن يستجيب.

ب. لمن يجيء إلى القرآن بقلبٍ سليم خالص.

جـ.لمن يجيء إلى القرآن بقلبٍ يخشى ويتوقّى.

عندئذٍ: يفتح القرآن عن أسراره وأنواره ويسكبها في القلب).

سؤال ٦:

كيف لَمَسَ سيّدٌ معنى التقوى وقشَّر عن لُبّها؟

قال سيّدٌ: التقوى حساسية في الضمير، شفافية في الشعور، وخشيةٌ مستمرة، وحذرٌ دائم، وتوقٍّ لأشواك الطريق:

أ.أشواك الرغائب والشهوات.

ب.أشواك المطامح والمطامع.

جـ.أشواك المخاوف والهواجس.

د.أشواك الرجاء الكاذب والخوف ممن لا يملك نفعاً ولا ضرّاً).

سؤال ٧:

ما الفوائد التي استخلصها سيدٌ في حديثه عن الصفة الأولى للمتقين (الإيمان بالغيب)؟

والله إنها لكلماتٌ لذيذةً تملأ الروح بالسكينة، سنتذوّقها بدون قطر حتى لا نصاب بسكّر الروُّح.

١. الإيمان بالغيب يُعطينا قوة، حتى لا تقوم حواجز الحسّ دون الاتصال بين أرواح الخلق وبين سيد الوجود [فلو قام الإيمان كلّه على الماديّات والمحسوسات لكانت علاقتنا مع الله ماديّة بحتة].
٢. الإيمان بالغيب هو العتبة التي يجتازها الإنسان ليتجاوز مرتبة الحيوان.. لأن الحيوان لا يؤمن إلا بالحسّ والمادة. [ما الفرق بيننا وبين باقي المخلوقات إلا العقل لذلك فالعقل يُفتح الآفاق].
٣. الإيمان بالغيب نقلةً عقدية في تصوُّر الإنسان لحقيقة الوجود كلّه.
٤. .الإيمان بالغيب يشعر الإنسان أنّ مداه أوسع في الزمان والمكان في عمره القصير المحدود.
٥. صيانة الطاقة البشريّة الفكريّة المحدودة من التبدُّد والتمزُّق والانشغال بما لم تُخلق له.
٦. الإيمان بالغيب هو مفرق الطريق في ارتقاء الإنسان عن عالم الهمجيّة. والماديّة الآسن الآتن.

إذن: الإيمان بالغيب هو نعمةٌ عظيمةٌ ميّز الله بها المتقين وأكرمهم بها.

سؤال ٨:

ما أسرار الصلاة التي ذكرها سيدُ في تعقيبه على الصفة الثانية للمتقين "ويُقيمون الصلاة"؟

قال سيدٌ:

١. إنّهم (أي المُصلّون) يحنون جباههم لله لا للعبيد.
٢. القلب الذي يسجد لله ويتصّل به على مدار الليل والنّهار يجد لحياته غايةً أعلى من أن يستغرق في الأرض وحاجات الأرض.
٣. ويُحسُّ (أي المُصلّي) أنه أقوى من المخاليق لأنّه موصولٌ بخالق المخاليق).

سؤال ٩:

ماذا عن حديث سيد عن صفة الإنفاق؟

قال سيدٌ:

١. (هم يعترفون (المُنفقون) ابتداءً بأن المال الذي هو في أيديهم إنّما هو رزق من الله لهم ["ومما رزقناهم" مَنْ الذي رزقهم إنه الله].
٢. من هذا الاعتراف (أي مما رزقناهم) ينبثق البر بصفات الخلق، والتّضامُن بين عيال الخالق سبحانه والشعور بالآصرة الإنسانيّة وبالأخوّة البشريّة.
٣. تتطهَّر النفس من الشُحْ والبُخل.
٤. وبالتالي تصبح الحياة مجال تعاونٍ لا مُعترك تطاحن.
٥. وتُشعر الضعاف الفقراء بأنهم يعيشون بين قلوبٍ ووجوهٍ ونفوسٍ لا بين أظفارٍ ومخالب وأنياب).

سؤال ١٠:

جاء التعبير القرآني بالإنفاق لا بالزكاة فما السرُّ في ذلك؟

١. الإنفاق يشمل (الزّكاة والصدقة وسائر ما يُنفق في جوّ الخير) [فهو دائرة أوسع من الزّكاة وأعمّ].
٢. شُرِّع الإنفاق قبل الزكاة لأنّه الأصل الشامل الذي تُخصّصه نصوص الزكاة ولا تستوعبه.
٣. تقرير مبدأ الإنفاق على شموله هو المقصود هنا، وقد سبق ذلك فرضيّة الزّكاة.

سؤال ١١:

ما قيمة الصّفة الرابعة للمتقين ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ وما وجه ذكرها هنا؟

١. الشعور بوحدة البشريّة ووحدة دينها ووحدة رُسله ومعبودها [أصول العقائد الواحدة عبر التاريخ].
٢. تنقية لروح المؤمن من التعصُّب الذميم للديانات الأخرى.
٣. الاطمئنان لرعاية الله سبحانه وتعالى للبشرية عبر التاريخ وبتوالي الأجيال بإرسال الرسل وإنزل الكتب كما تقول الآية: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [المؤمنون:٤٤].
٤. الاعتزاز بالهدى الثابت مع تقلُّب الزمان، كالنّجم الهادي في دياجير الظلام [أي أن العقيدة ثابتة لا تتغيّر].

سؤال ١٢:

رتِّبْ صفات المتقين كما ذكرت في أوائل البقرة؟

١. يؤمنون بالغيب.
٢. يقيمون الصلاة.
٣. مما رزقناهم يُنفقون.
٤. يؤمنون بما أنزل إليك وما أُنزلَ من قبلك.
٥. وبالآخرة هم يوقنون.
٦. على هدىً من ربهم.
٧. هُم المفلحون.

لفتة طيبة

التقوى: هي السّلاح الأقوى الذي يتسلّح به المؤمن.

ورد عن عمر بن الخطاب أنه سأل أُبي بن كعب عن التقوى فقال له: أما سلكتَ طريقاً ذا شوك؟ قال: بلى، قال: فما عملت؟ قال: شمّرت واجتهدت، قال: فذلك التقوى.

فالتقوى في القلب هي الأساس الذي يُؤهل المؤمن للانتفاع بهذا الكتاب، لأن أسرار وأنوار وكنوز القرآن الكريم لا تُمنح إلا للقلب التّقي النّقي، الخائف الخاشع، الحسّاس، القلب المُهيّأ للتلقيّ.

والتقوى: شعورٌ في الضمير. وحالة في الوجدان تنبثق منها اتجاهاتٍ وأعمال، وتتوجّه بها المشاعر الباطنيّة والتصرّفات الظّاهرة، وتصل الإنسان بالله في سرّه وجهره، وتشفّ معها الروُّح، وتقلُّ الحُجب بينها وبين الكلي الذي يشمل عالَمَيْ الغيب والشهادة.

الإيمان بالغيب: ثمّ يأتي بعد التقوى الإيمان بالغيب ليكون هو الثمرة الطبيعيّة لإزالة الحُجب واتّصال الروّح بالغيب، ويشعر المؤمن بآصرة القُربى لكل مؤمن وكل رسالة وكل نبيّ.

والإيمان بالغيب: هو العتبة التي يتجاوزها الإنسان فيتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يُدرك إلا ما تُدركه الحواس فليس من يعيش في الحيّز الصغير الذي تُدركه الحواس كمن يعيش في الكون الكبير الذي تُدركه بديهيّته وبصيرته، فالمحدود لا يُدرك المُطلق.

الصلاة: القلب الذي يسجد لله حقاً ويتّصل به على مدار الليل والنهار يستشعر أنه موصولُ السبب بواجد الوجود، ويُحسّ بأنه أقوى من المخاليق لأنّه موصولٌ بخالق المخاليق، هذا كلّه مصدر قوة للضمير، كما أنّه مصدر تقوى، وعاملٌ هامٌ من عوامل تربية الشخصية، وجعلها ربّانية التصوُّر، ربانيّة الشعور، ربانيّة السلوك.

ذلك الكتاب: ذلك: اسم إشارة للمفرد المذكر البعيد.

ذلك الكتاب: تعظيم وتشريف ورفعة شأن.

الكتاب: تعريف وتخصيصٌ بأل التعريف لم يقلها نكرة بل معرّفة، فلا بدّ أن يكون المؤمن في مضمار التقوى حتى يحصل على الهداية.

يُنفقون: يقول النبي ﷺ: "داووا مرضاكم بالصدقة"، ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران:٩٢].

النفقة: تشمل (الزكاة + الصدقة). والنفقة: فوق حدّ التكليف فمن عشق التكليف أعطى زيادة عنه.

الإيمان بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك: لتنقية الرّوح من التعصُّب الذميم للدّيانات، والاطمئنان إلى رعاية الله للبشريّة على تطاول أجيالها وأحقابها.

اليقين بالآخرة: كأنّ المؤمن يراها رأي العين، ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ﴾ [التكاثر:٧]. واليقين بالآخرة: هو مفرق الطريق بين من يعيش بين جّدران الحسّ المغلقة، ومن يعيش في الوجود المديد الرّحيب، ومَنْ يشعر أنّ حياته على الأرض ابتلاء يُمّهد للجزاء في الآخرة، وإنّ الحياة الحقيقية إنّما هي هنالك وراء هذا الحيّز الصغير المحدود.

أولئك على هدىً من ربهم وأولئك هم المفلحون:

أولئك: خصّهم بزُمرة واحدة بمُفردهم، في مكانٍ مرتفع.

هدىً: نور وبصيرة وهداية.

من ربهم: الهديّة تُقدّر بمُهديها، وهذه الهدى ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ كفاهم شرفاً وفخراً وعزّاً بأنها من ربهم وخالقهم، ومولاهم، ووكيلهم، ووليّهم، هو حسبُهم وكافيهم.

وأولئك: مرةً أخرى زيادة في التكريم والتخصيص والفلاح والرّفعة.

المُفلحون: المُفلح هو الذي يشقّ الطريق بالفِلاحة وبذل الجهدُ والتعب، والإنسان لا يجد ثماراً إلا بالتّعب والمشقّة.

سؤال ١٣:

ما هي صفات الكافرين؟

١. لا يؤمنون، سواء مع الإنذار أو عدمه.
٢. ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم.
٣. على أبصارهم غشاوة.
٤. لهم عذاب عظيم.

الختمْ: ليس بعد الختم أي أمل، وأي استقبال، وأي استجابة. والختم: هو الطبْع، والتغطية على الشيء بحيث لا يكون لها أي منفذ، فلا يسمعون الحق

ولا يرونه رغم أنّه أمامهم بسبب معاصيهم، كالإنسان الأعمى تماماً لا يرى مهما كان النور أمامه.. فلا تصل إليه حقيقة من الهدى، ولا صدى، ولا نورٌ يُوصوِص له، وغُشي على أبصارهم حتى تساوى عندهم الإنذار وعدمه.

مثلُهُم: المَثَل الصفة، ومنه ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي الصفات العُلا، وأصل المَثَل بمعنى المِثْل. والمِثْلُ: النظير والشبيه.

الصَّيِّب: قيل أنه المطر، وقيل أنه السحاب. من الصَّوْب وهو النزول يُقال: صابَ صَوْباً، إذا نزل وانحدر. قال ابن كثير: (والأشهر أنه المطر ينزل من السماء).

الظُّلمات: الشكوك، والكفر، والنفاق. وتحدث الظلمات عند تكاثف السحب في السماء وحجبها ضوء الشمس.

الرَّعد: هو ما يُزعج القلوب من الخوف. والرعد معروف لدينا.. وكذلك فإن الحديث عن النار يُخيف فهو كالرعد على القلوب، وهذا شأن المنافقين. يخافون ويفزعون. والرعد يصمّ الآذان.

البرق: كما هو معروفٌ لدينا ونراه بأمّ أعيُننا، هو ما يلمع في قلوب هؤلاء المنافقين أو هؤلاء الضَرْب (النوع) من المنافقين في بعض الأحيان من نور الإيمان.

أنداداً: شركاء. أو العُدَلاء. الذين اتخذوهم من دون الله.

وَقُودها: الوقود بفتح الواو ما يُلقى في النار لإضرامها. الإضرام: زيادة اشتعال، كالحطب وغيره.

الحجارة: هي حجارة الكبريت العظيمة السوداء الصلبة المُنتنة ذات الرائحة الكريهة.

قال ابن كثير: (وهي أشدُّ الأحجار حَرّاً، وهي أشدُّ الأحجار إذا حميتْ أجارنا الله منها). وقيل إنها حجارة الأصنام والأنداد التي كانت تُعبد من دون الله. وسند هذا القول هي الآية الكريمة التي تقول: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾.

بُكمٌ: خُرْسَ عن الهدى والحق فلا ينطقون بهما، جمع أبكم وبكيم، وهو الذي يولد أخرس، أو مَنْ به داءٌ في اللسان يمنع من الكلام. يقول الراغب الأصفهاني (كل أبكم أخرس وليس كل أخرس أبكم).

لطائف لغويّة وفوائد قرآنيّة

ذلك الكتاب: الكتاب: مصدر كَتَبَ، كالكَتْب، وأصل الكتْب ضمُّ أديم إلى أديم بالخياطة، واستعمل عُرْفاً في ضمّ الحروف بعضها إلى بعضٍ بالخط وأُريد به هنا المنظوم عبارةً قبل أن تُنظم حروفه التي يتألف منها في الخط، تسميةٌ للشيء باسم ما يؤول إليه.

لا ريب فيه: الرَيب: الشك والظنّة والتهمة، مصدر رابهُ الأمر إذا حصل عنده فيه ريبة. وقال ابن الأثير: هو الشك مع التهمة".

هدىً للمتقين: مصدر هداهُ هُدىً وهدايةً هِدْيَةً – فهُديَ.

المتقين: جمع مُتقٍ، اسم فاعل من اتقى وأصله (اوْتَقى) بوزن افتعل، من وقى الشيء وقايةً، أي صانه وحفظهُ مما يضرّه ويؤذيه، فإذا بُنيتْ منه افتعل تُكتب الواو تاءً وأُدعمتْ في التاء الأخرى فصارتْ آتقى.

يُقيمون الصلاة: يُعدّ لون أركانها، ويوفون شرائطها، ويحفظونها من أن يقع زَيْغٌ في أفعالها، من أقام العود إقامةً إذا أزال اعوجاجه، قوّمه. وإقامة الصلاة: إقامتها ظاهراً بإتمام أركانها وواجباتها وشروطها، وإقامتها باطناً بإقامة روحها، وهو حضور القلب فيها، وتدبُر ما يقوله ويفعلهُ فيها. فلا ثواب للإنسان من صلاته إلا ما عقل منها.

يُنفقون: الإنفاق: هو إخراج المال وإنفاده وصرفه، يُقال: نفق بفتح الفاء، وكسرها، نفذَ وفنَي أو قلّ، وأصل المادة: يدل على الخروج والذهاب.

وأتى بِـ "مِنْ" الدالة على التبعيض، ليُنّبهَّهُم أنه لم يُردْ منهم إلا جزءً يسيراً من أموالهم، غير ضار لهم ولا مثقل، بل ينتفعون هم بإنفاقه.

يوقنون: الإيقان: هو التحقُق، يُقال: يَقنِ الماء، إذا سكن وظهر ما تحته، واليقين: العلم وزوال الشك، يُقال: يقِنتُ –بالكسر- يقْناً، وأيقنتُ وتيقنتُ واستيقنتُ

بمعنىً واحد. وهو درجة من العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتهما. يصحبها ثباتُ الحكم وسكون النفس وطمأنيتها.

سواءٌ: اسم مصدر بمعنى الاستواء، خبر إنّ، والجملة الاستفهامية – بعده مرفوعة به على الفاعليّة لتأويلها بمفرد.

أأنذرتَهم: الإنذار: إخبارٌ من تخويف في مدّة تتّسع للتحفُّظ من المخُوف) فإن لم تتسع له فهو إعلام وإشعار، لا إنذار. وأكثر ما يُستعمل في القرآن في التخويف من عذاب الله تعالى.

خَتَمَ اللهُ: الخَتْم: هو وضع الخاتم على الشيء وطبعه فيه، لكيلا يخرج منه ما حصل فيه، ولا يدخله ما خرج منه.

قال الراغب الأصفهاني: (إشارة إلى ما أجرى الله به العادة أنّ الإنسان إذا تناهى في اعتقاد الباطل أو ارتكاب المحظور، دون تلفتٍ بوجه إلى الحق يورّثه ذلك هيئةً تمرّنه على استحسان المعاصي، وكأنّما يُختَم بذلك على قلبه). وإنما خصَّ القلب بالخَتمْ لأنّه محلُّ الفهم والعلم.

عذابٌ عظيم: أصل العذاب: المنع. يُقال: عَذَبَ الفرسُ: أي امتنع عن العَلفَ. وعَذَب الرجل: إذا ترك المأكل والنوم، فهو عاذب وعذوب، ثم أُطلق على الإيجاع الشديد، لما فيه من المنع عند اقتراف الذنب.

يُخادعون الله: المُخادعة: أن يُظهر المُخادع لمن يُخادعُه شيئاً ويُبطن خلافه، لكي يتمكّن من مقصوده ممّن يُخادعه. فهؤلاء المنافقون سلكوا مع الله وعباده هذا المسلك، فعاد خداعُهم على أنفسهم، فإنّ هذا من العجائب، لأن المُخادع إمّا يُنتج خداعه، ويُحصل ما يريد، أو يسلمْ لا له ولا عليه، وهؤلاء عاد عذابهم عليهم، وهذا من عجيب صُنع الله. فهؤلاء يُخادعون رسول الله بإظهار الإيمان وإبطال الكفر وذلك:

١. ليدفعوا عن أنفسهم القتل والأسر والجزية.
٢. ليفوزوا بسهمٍ من الغنائم.
٣. ليعلموا أسرارَ المؤمنين ثم يفشوها لأعدائهم نكايةًَ بهم.

والاسم منهُ: الخديعة. ونُسب ذلك إلى الله تعالى للتنبيه إلى عُلوّ منزلته ﷺ حيث جعل خداعَه خداعاً له تعالى، وصيغة المُفاعلة (يُخادعون) تقع كثيراً لغير اثنين لأن الألف فيها هي ألف المُشاركة.

وما يشعرون: أي يفطنون إلى أن وبال خداعهم عائدٌ عليهم بالشقاء الأبدي، يقال: شعرَ بالشيء، بفتح العين وضمّها: أي فطِن له. ومنه الشاعر لفطنته؛ لأنه يفطن لما لا يفطنُ له غيره من غريب المعاني ودقيقها.

في قلوبهم مرض: القلب يعرض له مرضان يُخرجانه عن صحّته واعتداله: مرض الشُبهات الباطلة، ومرض الشهوات المُردية، فالكفر والنفاق والشكوك والبدع كلها من مرض الشبهات. والزّنا ومحبة الفواحش والمعاصي وفعلها من مرض الشهوات، والمُعافى من عافاه الله من هذين المرضيْن فحصل له اليقين والإيمان، والصبر عن كل معصية فرَفَلَ في أثواب العافية.

وسُمّي هنا الكفر والنفاق مرضاً:

١.لكونه مانعاً من إدراك الفضائل كالمرض المانع للبدن من التصرُّف الكامل.

٢.أو لكونه مانعاً من تحصيل السعادة الأخروية.

٣.أو لميْل النفس به إلى الاعتقادات الفاسدة، ميل المريض إلى الأشياء المُضرّة.

لا تُفسدوا في الأرض: الفساد: خروج الشيء عن حالة الاعتدال والاستقامة وضدّه الصلاح. يُقال منه: فسد الشيء فساداً. وأفسده إفساداً.

مُستهزئون: الاستهزاء: السُخرية والاستخفاف، يُقال: هزأ منه وبه استهزأ به، أي سخر.

الله يستهزئُ بهم: يُحقّرهم: تحقيراً يتعجب منه: وسُميّ استهزاءً مشاكلةً كما في قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى:٤٠].

السُّفهاء: حقيقة السَّفه: جهلُ الإنسان بمصالح نفسه، وسعيه فيما يضرّها. "قالوا: أنؤمن كما آمن السفهاء" يعنون –قبَّحهم الله – الصحابة رضوان الله عليهم، بزعمهم أنّ سفههم أوجب لهم الإيمان، وترك الأوطان، ومُعاداة الكفار. والعقل عندهم يقتضي ضد ذلك. وفي ضمنه أنهم الصحابة هم العقلاء بل أرباب الحمى والنهى. فردّ الله ذلك عليهم وأخبر أنهم هم السفهاء على الحقيقة.

يمدُّهم: يُمهلهم ويُملي لهم. المدّ: هو الإمهال، يُقال: مَدَّهُ في غيّه أمهله وطوّل له، أو يزيدهم ويُقوّيهم على وجه الإملاء والإرخاء. وأكثر ما يُستعمل المدّ في المكروه، والإمداد في المحبوب.

كمثل الذي استوقد ناراً: أي أوقد ناراً عظيمة. و(ناراً) جاءت منكرة وذلك للتفخيم. والإضاءة: فَرْطُ الإنارة.

هنا شبّه الله عزّ وجلّ المنافق بموقد النار، وإظهاره الإيمان لاجتنائه ثمراته بالإضاءة، وانقطاع انتفاعه بإهلاك، وإفشاءُ حاله بانطفاء النار وذهاب نورها.

يخطفُ أبصارهم: الخْطف: السّلب. يذهب بها ويسلُبها. وإذا أظلم عليهم قاموا: يُقال: قامت الدابّة: إذا وقفتْ، وقام الماء إذا جمد. والمعنى هنا: إذا اختفي عنهم وقفوا عن المشي في أماكنهم، مُتحيّرين مُترصّدين ومضة أخرى ليصلوا إلى مقاصدهم.

الأرض فراشاً: يُقال للمفروش: فَرْش وفِراش. وهذا لا يُنافي كرويّتها في الجملة، لأنّ الكرة إذا عظُمت كانت كل قطعة منها كالسطح في افتراشه، ذكره النيّسابوري والألوسي: أي صيَّر الأرض لأجلكم مهاداً، كالبساط المفروش، فذلّلها لكم، ولم يجعلها حَزْنَةً غليظة لإمكان الاستقرار عليها.

يقول الراغب الأصفهاني في "مفردات غريب القرآن":

أولئك: اسم إشارة مُبْهمٌ موضوعٌ للإشارة إلى جمع المذكر والمؤنث. ولا واحد له من لفظه، والكاف فيه للخطاب. وقد تدخل عليه ها التنبيه وتُحذف من آخره الكاف فيصبح: هؤلاء. وعندها يستخدم أيضاً لجمع المذكر والمؤنث.

الخَتْم: الطبع. ويُقال على وجهين:

١. مصدر ختم ختْماً، وهو تأثير الشيء كنْقشِ الخاتَم والطابَعْ.
٢. الأثر الحاصل عن النّقش.

الخِداع: إنزالُ الغير عمّا هو بصدده بأمر يُبديه على خلاف ما يُخفيه، أي يُخادعون رسول الله وأوليائه ونُسب ذلك إلى الله تعالى من حيث إنّ معاملة الرسول كمعاملته سبحانه وتعالى. وجعل ذلك خداعاً عظيماً تفظيعاً لعفهلم وتنبيهاً على عِظم الرسول وعِظم أوليائه.

يخشوْن ربَهم: الخشية: خوفٌ شديد يشوبُهُ تعظيمٌ وأكثر ما يكون ذلك عن علمٍ بما يُخشى منه، لذلك خُصّت الخشية للمؤمنين، وخُصَّ العلماءُ بها في قولــه تعــالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر:٢٨].

الرَّيْب: أن تتوهّم بالشيء أمراً ما فينكشف عمّا تتوهّمه، تنبيهاً أنّه لا رَيْب فيه.

أُعِدَّتْ: أُرصدتْ، هُيئتْ تهيئة.

هذا الذي رُزِقنا من قبل:

١. القول الأول في الدنيا.
٢. القول الثاني في الجنة، أي أكلوه قبل قليل.

وادعوا شهداءكم أي ادعوا إلى المعارضة من ينصركم ويشهد أنكم أتيتم بما يُماثله، جمع شهيد بمعنى ناصر أو قائم بالشهادة.

سؤال ١٤:

ما الفرق بين القولين السابقين؟

على سبيل المثال جيء لك بفاكهة وأنت في الجنة (تفاحة أو برتقالة) تتذكر بأنها تشبه تفاحة الدنيا ولكنها في الأكل تجد بأنها تختلف تماماً بطعمها عمّا كان في الدنيا. أو أنه قبل قليل قُدّم لهم مثل هذا الأكل في الجنة، ووجدوها بعد الأكل تختلف تماماً. وهذا القول الثاني هو الراجح، والأقرب إلى الصواب.

متشابهاً: متشابهان في اللون والمنظر فقط، لا في الطعم ولا في الشرف والمزّية والحُسن.

أزواج: بنوعيهم: تشمل الرجال للنساء، والنساء للرجال. جمع زوج ويُطلق على الذكر والأنثى.

مطهّرة:

أ. من القذْر والأذى والحيض والنفاس والغائط والبولُ النُخام والبزاق.
ب.طاهرة طهارةً حسيّة ومعنوية، فهنّ نساء طاهرات قلباً وقالباً.

سؤال ١٥:

خُتمتْ الصفات المتحدثة عن المتقين باليقين ما الحكمة وما الأسرار من ذلك كما ذكرها سيدٌ؟

١. صفة اليقين تربط الدنيا بالآخرة، والمبدأ بالمصير، والعمل بالجزاء.

٢. تُشعر الإنسان أنه ليس لقىً مُهملاً وأنه لم يُخلق عبثاً، فالله سبحانه ضبط هذا الكون ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [المؤمنون:١١٦] وأن العدالة الإلهية في انتظاره.

٣. وبالتالي فالنتيجة تطمئن قلبه:﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[الرعد:٢٨] وتستقّر بلابله (ويرتاح بالُه) ويفيءُ إلى عدل الله ورحمته والعمل الصالح. إذن من نعم الله علينا أننا سنرجع إليه (وإليه يُرجع الأمر كلّه)، كل الجبابرة والأباطرة والقياصرة والسلاطنة والملوك سيرجعون ويُحاسبون ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم:٤٣] والمستقبل لهذا الدين.

سؤال ١٦:

هل من رابط يجمع بين صفات المتقين جميعها؟

قال سيّدٌ: نعم، هناك تناسق وتساوق وانسجام بين هذه الصفات جميعاً) [فإنّ كل كلمة في القرآن الكريم مُتعلّقة بما قبلها وما بعدها].

١. التقوى شعور في الضمير وحالة في الوجدان.

٢. هذه التقوى ينبثق عنها أعمال واتجاهات، فيُصبح انسجام بين الظاهر والباطن (حذر، خوف، حساسيّة إيمانيّة تصدر عن المسلم بالتالي يصبح يتقي الله ويخشاه).

٣. بالتالي تشفّ الروح وتنزاح الحُجب ويُصبح القلب رقيقاً، وهذه ه ثمرة الإيمان بالغيب لذلك جاء بعد المتقين، هم الذين يؤمنون بالغيب، خفتُ من

شـيء لا أراه وهو الله جلّ وعلا، لكنّني أعبده سبحانه كأنني أراه. عزّ وجلّ.

٤. ومع التقوى والإيمان بالغيب أصبح عندي حب لهذه القوة الغيبيّة أصبحت الصلاة هي النتيجة.
٥. بعد الصلاة أخذت أفكر وأعترف بالعطاء الجميل فأخذتْ يدي تسخو بما أعطاني وأصبح شعور الإخاء عندي مع الضعيف والفقير.
٦. بعد العطاء أصبح عندي سعة الضمير الإنساني لموكب الإيمان الفريق عبر الزمان من سيدنا آدم إلى يومنا هذا.
٧. أخيراً جاء اليقين بالآخرة أن الله سيجمعنا جميعاً وهي خاتمة المطاف.

وكأنّها معادلة: تقوى – أعمال صالحة – شفافيّة – صلاة – زكاة وصدقة – أخوّة عبر التاريخ – اليقين بما عند الله.

سؤال ١٧:

ما علاقة صفات المتقين بجوّ مُلابسات السورة؟ وما علاقة صفاتهم بما خُتمت به الآيات ﴿عَلَىٰ هُدًى... ٱلْمُفْلِحُونَ﴾؟

قال سيّدٌ: وهذه الصفات السابقة كانت صورة الجماعة المسلمة التي قامت في المدينة المنوّرة يوم ذاك مؤلفة من المهاجرين والأنصار. والتي كان على رأسها محمد ﷺ وكانت هذه الجماعة بهذه الصفات شيئاً عظيماً حقاً، ومن ثمّ صنع الله بهذه الجماعة أموراً عظيمة في حياة البشر جميعاً غيّرت وجه التاريخ، فوالله كانوا عمالقة البشرية.

لذلك كانت خاتمة الآيات ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة:٥] العلاقة الآن أصبحت واضحة بين صفات المتقين وجو ملابسات السورة وخاتمة الآيات بالهدى والفلاح؛ لأن هذا هو طريق الهدى والفلاح وهو الاتصاف بهذه الصفات.

سؤال ١٨:

ما هو وجه المقابلة بين صورة المتقين وصورة الكافرين؟

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة:٦].

قال سيّدٌ: (هذا الكتاب هدىً للمتقين لكنّ كفر الكافرين حرمهم من هُداه، فلم ينفع فيهم الإنذار).

إذن: أولئك انتفعوا بالقرآن فهُدوا واهتَدوا. وأولئك لم يؤمنوا فحُرِموا وحُجِبوا.

قال سيّدٌ: هذه النوافذ (الإيمان بالغيب + الصلاة + التقوى) المفتوحة في أرواح المتّقين مُغلقة عند الكافرين، إنها صورة صَلْدة، مظلمة، جامدة، ترتسم من خلال حركة الخَتْم على القلوب والأسماع والأبصار فلا نُور يُوَصْوِص (يتسلّلْ) ولا هُدى للقلوب).

اللهمّ افتح قلوبنا لهُداك وافتحْ نوافذَ التقوى لأرواحنا.

سؤال ١٩:

هل ثمّ مقابلة (مقارنة أو علاقة) بين صورة المتقين وصورة الكافرين وصورة المنافقين؟

نعم. صورة المنافقين:

١. ليست في شفافية الصورة الأولى وسماحتها.
٢. وليست في عتامة الصورة الثانية وصفاقتها.
٣. ولكنّها تتلوّى في الحسّ وتروغ (أي تزوغ) من البصر، وتخفى وتبين).

سؤال ٢٠:

ما الذي بلغ بالمنافقين هذا المقام؟ أو ما أسباب نفاقهم الكريه؟

قال سيّدٌ: هذا النموذج نموذجٌ مكررٌ في كل أجيال البشرية جميعاً.

أسباب النفاق كما يراها سيد قطب:

١. عدم القدرة على مواجهة الحقد بالإيمان الصّريح.
٢. الترفّع والتعزّز على جماهير الناس (التكبّر).
٣. الظنّ الكاذب والغرور الخادع، بأنّهم قادرون بذكائهم ودهائهم على خِداع سّذّج الخلق.

وفي هذا السياق يقف بنا سيدٌ أمام حقيقة ضخمة كبيرة تنمُّ عن نعمةٍ جسيمة عظيمة من الله.

هذه الحقيقة هي أنّ الله سبحانه يتولّى المعركة مع عباده المؤمنين ويقف في صفّهم ويُواجه عدوّهم "من عادى لي ولياً فقد آذنتُهُ بالحرب".

قال سيّدٌ: (ويا لهُ من تفضُّلٍ عُلويٍّ كريم) بدليل الآية ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ٩ ... ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ١٥﴾

ومن ثمرات تولّي الله عزّ وجلّ المعركة بنفسه ما يلي:

١. هذا يرفع مقام المؤمنين إلى هذا المستوى الساحق الكريم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل:١٢٨]، ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ...﴾ [الحج:٣٨]، ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات:١٧٣]، ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩]، ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢]، ﴿ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء:٦٢].

٢. يسكب في قلوب المؤمنين طمأنينة لا حدّ لها، فمثلاً في غزوة بدر (٣٠٠) رجل، أسياف قصيرة، وخشبَ هشّة، فعندما شعروا أن الله يتولّى المعركة بنفسه إطمأنوا طمأنينة لا حدّ لها ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٤﴾﴾ [الفتح:٤].

٣. تهديد الكافرين والمنافقين الذين يُحاولون خداع المؤمنين، فيخافون ويفزعون.

٤. حتى يفهموا أنّ معركتهم ليست مع المؤمنين وحدهم وإنّما مع الله القوي الجبّار القهار.

سؤال ٢١:

ما صفات المنافقين بالتفصيل كما يراها سيدٌ في سورة البقرة؟

١. لا يجدون في أنفسهم الشجاعة ليواجهوا الحق بالإيمان الصّريح، أو لا يجدون في نفوسهم الجرأة ليواجهوا الحق بالإنكار الصحيح، وهذا موجود في كل فئة منافقة في كل جيل على مر العصور.

٢. لهم صفة العِناد فلا يقفون عند حدّ الكذب والخِداع.

٣. في قلوبهم مرضٌ، في طبيعتهم آفة، في قلوبهم علّة، وهذا ما يحيد بهم عن الطريق الواضح المستقيم الذي يُعرف بالفطرة.

فزادهم الله مرضاً لأن المرض يُنشئ المرض، والانحراف يبدأ يسيراً ثم تنفرج الزاوية في كل خطوة وتزداد، سُنّة الله في الأشياء والأوضاع لا تتخلّف، فمصيرهم المحتوم ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾.

٤. يظنّون في أنفسهم الذكاء والدهاء والمقدرة على خِداع هؤلاء البُسطاء ولكنّهم لا يخدعون المؤمنين إنما يُخادعون الله.

وهنا نقف أمام حقيقة كبيرة، وأمام تفضل كبير من الله تعالى وهي حقيقة [الصلة بين الله والمؤمنين] إنّه يجعل صفّهم صفّه، وأمرهم أمره، وشأنهم شأنه، يضمّهم إليه ويأخذهم إلى كنفه، ويجعل عدوّهم عدوّه، وهذا التفضّل العلوي الكريم يرفع من شأن المؤمنين ومقامهم ويُوحي بأن حقيقة الإيمان في هذا الوجود هي أكبر وأكرم الحقائق وهذا يسكب في قلب المؤمن طمأنينة لا حدّ لها، وثبات ومُضي على الطريق، فما ذاك يكون تخطيط العباد وكيدهم وشرّهم، وخداعهم وأذاهم أمام الله. إذن يُحاربون الله عندما يُحاربون أولياءه.

وما يخدعون إلا أنفسهم، لأن الله بخداعهم عليم، والمؤمنين في كنف الله، فهو حافظهم، إذن هم يغشون أنفسهم حين يظنون أنّهم ربحوها وكسبوها بهذا النفاق، وهم في الوقت ذاته يوردونها موارد التهلكة بالكفر الذي يُضمرونه والنفاق الذي يُظهرونه.

٥. يُضيفون إلى العِناد صفة السَّفهْ والادّعاء ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة:١١]. لم يكتفوا بأن ينفوا عن أنفسهم الإفساد بل تجاوزوه إلى التبجُح والتبرير ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾.

والذين يقولون "إنهم مصلحون" كثيرون جداً في هذا الزمن، لأن الموازين مُختلّة في أيديهم، ومتى اختلّ ميزان الإخلاص والتجرُّد في النفس اختلّت سائر الموازين والقيم.

والذين لا يُخلصون سريرتهم لله يتعذّر أن يشعروا بفساد أعمالهم لأن ميزان الخير والشر والصلاح والفساد في نفوسهم يتأرجح مع الأهواء الذاتية، ولا يثوب إلى قاعدة ربّانية. ويأتي التعقيب والرد الحاسم، والتقرير الصادق الجازم ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة:١٢].

٦. من صفتهم أيضاً التطاول والتعالي على عامّة الناس ليكسبوا لأنفسهم مقاماً زائفاً في أعين الناس ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة:١٣] الإيمان الخالص المستقيم المتجّرد من الأهواء، إيمان المخلصين، فكانوا يأنفون من هذا الاستسلام للرسول ﷺ ويرونه خاصاً بفقراء الناس غير لائق بهم بالعليّة ذوي المقام، فجاءهم الردّ الحاسم والتقرير الجازم ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن

﴿لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[البقرة:١٣] ومتى علم السفيهُ أنه سفيه؟ ومتى استشعر المنحرف أنه بعيد عن المسلك القديم؟

٧. هذه الصفة تكشف الصلة والارتباط بين المنافقين واليهود الحانقين في المدينة، فيُضيفُون إليها الضعف واللؤم والتأثر في الظلام ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤﴾ [البقرة:١٤].

بعض الناس يحسب اللؤم قوة، والمكر السيءُ براعة، وهو في حقيقته ضعفٌ وخسّة، فالقويّ ليس لئيماً ولا خبيثاً، ولا خادعاً ولا متآمراً، ولا غمّازاً في الخفاء لمّازاً.

اليهود كانوا يجدون في هؤلاء المنافقين أداةً لتمزيق الصفّ الإسلامي وتفتيته، كما أن المنافقين كانوا يجدون في اليهود سنداً وملاذاً.

مُستهزئون: أي بالمؤمنين، بما يُظهره المنافق من الإيمان والتّصديق لهم، فيصبُّ عليهم القرآن من التهديد ما يهدّ الرواسي جزاء قولتهم هذه.

اللهُ يستهزئُ: وما أبأس من يستهزئ به جبار السموات والأرض، وما أشقاه، فالخيالُ يمتدُّ إلى مشهدٍ مُفزعٍ وإلى مصيرٍ تقشعرُّ من هوله القلوب.

العمى.. والعمه

يقول الدكتور صلاح الخالدي: العمى: فقدان البصر، واشتقاقاتها في القرآن بمعنى فقد البصر، وفُقدان البصيرة، أو عمى القلب..

أمّا **العمهْ**: فقد وردت منها صيغة الفعل المضارع "يعمهون" وقد وردت "يعمهون" سبع مرات ومُعظم المرات مسبوقة بالطغيان "في طغيانهم يعمهون"، ومعنى العمه: هو التردُّد في الأمر، من التحيُّر.. والتردُد والتحيُر يُصيب القلب والعقل والفكر والتصوُّر، ولهذا لا نُخطئ إذا قلنا: إنَّ العمَه هو: عمى القلب.. وهذا هو الضلال والخُسران المبين..

يعمهون: يدعهم يخبطون على غير هدى، في طريق لا يعرفون غايته، قال سيد:

(واليد الجبّارة تتلقّفهم في نهايته كالفئران الهزيلة تتواثب في الفخ غافلة عن المقبض المكين)..

شياطينهم: إشارة ضمنيّة لليهود والشياطين هي إشارة صغيرة لكنّها كافية لأن تشير إلى الكثير من صفاتهم، فهم أعداء للإسلام ولرسوله ولكتابه، وهذه صفتهم التي دمغهم بها من قبل الإسلام ومن بعده وإلى يومنا هذا جِبِلَّة واحدة، سماتهم، ودورهم، وموقفهم هو هو لم يتغيّر فلتنتبه الأمّة ولتحذر منهم.

وهذا هو الاستهزاء الرعيب، ليس كاستهزائهم الصغير الهزيل.

إذن: المعركة التي يُراد بها المؤمنون اللهُ يتولاها بنفسه. لأن الله يُمهل ولا يهمل، فهم مخدوعون بمدّ الله لهم في طغيانهم، وإمهالهم بعض الوقت في عدوانهم.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦ ﴾ [البقرة:١٦] كانوا يملكون الهدى لو أرادوا، كان الهدى مبذولاً لهم، وكان في أيديهم، وكانت الفُرصة أمامهم تلوح لكنهم رفضوها ولم يستغلّوها، ولم يغتنموها بل ضيّعوها على أنفسهم، ولكنهم اشتروا الضلالة وباعوا الهدى الذي كان في أيديهم، كالتاجر الغافل عن تجارته وعن ربحه وكسبه، فخسر كل الخسارة {وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِين}.

سؤال ٢٢:

لماذا يحاول المنافقون خداع المؤمنين، وما يخدعون إلا أنفسهم؟

لأن في قلوبهم مرض، أي إن في طبيعتهم آفة، وفي قلوبهم علّة، فالنَّتيجة أن زادهم الله مرضاً، ﴿ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ٧٧ ﴾ [التوبة:٧٧]، فالمعصية ولودٌ حقود، والطاعة ولودٌ ودود. لأنها تلد طاعة بل طاعات، والمعصية تلد معاصي عديدة بعدها إن لم يتب فاعلها.

قال سيّدٌ: (المرض ينشئ مرضاً، والانحراف يبدأ يسيراً ثم تنفرج الزاوية وتزداد)، فإن وجدت في نفسك شيئاً من المعصية فاقتله مباشرة، ولا تجعل المعصية تتمكن منك، تبدأ صغيرة ثم تكبر وتكبر حتى تصبح حجاباً عن الله. تكون غين ثم تصبح ران. يقول ﷺ: "إنه ليُغانُّ على قلبي وإني لاستغفر الله أكثر من سبعين مرة).

فالْغَينْ: الطبقة الرقيقة، والرّان: الطبقة السميكة.

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥)﴾ [المطفِّفين: ١٤-١٥]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١)﴾ [الأعراف:٢٠١]. يقول ﷺ في الحديث: آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا أؤتّمن خان، وإذا وعد أخلف"، وفي رواية "إذا خاصم فجر".

ومن صفات المنافقين:

١. الخداع والمكر والكذب.
٢. العناد والتبجُّج.
٣. تسويغ وتبرير الفساد.
٤. السَفَهْ (نقص العقل والادعاء) ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾.
٥. التطاول والتكبر والتعالي على عامّة الناس.

قال ابن حجر (وقد يتخلَّق المسلم ببعض هذه الخصال أو بكلّها) فتح الباري.

٦. الضعف واللوم والتآمر في الظلام وفي الليل البهيم.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤)﴾ [البقرة:١٤].

قال سيّدٌ: وفي ذلك النداء﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا﴾ تبرز كليّتان من كليات التصوُّر الإسلامي:

١. وحدة الخالق لكل الخلائق ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾.
٢. وحدة الكون وتناسق وحداته وصداقته للحياة وللإنسان ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾[البقرة:٢٢] حيث الأرض سكناً واقياً كالفراش، والسماء فيها متانة البناء وتنسيق البناء، والماء النازل من السماء فيه مادة الحياة الرئيسية للأحياء جميعاً.

سؤال ٢٣:

أشار العلامة السَّعدي إلى أنّ الهداية نوعان، ما هما؟

١.هداية البيان.

٢. هداية التوفيق.

فالمتقون حصلت لهم الهدايتان وغيرهم لم تحصل لهم هداية التوفيق، وهداية البيان بدون توفيق للعمل بها ليست هداية حقيقية تامة.

سؤال ٢٤:

ما حقيقة الإيمان بالغيب؟

هو التصديق التام بما أخبرت به الرسل، المتضمن لانقياد الجوارح. وإنما نؤمن به لخبر الله وخبر رسوله، فهذا الإيمان الذي يُميّز به المسلم من الكافر، لأنّه تصديقٌ مجرد لله ورسله، فالمؤمن يؤمن بكل ما أخبر الله به، أو أخبر به رسوله، سواء شاهده أم لم يشاهده، وسواء فهمه وعقله أو لم يهتدِ إليه عقله وفهمه.

سؤال ٢٥:

على ماذا يدل معنى الآية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ وما معنى {مُفْلِحُون}؟

أي على هدىً عظيم، لأن التنكير للتعظيم، وأي هداية أعظم من تلك الصفات المذكورة. المتضمنة للعقيدة الصحيحة والأعمال المستقيمة. وأتى بـ (على) في هذا الموضع: الدالة على الاستعلاء، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ لأن صاحب الهدى مُستعلٍ بالهدى مرتفع به، وصاحب الضلال مُنغمس فيه مُحتقر.

والفلاح: هو الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب، حصر الفلاح فيهم، لأنه لا سبيل إلى الفلاح إلا بسلوك سبيلهم، وما عدا تلك السبيل فهي سبيل الشقاء والهلاك والخسار التي تقضي بسالكها إلى الهلاك.

سؤال ٢٦:

أشار العلامة السعدي إلى أنّ النفاق نوعان، ما هما؟

النفاق: هو إظهار الخير إبطان الشر. ويدخل في هذا التعريف نوعا النفاق:

١. النفاق الاعتقادي.

٢. النفاق العملي.

فالنفاق العملي كالذي ذكر النبي ﷺ في قوله: "آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان" وفي رواية: "وإذا خاصم فجر".

وأما النفاق الاعتقادي المُخرج عن دائرة الإسلام. ولم يكن النفاق موجوداً قبل هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، فلمّا كانت وقعة بدر وأظهر الله المؤمنين وأعزّهم، ذلّ من في المدينة ممّن لم يُسلم، فأظهر بعضهم الإسلام خوفاً ومُخادعة، فكانوا بين أظهر المسلمين في الظاهر أنهم منهم وفي الحقيقة ليسوا منهم، فمن لُطف الله بالمؤمنين أن جَلَّى أحوالهم ووصفهم بأوصاف يتميّزون بها لئلا يغترّ بهم المؤمنون.

سؤال ٢٧:

ما وجه الشبه بين المنافقين وبين من يخاف من البرق والرعد والصواعق؟

حال المنافقين إذا سمعوا القرآن وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده فيُروّعهم وعيده وتُزعجهم وعوده، وأعرضوا عنه. كمثل صاحب الصَّيِّب الذي يسمع الرعد ويجعل أصابعه في أذنيه خشية الموت، فأنّى للمنافقين السلامة وهو تعالى محيطٌ بهم قدرةً وعلماً فلا يُعجزونه سبحانه وتعالى.

سؤال ٢٨:

الآية: ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ونحوها يُسمّونها آيات التحدّي وضّحْ ذلك؟

التحدّي: هو عجز الخلق أن يأتوا بمثل هذا القرآن في سموّ الرُتبة، وعلوّ الطبقة في النظم البديع، والأسلوب البليغ وكيف يقدر مخلوق من تُراب أن يكون كلامه ككلام ربّ الأرباب، أم كيف يقدر الناقص الفقير من كل الوجوه أن يأتي بكلام ككلام الكامل الذي له الكمال المُطلق، والغنى الواسع من كل الوجوه. هذا ليس في قدرة الإنسان.

سؤال ٢٩:

في الآية الكريمة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ذكر المُبشِّر، والمبشَّر، والمبشَّر به، والسبب الموصل لهذه البشارة. وضّحْ ذلك؟

المُبشِّر: هو الرسول ﷺ ومن قام مقامه من أمته.

والمبشَّر: هم المؤمنون العاملون الصالحات.

والمبشَّر به: هي الجنات الموصوفات بتلك الصفات.

والسبب الموصل لذلك: الإيمان والعمل الصالح.

وهذا أعظم بشارة حاصلة على يد أفضل الخلق بأفضل الأسباب وفيه استحبابُ بشارة المؤمنين وتنشيطهم على الأعمال بذكر جزائها وثمراتها فإنها بذلك تخفّ وتسهل. وأعظم بشارة حاصلة للإنسان:

١.توفيقه للإيمان والعمل الصالح.

٢.البُشرى عند الموت.

٣.ومن بعده الوصول إلى هذا النعيم المُقيم.

وكلمة {**جنّات**}: جمع جنّة. وهي كل بستان ذي شجر متكاثف، مُلتف الأغصان، يُظلّل ما تحته ويستره، من الجَنّ وهو ستر الشيء. فهي جامعة من الأشجار العجيبة، والثمار الأنيقة والظلّ المديد، والأغصان والأفنان وبذلك صارت جنة يجتنُّ بها داخلها وينعم فيها ساكنها. وهي سبع درجات:

- جنّة الفردوس.
- جنّة عدن.
- جنّة النعيم.
- دار الخلد.
- جنّة المأوى.
- دار السلام.
- عليّون.

وتتفاوت منازل المؤمنين في كل درجة بتفاوت الأعمال الصالحة، والأنهار: أنهار الماء، أنهار اللبن، أنهار العسل، أنهار الخمر، يُفجّرونها كيف شاؤوا، ويصرفونها أين أرادوا، وتشرب منها تلك الأشجار فتنبت أصناف الثمار.

سؤال ٣٠:

يقول سيّدٌ: ما سرّ التعقيب على صفات المنافقين ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾؟

أ. الذين يفسدون في الأرض ويقولون إننا مصلحون كثيرون جداً في كل زمان وكل مكان.

ب.يقولون ذلك لأن ميزان الإخلاص عندهم مُختلّ وبالتالي تختل سائر الموازين عندهم، بينما المؤمن الذي يخلص في عمله يشعر بأن هدفه

خالص له، وبالتالي يقطف ثمار العمل ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾.

قال سيّدٌ: (وعلى هذا (انعدام الإخلاص) فإنّ من لا يخلصون سريرتهم لله يتعذّر أن يشعروا بفساد أعمالهم وذلك لأن ميزان الخير والشر والصلاح والفساد في نفوسهم يتأرجّح مع الأهواء الذاتية ولا يثوب إلى قاعدة ربانية).

سؤال ٣١:

ماذا عن قول الله عزّ وجل ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾؟

قال سيّدٌ: ما أبأس (ما أتعس) من يستهزئ به جبار السماوات والأرض وما أشقاه ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة:١٥]. يدعهم يتخبّطون في طريق لا يعرفون نهايته واليد الجبّارة تتلقّفهم في نهاية الطريق.

ويؤيد هذا قول الحبيب المصطفى: إن الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته". ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ [الطارق:١٧].

قال سيّدٌ: (إنهم كالفئران الهزيلة تتواثب في الفخّ، وهذا هو الاستهزاء الرعيب لا كاستهزائهم الهزيل الصغير). الفخ: هو جهنّم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطفّفين:٢٩ ٣٦]

نحن لا نثق إلا بالله ولا تخاف إلا منه سبحانه.

سؤال ٣٢:

يُلحظ أن مساحة الحديث عن المنافقين بالآيات الكريمات أوسع من مساحة الحديث عن المؤمنين والكفّار: علّل ذلك؟

١. ذلك أن كل من الصورتين الثانية والثالثة في غاية الوضوح فالمؤمنون صورة نقية واضحة، والكافرون صورة مُعتمة ظالمة. أما الصورة الأولى فهي صورة النفس الملتوية، المُقلقة، المريضة، المُعقّدة وكلّما ازداد

المرض ازدادت الصورة قلقاً وتعقيداً وعدم وضوح "أما المؤمن" سيماهُم في وجوههم" فهو صادقٌ واضحٌ قلباً وقالباً، باطناً وظاهراً.

والمُنافق هو شر الناس لحديث النبي ﷺ: "شرُّ الناس ذو الوجهين، يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه"، لذلك آية الاستقامة كانت أشدّ الآيات على النبي ﷺ ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾[هود:١١٢].

٢. قال سيّدٌ: (وذلك أيضاً بيانٌ لضخامة الدور الذي يقوم به المنافقون على الأمّة فاقتضى الأمر تشخيص كامل صفاتهم).

قال ابن كثير: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾[البقرة:١٧] ضرب الله لنا مثلاً لهم:

مثل ناري: الذي استوقد ناراً

مثل مائي:كصيّب من السماء.

تمثيلاً لحال المنافقين، لأنهم غير واضحين، فاقتضى الأمر توضيحاً وزيادة في تشخيص أمراضهم حتى يحذر الناس منهم مدى الزمان.

معاني الكلمات كما يراها ابن كثير رحمه الله:

مثلُهم: أي المنافقين.

استوقد: أوقد.

ظلمات: الكفر، الشك، النفّاق.

ناراً: مثل ناري.

المثل: للعبرة والفائدة والعِظة وتقريب الفهم.

أضاءت: اهتدى في بداية الأمر.

ذهب الله بنورهم : انطفأ الإيمان في قلوبهم. عاقبهم الله فأصمّهم وأطفأ أنوارهم.

صمٌّ: لا يسمعون خيراً.

بكمٌ: لا يتكلمون بما ينفعهم.

عُميٌ: في ضلالة وعماية البصيرة.

قال ابن كثير (يشبّه الله المنافقين الذين آمنوا ابتداءً ثم تركوا الإيمان بمن أوقد ناراً بعد ذلك أطفأها فلا هو أوقد ناراً، ولا هو اهتدى، سيطر عليه الشيطان فانطفأ الإيمان في قلبه)..

مُتشابهاً: أي تشابه ظاهري بالاسم والشكل لفاكهة الدنيا وثمارها، أمّا المفاجأة

حين يكتشف أنَّ التشابه الظاهري عن شيءٍ جديد من التنوع الداخلي، فهو تشابه في الشكل وتنوع في المزية.

ونحن نقع بمثل هذا أحياناً، فكم من الشمعات أضاءت حولنا فأُطفئت، وبدأ العدُّ بالعد التنازلي، فإذا ذهبت شمعة جاءت ظلمة وحلّتْ محلّها، وإذا ذهب نور جاء مكانه عتمة وظلمة.

انقطعت عنهم جميع الحواس: صمّ، بكمّ، عميّ، فهم لا يرجعون.

أمّا المثل الثاني: المائي.

قال ابن كثير (المنافقون نوعان:

١. ناسٌ آمنوا ثم كفروا.

٢. ناسٌ آمنوا لكن يضعُف إيمانهم ويفترُ بين الحين والآخر، والمطر فيه ظلمات ورعد وبرق كذلك نفسيّة المنافق نزل عليه الغيث المُنهمر وهو القرآن وسنّة النبي العدنان، وهما نور: وشبَّهه بالماء الهاطل على القلوب وهذا القلب فيه شكوك من النفاق، فالرعد والبرق هو بمثابة الإيمان.

يكادُ البرقُ يخطفُ أبصارهم: يُذهبها، يُضعف إيمانهم في قلوبهم

كلمّا أضاء لهم مشوا فيه: حلّقوا وأبدعوا بهذا الإيمان

وإذا أظلم عليهم قاموا: أن النور عندهم غير مُستمر كأنه مُتذبذب.

هذا المثل المائي ينطبق على كثير من الناس مثلاً في رمضان: المساجد، الروحانيات، الدعاء ثم يضعُف الأمر عندهم بعد انتهاء رمضان.

كما قال ابن الجوزي في "صيدْ الخاطر": "نسمع موعظة ننشط ثم نغيب ونضعف". وقال: "المواعظ كالسّياط كلما كان الضرْب مؤلم يستمر، وكلّما كان الضرب قليل كان الأثر قليل" وكانت السيدة عائشة تقول عن عمل النبي ﷺ: "كان عمله دِيَمة" أي مستمر دائم.

قال ابن كثير (فإذا تقرَّرت أنواع المنافقين السابقة فإنّ أصناف الناس هم:

١. مؤمنون خُلَّص وهم الموصوفون أول أربع آيات.

٢. كفّار خُلّص، وهم الموصوفون بالآيتين.

٣. المنافقون وهم قسمان:

أ. منافقون خُلّص وهم الذين ضُرب لهم المثل الناري.

ب. منافقون متردّدون وهم أصحاب المثل المائي.

- إذن يُلاحظ أن هدف السورة: أنتَ مسؤولٌ عن الأرض.. والحديث عن هدف السورة يساعدنا على فهم الآيات بتسلسل واكتشاف الروابط بين موضوعاتها المختلفة، واللطيف أن بعض العلماء قال: بأن تسمية أقسام القرآن بالسوَر، لأنّ كل واحدة منها تشتمل على موضوع واحد، وآيات السورة هي كالسُور أو السياج الذي يحيط بهدف السورة ويدور حوله ويخدمه.. وإنّ هدف سورة البقرة هو الاستخلاف في الأرض..

- ويُلاحظ أن الربع الأول يتكلَّم عن أصناف الناس، وكأننا نستعرض الأصناف الموجودة على هذه الأرض والتي سيكلف أحدها بالاستخلاف.

الرُّبع الثاني

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [البقرة: ٢٦]

- معـــــــاني الكلمـــــــــات.
- التفســـير والشـــرح والبيـــــان.
- اثنـــــان وأربعــــون ســــؤالاً.
- لطـــائف لغويـــة وفوائـــد قرآنيـــة.
- أول تجربة استخلاف: آدم عليه السلام..
- خَلْـــــقُ الإنســـــــــان.
- مشـهد الاحتفـاء بـآدم، والسـجود لـه.
- المعصـــية هـــي ســـبب الاســـتبدال.
- مـن إيحـاءات قصّـة آدم عليـه السـلام.

الرُّبع الثاني

اللهمّ صلِّ على هدْاة البال، وقرّة العين، وشذا الأرواح، وطبُّ القلوب، وسعد الأفئدة، وعَلَمَ الهدى، وراحة النفس، وعلم الورى، وشمس الشموس، وجبرة الخاطر، ومصباح الدُّجى، وقائد ليوث الهدى، وبدر التمام، وتمام البدور. محمد الحبيب وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين.

معاني الكلمات

لا يستحيي : لا يستنكف، أي لا يدع، لا يترك، لا يذر، لا يمنعه شيء أن يضرب مثلاً، وما شاء من الأمثال.

قال الراغب الأصفهاني صاحب السفر النفيس "المفردات في غريب القرآن":

(حيّاك الله: أي جعل لك حياةً، إمّا إخبارٌ، وإمّا دعاء:

أمّا الإخبار: أخبرك حيّاك الله.

وإمّا الدعاء: أدعو لك بالحياة العزيزة.

روي عن النبي ﷺ: "إنّ الله يستحي من ذي الشيبة المسلم أن يُعذّبه". وقال: "إن الله يستحي أن يردّ يدي عبده صِفْراً خائبَيْن".

فما فوقها: قال ابن كثير في ذلك قولان رئيسان:

١. فما فوقها: فما دونها في الصّغر والحقارة، كما يصف الرجلُ الرجلَ باللؤم والشح. يقول ﷺ: "لو أن الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة لما سقى كافراً منها شربة ماء". وفي رواية "جناح بُعيضة".
٢. أي ما هو أكبر منها لأن حديث النبي يقول: "ما من مسلمٍ يُشاك شوكة فما فوقها إلا كُتب له بها درجة ومُحيتْ عنه بها خطيئة".

لطائف لغويّة وفرائد قرآنية

يستحيي: أي ليس الحياء بمانع لله تعالى من ضرْب الأمثال بهذه المخلوقات الصغيرة في نظركم، لاشتمال الأمثال على الحكمة، وإيضاح الحق، والله لا يستحيي من الحق، وكأنّ في هذا جواباً لمن أنكر ضرب الأمثال في الأشياء الحقيرة فأمّا الذين آمنوا فيتفهّمونها ويتفكرون فيها

ويزداد بذلك علمهم وإيمانهم، لعلمهم بأنّ الله لم يضربها عبثاً، بل لحكمة بالغة ونعمة سابغة وأما الذين كفروا فيعترضون عليها ويتحيّرون ويزدادون في كفرهم. وفي الآية إشعارٌ بصّحة نسبة الحياء إلى الله تعالى، ومذهب السلف: [إمرارُ هذا وأمثاله على ما ورد، وتفويض علم كنهه وكيفيّته إلى الله تعالى مع وجوب تنزيهه عمّا لا يليق بجلاله سبحانه من صفات المحدثات] واختاره الألوسي.

الحياء: تغيُّر وانكسار يعتري الإنسان من تخوُّف ما يُعاب ويُذَمُ به، أو انقباض النفس عن القبائح، وهذا المعنى مُحالٌ في حق الله.

الفاسقين: الفسق: الخروج عن الطاعة. ويقع بالقليل والكثير من الذنوب، ولكن تُعورف فيما كان كثيراً، وهو أعمّ من الكفر، فيقال للعاصي، فاسق، وللكافر: فاسق، لخروجه عمّا ألزمه العقل واقتضته الفطرة.

وذكر العلامة السعدي أن الفسق نوعان:

١. نوعٌ مخرجٌ من الدين، وهو الفسق المُقتضي للخروج من الإيمان كالمذكور هنا في الآيات ونحوها.

٢. ونوعٌ غير مُخرج عن الإيمان كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحُجُرات:٦].

العهد: الميثاق، اسم للمَوْثق الذي يلزم مُراعاته وحفظه.

وعهد الله:

١. تارةً يكون بما رُكز في العقول من الحجّة على التوحيد.
٢. وتارةً يكون بما أوجبه الله على الناس على لسان رسله.
٣. وتارةً يكون بما يلتزمه المؤمن وليس بلازمٍ له في أصل الشرع مما ليس بمعصية كالنذور.

استوى: علا إليها وارتفع من غير تكييف ولا تحديد ولا تشبيه، مع كمال التنزيه عن سمات المُحدَثات، وقد سئل مالك رضي الله عنه عن الاستواء على العرش فقال: الاستواء مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. أو المعنى: أقبَلَ وعَمَد إلى خلقها بإراداته.

للملائكة: هم جندٌ من خلق الله ركز فيهم الله سبحانه العقل والفهم، وفطرهم على الطاعة، وأقدرهم على التشكُّل بأشكال مختلفة، وعلى الأعمال العظيمة الشاقة، ووصفهم القرآن بأوصاف كثيرة منها:

١. يُسبّحون الليل والنهار ولا يفترون.
٢. لا يعصون الله ما أمرهم.
٣. يفعلون ما يؤمرون.
٤. أنهم رسل الله أرسلهم بأمره.
٥. رسل الوحي إلى من اصطفاهم من خلقه للنبوة والرسالة.

الملائكة: جمع مَلَك والتاء لتأنيث الجمع، وأصله: مَلْأَك من مَلَك. نحو شَمْأَل من شَمَلَ، والهمزة زائدة، ثمّ سهّلوه فقالوا: مَلَك.

خليفة : الخليفة هو مَنْ يخلِف غيره وينوب منابه، فهو فعيل بمعنى فاعل. والتاء فيه للمبالغة، والمراد به آدم عليه السلام، لأنه كان خليفة الله في الأرض، وقيل: آدم وذريّته، لأنه يخلُف بعضهم بعضاً في عمارة الأرض، واستغني بذكره عن ذكره ذريته لكونه الأصل.

أتجعلُ فيها من يُفسد : الفساد: الخروج عن الاعتدال والاستقامة. ويُضادّه الصلاح، يقال: فسد الشيء فساداً وفُسوداً، وأفسد غيره، وقد عرف الملائكة وقوع ذلك من الإنسان بإخبار من الله تعالى أو إلهام، والاستفهام: جاء استكشاف عن الحكمة الخفيّة في هذا الاستخلاف مع ما سيترتّب عليه من الإفساد وسفك الدماء. فالمقصود : يُفسد فيها: بالمعاصي.

ويسفك الدماء : يهريقها. وهذا تخصيصٌ بعد تعميم، لبيان شدّة مفسدة القتل. ويسفك الدماء : السّفك: الصبّ والإهراق. يُقال: سفكت الدم والدمع سفكاً، أي صبَبْته، والفاعل سافك وسفّاك، والمراد به حصول التقاتُل بين أفراد بني الإنسان ظُلماً وعدواناً.

ونحنُ نسبّح بحمدك : نُنّزهك عما لا يليقُ بعظمتك، وهو مُشتق من السبْح، وهو المرُّ السريع في الماء أو في الهواء، فالمُسبِّحُ مسرعٌ في تنزيه الله وتبرئته من السوء.

ونُقّدس لك: نُطهِّر ذكرك عمّا لا يليق بك، تعظيماً لك وتمجيداً، من التقديس: بمعنى التطهير، واسمه تعالى: القدّوس، أي الطاهر.

سبحانك: تنزيهاً لك عن أن يكون فعلك لغير حكمة. أُنزّهك يا رب من كل نقصٍ وعيب، وأصِفُك بكل كمال..

مصدر منصوب لفعل محذوف وجوباً، وهو سَبَحَ – مخففاً – بمعنى نزّه، أو معناه: إسراعاً لك، وخفَّة في طاعتك، والرضا بفعلك، كما يفعل السّابح في الماء. وقيل بأنهُ: اسم فعل ماض.. بمعنى أُنزّهك يا رب من كل نقص..

اسجدوا: السجود: لغة: التذلل والخضوع مع انخفاض بانحناء وغيره، ونُصّ في الشرع بوضع الجبهة في الأرض على قصد العبادة وسيأتي معنى السجود بالتفصيل كما أورده الراغب الأصفهاني.

إبليس: هو أبو الجن، مشتقٌّ من الإبلاس: وهو الحزن الناشئ عن شدة اليأس، وفعله أبلَسَ، ولم ينصرف لأنه معرفة. ولا نظير له في الأسماء فأشبه الأعجميّة. وقيل: هو أعجمي لا اشتقاق له. فلم ينصرف للعَلَميّة والعُجمة. وقيل في الاستثناء: أنه منقطع، لأن إبليس ليس من جنس الملائكة. وقيل: أنه متصل، وأن إبليس كان من الملائكة؛ ورجّحهُ الطبري.

الجنّة: جمهور أهل السنّة على أنها: جنّة المأوى. وهي دار الثواب والخلود للمؤمنين في الآخرة، وذهب آخرون منهم أبو مسلم الأصفهاني إلى أنها بستان في الأرض خلقه الله امتحاناً لآدم وزوجه، وساق أدلّة الفريقين الإمام ابن القيّم ولم يُرجّح شيئاً منها، والأحْوَط الأسلم: الكفّ عن تعيينها وعن القطع به، وإليه مال أبو حنيفة وأبو منصور الماتُريدي في "التأويلات".

رغداً: أي أكلاً كثيراً واسعاً بلا عناء، يقال: رغدَ عيشه، وبضم الغين أيضاً رغُد: رغْداً ورَغَداً، اتّسع وطاب. وأرغد القوم: أخصبُوا وصاروا في رَغَد من العيش.

ولا تقربا: دلّ على أنه النّهي للتحريم، لأنّه رتب عليه الظلم.

فأزلَّهما: من الإزلال، وهو الإزلاق، يُقال: زلّ يزلُّ زلاً وزللاً: أي زلق في الطين، أو في المنطق، والاسم الزَّلّة، وأزّلهُ غيره واستزلّهُ: أزلقُه فيه.

وقُرئ: "فأزالهما" أي نحّاهما: من الإزالة، تقول: أزلتَ الشيء عن مكانه إزالةً، نحَّيتُهُ وأذهبتهُ عنه.

اهبطوا: الهُبوط: النزول من أعلى إلى أسفل، ضد الصعود، يُقال: هَبَط يهبط ويهبُط، أي نزل من علوّ إلى أسفلْ بعضكم لبعضٍ عدوّ: أي آدم وذريّته أعداء لإبليس وذرّيته.

مستقرٌّ: مسكن وقرار.

المتاع: اسم لما يُستمتع به من أكل وشرب ولِبْس وحياة وأُنس وغير ذلك.

حيثُ شئتُما : أي: من أيّ أصناف الثمار والفواكه.

كلماتٍ: هي كلمات التوبة والاستغفار، والظاهر أنها: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣]. وعن ابن مسعود أنها: سبحانك اللهمّ وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، لا إله إلا أنت، ظلمتُ نفسي فاغفر لي، فإنّه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

التوّاب: الرّجاع على عباده بقبول توبتهم، أو بإعانتهم وتوفيقهم إليها ويُقال للعبد: توّاب؛ بمعنى كثير التوبة والندم والاستغفار من الذنوب، من التَوْب: وهو الرجوع؛ لرجوعه إلى ربه في ذلك، ويلزمه ترك الذنب.

وأوفوا بعهدي : أدّوا ما عاهدتموني عليه من الإيمان والتزام الطاعة، وأتمّوه واحفظوه يُقال: أوفى بعهده، ووفى (مشدّداً ومخفّفاً) إذا أتمّهُ ولم ينقض حفظه، والوفاء ضد الغدر.

ولا تلبسوا: لا تخلِطُوا يُقال: لَبَسَ عليه الأمر أي خَلَطهُ، ومنه التلبيس: بمعنى التخليط والتدليس، وتلبسَ الأمر: اختلط ولابسهُ: خالطهُ.

يقول الراغب الأصفهاني في "المفردات":

آدم : أبو البشر، سُمّي بذلك لكون جسده من أديم الأرض، وقيل: لسُمرةٍ في لونه، يُقال: رجلٌ آدمٌ نحو أسمر، وقيل: سُمّي بذلك لكونه من عناصر مختلفة وقوىً متفرقة (أمشاج). وقيل: لما طُيّب به من الروح المنفوخ فيه ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [ص: ٧٢] وجعل له به العقل والفهم والرّويّة التي فُضّل بها على غيره ﴿وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٧٠].

أبى: الإباء: شدّة الامتناع، فكلُّ إباءٍ امتناعٍ، وليس كل امتناع إباء، ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ﴾ [طه:١١٦].

الأرض: الجِرْم المُقابل للسماء، وجمعُهُ أرضون، ولا تجيء مجموعة في القرآن ويُعبَر بها عن أسفل الشيء كما يُعبّر بالسماء عن أعلاه.

الله: قيل أصل الكلمة (إلـهُ) فحذفت همزّته وأُدخل عليه الألف واللام فخُصّ بالباري سبحانه ولتخصُّصه به قال تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم:٦٥]، وإلهٌ جعلوه لكل معبودٍ لهم.

البعوضة: استقلّ المنافقون أن يُمثّل الله جلّ وعلا بها.. وهذه البُعيضة أزالت طغاةً من الأرض.

الفاسقين: مفردها فاسق. والفاسق لغة: الخارج عن الطاعة فسقتْ الرَطبة (التمرة) أي خرجت من قشرتها إذا فسدت ولهذا يقال للفأرة فُويسقة لخروجها من جحرها للفساد.

قال ﷺ: "خمسٌ فواسق يُقتلن في الحِلّ والحَرم: الغُراب والحَدَأة، والعقرب، والفأرة، والكلب العقور". والحَدأة من أنواع الطيور المؤذية.

قال ابن كثير (الفاسق: يشمل الكافر والعاصي ولكن فسق الكافر أبعد من فسق العاصي وأفحش، والمرادبالفاسق هنا الكافر).

ينقُضون: يُخلفون.

عهد الله: قال سيدٌ:

١. القول الأول: وصية الله إلى خلقه من الأوامر والنواهي.
٢. ما طلب الله عزّ وجلّ من أهل الكتاب لاتباع محمد ﷺ.
٣. ما أخذه الله على الخلق حينما خلقهم، وهذا يُسنده قول الله عزّ وجل في سورة الأعراف: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢].

أن يوصل: هناك قولان:

١. **القول الأول**: صلة الرحم والقُربى.

٢. **القول الثاني**: العُموم.. أي كل ما أمر الله بوصله من صلة القُربى، والصلة الإيمانيّة والأخوّة في العقيدة، ومع البشر أجمعين.

الخاسرون: قال الراغب الأصفهاني: الخُسْر والخُسْران هو انتقاص رأس المال. ويُستعمل على ضربين:

أ- يستعمل في المُقتنيات المحسوسة أو الخارجة مثل المال.

ب- يستعمل في المُقتنيات النفسيّة مثل الصحة والسلامة والعقل والإيمان والثواب. وهو الذي جعله الله تعالى الخُسْران المبين). لقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المؤمنون:١٠٣-١٠٤]. ولقول النبي ﷺ: "يؤتى يوم القيامة بالرجل السمين فيوزن فلا يزنُ عند الله جناح بعوضة، ويؤتى برجالٍ لهم حسناتٍ كجبال تهامة فيأمر الله بهم على النار". لِتُحلص النيّات لرب البريّات ليكون عملنا متقبلاً مبروراً ولا يكون هباءً منثوراً.

التفسير والبيان

سؤال١:

ما علاقة الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ بما قبلها، أي مثل البعوضة بالذي استوقد ناراً بالصيب من السماء؟

هذه الآيات تَشِي (تُشير) بأن المنافقين الذين ضُرب لهم مثلاً قد اتخذوا من ورودِ هذه الأمثال وغيرها منفذاً للتشكيك بالقرآن بحجّة:

١. أنَّ الله جل وعلا لا ينكر هذه الأشياء الصغيرة في كلامه.

٢. أنّ ضرب الأمثال بما فيها من تصغير لا يجوز أن تصدر عن الله جلّ وعلا - هذا برأيهم-.

﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ [الحج:٧٣]، ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ [العنكبوت:٤١]، ﴿أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا

﴿فَوۡقَهَا﴾[البقرة:٢٦]. فجاءت الآيات بياناً لحكمة الله في ضرب الأمثال، وتحذيراً لغير المؤمنين من عاقبة الاستهزاء بها، وتطميناً للمؤمنين أن ستزيدهم إيماناً، والعبرة بالمثل ليس بالحجم والشكل بل بمعجزة الحياة.

لفتة طيبة:

قال سيّدٌ: (الله سبحانه وتعالى هو ربّ الصغير والكبير، وخالق البعوضة والفيل، وهناك رابطٌ عجيبٌ بينهما، والسرّ فيهما موجود، وتستوي فيه جميع المخلوقات ألا وهو سرُّ الحياة. فسرُّ الحياة لصاحب الحياة).

ونذكر أن الفيلة استعان بها سعد بن أبي وقاص في حرب الفُرس بالقادسيّة. والفيل محمود عندما أمره أبرهة الأشرم أن يدخل مكة لهدم الكعبة فرفض ذلك ولم يدخلها.

وفي عام ١٩٢٩ خرج علماء روسيا بإعلان فشلهم حاولوا صنع يدٍ تشبه اليد البشريّة تماماً.. لكن لا حياة فيها.

وفي اليابان صنعوا سمكة. وصمّموها كالسمكة الحقيقيّة تماماً بتكلفة ٣٠٠ ألف دولار لكن لا حياة فيها وما استطاعوا أن يُضيفوا لها سر الحياة. لأن سرّ الحياة لصاحب الحياة.

وأمّا عن قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة:٢٦] يُشير الله عزّ وجلّ إلى الابتلاء.

قال سيّدٌ: فالابتلاء واحدٌ ولكن آثاره بالنفوس تختلف فالمؤمن تزيده الشدّة إيماناً، وأما الفاسق فتزيده من الله بعداً).

لفتة طيّبة جميلة:

في بداية السورة ذكر طوائف الناس: (المتقين، الكافرين، المنافقين، يا أيها الناس خطاب عام، ثم طائفة جديدة وهي الفاسقين) فمنْ هم؟..

هم الكافرون أنفسهم لكن يُلاحظ أنه في بداية السورة عرّف صفاتهم بآيتين فقط والآن جاء الحديث عنهم بالتفصيل.

سؤال ٢:

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [البقرة:٢٧] أي عهدٍ؟ وأيُ أمرٍ؟ وكيف يفسدونه؟

قال سيّدٌ: سكت القرآن عن التفصيل، واكتفى بالإجمال ليُشير أن نقضهم كثير جداً لا حدّ له.. بل إنّهم كالثمرة الفجّة التي انفصلتْ عن شجرة الحياة فتعفنت وفسدتْ ونبذتها الحياة.

سؤال ٣:

بمَ فسّرَ سيدٌ (العهد)؟

١. عهد الفطرة: ميثاق الفطرة هي آية الأعراف: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف:١٧٢].

٢. عهد الاستخلاف في الأرض.

٣. العهود الكثيرة لكل قومٍ على الأرض أن يعبدوا الله ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾ [المائدة:١١٧]. وإذا نُقض عهد الله نُقض كل عهد.

سؤال ٤:

بمَ فسّر سيدٌ قوله تعالى: ﴿أَن يُوصَلَ﴾؟

١. صلة الرحم والقُربى.

٢. صلة الإنسانيّة الكبرى وهو الشعور العام مع الناس جميعاً.

٣. صلة العقيدة والأُخوّة، وهي أقوى الأواصر لأنها تستمّد قوتها من الله..

سؤال ٥:

ما معنى (الفساد)؟

هو فسادٌ شامل للنفوس والأحوال، يفسدون الحياة، فيفسدون في المعاش. وفسادٌ للأرض كلها وما عليها من ناس وأشياء. يقول النبي ﷺ: "ما لم تحكم أئمتهم بما أنزل الله إلا فشتْ فيهم الأوجاع والأسقام التي لم تكن في أسلافهم".

وتقول الآية الكريمة في سورة الروم ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ [الروم:٤١].

مثلهم: حالُهم العجيبة أو صفتهم.

استوقد ناراً: أوقدها.

بُكمٌ: خُرْسٌ عن النطق بالحق.

كصيّب: المطر النازل أو السّحاب.

يخطف أبصارهم: يستلِبُها ويذهب بها بسرعة.

قاموا: وقفوا وثبتوا في أماكنهم مُتحيرين.

الأرض فراشاً: بساطاً ووطاءً للاستقرار عليها.

والسماء بناءً: سقفاً مرفوعاً أو كالقُبّةِ المضروبة.

أنداداً: أمثالاً من الأوثان تعبدُونها (كلُّ ندٍّ مثل وليس العكس) نديدُ الشيء مُشاركهُ جوهره.

وادعوا شهداءكم: أحضروا آلهتكم أو نُصراءكم.

مُتشابهاً: في اللون والمنظر لا في الطعم.

- ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٨].

كيف: اسم استفهام يُسأل به عن الأحوال، يفيد هنا الإنكار والتوبيخ المعنى: على أي حالٍ تكفرون بي؟ لماذا تكفرون بي؟ وقد أنعمتُ عليكم بنعمة كذا وكذا. أولها نعمة الحياة.

تكفرون: تجحدون. فعل مضارع.

أمواتاً: كلّنا كنّا أموات. الحياة نعمةٌ سابغة سربَلَنا الله بها، فهي نعمة عظيمة.

فأحياكم: قال ابن كثير: (هذه الآية تتكلّم عن حياتين وميتين) الإمام القرطبي جعلها ثلاث حياوات وثلاث ميتات لكن نختصر.

الموتة الأولى: حينما كنا أمواتاً في أصلاب آبائنا

الموتة الثانية: التي ستقع على كل واحدٍ منا وهي موتة الحق ونهاية الأجل.

والحياة الأولى: الأولى بعد العدم التي ينعُم بها كل واحد منّا.

الحيـاة الثانيـة: هـي الآخـرة، بعـد النفخـة الثانيـة ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ [غافر:١١]

فائدة:

بالفاء: جاءت نعمة الحياة بعد الموت مباشرة.

فأحياكم: لأن الحياة الأولى جاءت عَقِب الموت على وجه السرعة والفاعل الحقيقي هو الله.

ثمّ: هل تفيد التراخي الزمني أم التراخي الرُّتبي؟ الرّاجح أنه تراخي زمني.

يُميتكم: " أي من مرحلة الحياة إلى مرحلة الموت، وهي نهاية الأجل.

ثمّ يُحييكم: تراخي زمني وهي حياتنا بالبرازخ وثمّ الثانية أطول زمناً من الأولى.

ثمّ إليه: تراخي زمني لأن الخلق حينما يخرجون من قبورهم يقفون خمسين ألف سنة والله أعلم.

تُرْجعون: مضارع مبني للمجهول لأن الأمر متروك لله عزّ وجل. ولكن الفاعل الحقيقي هو الله سبحانه أراد لكم الرجوع رُغماً عنكم.

ملاحظة:

الآية من سطرٍ واحد وتُلخص مراحل الحياة كلها. فهذا هو الإيجاز في القرآن الكريم. ونحنُ في حلقة الحياة الثانية. وبقي لنا حلقات كثيرة. نسأل الله اللطف.

لفتة طيّبة لسيّد قطب رحمه الله:

يقول سيّدٌ: (وهكذا في آيةٍ واحدةٍ قصيرةٍ يُفتح سجل الحياة كلها ويُطوى وتُعرض في ومضةٍ صورةُ البشرية في قبضة البارئ. وفي هذا الاستعراض السريع يرتسم ظل القدرة القادرة على الإحياء والإماتة).

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [الواقعة:٨٣-٨٤].

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٩].

هو: يسأل السائل من هو الذي؟ فتأتي الإجابة فتلتفت الأنظار إلى الله سبحانه، (تشويق + لفت انتباه).

لكم: تُفيد الاختصاص.

قال ابن كثير: (لمّا ذكر الله دليل من خلقهم وما يُشاهدون من أنفسهم ثم ذكر دليلاً آخر مما يُشاهدون من خلق السموات والأرض).

قال الشيخ السعدي في كتابه "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان": أي خلق لكم براً بكم ورحمة. فكل نعمة أنعمها الله على الإنسان وجميع ما على الأرض للانتفاع والاستمتاع والاعتبار برّاً بكم ورحمة.

ما في الأرض: أي جميع ما في الأرض.

استوى: ثم استوى إلى الأرض لها ثلاثة معايير:

١. الكمال والتمام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ﴾ [القصص:١٤].

٢. علا وارتفع: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[السجدة:٤] ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾[الزُّخرُف:١٣].

٣. قَصَد: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[البقرة:٢٩].

فسوَّاهنّ: خلقهنّ وأحكمهنّ.

نفحة من الإعجاز العملي في القرآن عن كوكب الأرض (٣):

جاء ذكر الأرض في (٤٦٣) موضعاً من كتاب الله.

يُقدَّر حجم الأرض بمليون كم٣ وكتلتها (٦) آلاف مليون مليون مليون طن بميزاتٍ دقيق. لو كانت الأرض أصغر قليلاً ماذا حدث:

---

(٣) ما ورد تحت هذا العنوان من كتاب: الأرض في القرآن. د. زغلول النجار.

١. لم يكن بمقدورها الاحتفاظ بأغلفتها النازيّة والمائية؛ إذن تستحيل الحياة.
٢. لبلغتْ درجة حرارة سطحها قدراً هائلاً يؤدي إلى احتراقها بمنْ عليها: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن:٥] سبحانك ما أكرمك!

ولو كانت الأرض أكبر من حجمها بقليل ماذا حدث:
١. لزادتْ قدرتها على جذب الأشياء وبالتالي يتصادم كل منْ عليها.
٢. لمنعت وصول قدر كبير من أشعة الشمس إلينا.. بالتالي نموت.

سُرعتها:

لو كانت سرعة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس أعلى ممّا هي عليه يترتب ما يلي:
١. يقصر طول اليوم بنهاره، وليله قصراً مُخلاًّ، وبالتالي يختلّ نظام الحياة كلها.. وذلك لأن طول اليوم وقصر اليوم مسؤولٌ عن توزيع الأشعة الشمسيّة على سطح الأرض وبالتالي:
٢. يختلّ نظام النوم واليقظة والتنفس والنّتح (النبات)، وتختلّ معدلات الدفء والبرودة والجفاف والرطوبة وحركة الرياح وحركة الأمواج.

ولو كانت سرعة دورانها أقل ممّا هي عليه لكانت نفس الآثار بل أكثر.

الشمس:

لو لم تكن الأرض مائلة بمحورها على مستوى الشمس لما تبادلت الفصول الأربعة لولا هذا التوازن الدقيق لابتلعت الشمس الأرض وجذبتها جذباً قوياً لأن الشمس تزيد حرارتها عن ١٥ مليون من الدرجات المطلقة.. ولو نقصتْ لانفلتتْ من جاذبية الشمس فتضيع في الأكوان، ثم تجمدُت بمن عليها، أو تصطدم بجرمِ آخر أو لابتلعها نجمٌ من النجوم الأخرى وكل هذا الشيء المخيف سيحدث يوم القيامة في نهايات الكون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓ﴾.

قال الدكتور زغلول النجار: (فسبحان الذي أنزل هذه الآية الكريمة من قبل ألف وأربعمائة سنة على النبي الأميّ في أمّة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين ولم تكتشف أسرارها إلا في عصرنا الحاضر وهذا أكبر دليلٍ على أن القرآن الكريم هو من كلام الله الخالق وأن نبينا محمد هو خاتم المرسلين لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحيٌ يوحى).

أول تجربة استخلاف: آدم عليه السلام:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠].

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٣١].

ميز الله سبحانه سيدنا آدم عليه السلام بميزة فاقت الملائكة، أغدق عليه إغداقاً ما ليس له حد، هذا العطاء الربّاني (الأسماء كلّها) فيما لا يستطيع العقل أن يحصره لا يساوي شيئاً من علم الله عزّ وجل.

خليفة: قومٌ يخلف بعضهم بعضاً قرنا بعد قرن جيلاً بعد جيل، الخلافة أمرٌ مستمرٌ بتعاقب الأجيال والقرون.

بما أن الله عز وجل أخبر أنه سيجعل في الأرض خليفة دلالة على ضعفنا وعلى قصر أعمارنا، وأن لكل واحدٍ فينا أجلٌ سينقضي لأن الخلافة تعني التبدّل والتغيّر قال ابن كثير (ليس المراد بالخليفة آدم عليه السلام فقط بل آدم عليه السلام ومن بعده).

وقال (مَنْ: تُفيد العموم والجمع، آدم ومن يخلُفه من البشر) وقال (ويجب أن يكون الخليفة ذكراً، حراً، بالغاً، عاقلاً، مسلماً، عدْلاً، مجتهداً (عالماً)، بصيراً (حكيماً)، سليم الأعضاء، خبيراً بالحروب والآراء، قرشياً في الراجح عند العلماء، ولا يشترط الهاشمي ولا المعصوم من الخطأ (خلافاً للرّوافض).

يقول النبي ﷺ: "سبعةٌ يظلّهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله منهم: إمام عادل". والآية الكريمة تقول: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [ص: ٢٦].

ويقول النبي ﷺ: "الخليفة إمام الله في الأرض".

في الأرض: ما المُراد بالأرض؟

قال ابن كثير: (والظاهر أن المراد بالأرض أعمّ من ذلك فهو عموم الأرض).

سؤال ٦:

كيف علم الملائكة ما يكون من بني آدم من الإفساد في الأرض وسفك الدماء؟

هناك وجوهٌ عديدة:

الوجه الأول: كأنّهم علموا ذلك من علم خاص من الله عز وجل فالله أخبرهم بذلك أي: من إلهام البصيرة.

الوجه الثاني: أو فهموا ذلك من طبيعة الخلقة البشريّة (من الطين والضعف). أي: من شواهد الحال.

الطين: مُتلوّن حينما ينزل عليه الماء يتغيّر لونه، ويضعُف، فإذا ما جفّ أصبح قاسياً يتشقّق ثم يصبح كالفخار، فطبيعة ابن آدم نزوات وغرائز وشهوات.

الوجه الثالث: فهموا من كلمة الخليفة من مقتضيات حياته على الأرض وخلافته: أن الحاكم سيحكم بين الناس، ويفصل فيهم، إن وقع بينهم خصومة، أو فساد، قتل، سفك دماء".

الوجه الرابع: قد يكونوا قاسوهم على منْ سبق، على ما قيل عن الجن، أي: من تجارب سابقة. وهذا لم يثبت فيه حديث عن النبي ﷺ والراجح القول الأول والله أعلم).

سؤال ٧:

ما وجه استفهام الملائكة؟

وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض ولا على وجه الحسد لبني آدم. والدليل قوله تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٧] لا يسبقونه بالأمر أي لا يسألونه شيئاً لم يأذن لهم فيه والآية: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣] فالملائكة من أدبهم الجمّ لا يسألون الله إلا إذا أذن لهم بالسؤال، إذنْ أذِنَ الله للملائكة بالسؤال والاستعلام فالهدف من السؤال والفهم والبحث عن الحكمة.

الله يُعلمنا من هذا أن نفهم كل ما نسمع، وكل ما نقرأ، وكل ما يدور حولنا من أحداث كأن الملائكة تقول (يا ربنا ما الحكمة في خلق هؤلاء). إذا كان الأمر يتعلّق بالعبادة فنحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك.

سؤال ٨:

ما معنى ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾؟

أي: (إني أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا المخلوق الضعيف على المفاسد، التي ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم، فإنّي سأجعل فيهم الأنبياء، وأرسل فيهم الرسل ويوجد منهم الصدّيقون والشهداء والصالحون والعبّاد والزّهاد والأولياء والعلماء العاملون).

كأنّ الله عز وجلّ علم أن فيهم من الخير ما تزول به هذه المفاسد.

وفي هذا تحدّي لنا أن نجعل من هذا الطين نور من مخلوقات هذه الأرض ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [الأنبياء:٢٠]. قال ﷺ: "أطّتْ السماء وحُقّ لها أن تئط، ما فيها من موضع أربعة أصابع إلا وملك ساجدٌ أو راكع، فإذا قامت القيامة قالوا: سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك".

أطّتْ: صوت الأسطحة التي صُمّمت من الخشب ووضع فوقها ثقل شديد النبي سمع أطيطها وهو في الأرض.

التسبيح: (التنزيه) التقديس: التطهير والتعظيم (سبّوح قدّوس ربُّ الملائكة والروح) ومنه الأرض المقدسة أي المعظّمة والمُطهّرة.

نُسبّح بحمدك: نُنزهك مما يُضيفه إليك أهل الشرك. ننفي عنك كل صفات النقص وكل صفة قدْحٍ.

نقدّس لك: ننسِبك إلى كل وصفٍ يُبعدك عن الأدناس. نُنسب لك كل صفة مدحٍ وكمال..

الله عز وجل يجب أن يحمد وأن يشكر على نعمه. فأول كلمة نطق بها آدم عليها السلام (الحمد لله) وذلك بعد ما عطس أوّل خلقه.

إذن هي المشيئة العليا تريد أن تُسلّم الكائن الجديد وذريّته زمام هذه الأرض، (مفاتيح الأرض معك أيها المسلم) وتطلق فيها يده، وتكِلْ إليه (توكِلْ) كشف ما فيها من كنوز وخامات.

فقد وهب هذا الكائن من الطاقات الكامنة والاستعدادات المذخورة والقوى الخفيّة ما يُحقّق المشيئة الإلهية.

إذن فالله عزّ وجلّ أودع في ابن آدم عقلاً وقدرة واكتشافاً وبحثاً، وعلماً وقوةً، ما يُعينُهُ على الخلافة في هذه الأرض.

لطائف لغوية:

إياك: ضمير منفصل يختص بالمُخاطبْ المفرد المذكر مبني على الفتحة في محل نصب.

ألا إنّهم: حرف تنبيه.

يستحي: على وزن يستَفْعِلْ. فيها ياءان الأولى مكسورة والثانية مديّة وحذفت الثانية رسماً لكن تُلفظ نُطقاً وصلاً ووقفاً وذلك لأن من عادة العرب في عهد النبوة إذا اجتمع في الكلمة ياءان أو واوان أو ألفان متجاوتان فيكتبون واحدة ويحذفون الثانية من باب التخفيف ولعدم توالي الأمثال.

وفيها تمكين: يُمكّن من ظهور الحرف المدي مقدار حركتين لخروجه سليماً في النطق عند مجاورة مثيله المتحرك.

هؤلاء: الهاء: للتنبيه.

أولاء: اسم إشارة مبني على كسر يُعرب حسب موقعه في الجملة بجمع المذكر وتدخل ها التنبيه في القرآن على سبع كلمات: [هأنتم، هؤلاء، هذه، ههنا، هذا، هذان، هتين].

هُداي + إيّايَ : ياء متكلم هي ياء إضافة فُتحت فتحة عارضة لالتقاء الساكنين الساكن الأول الألف قبلها، والساكن الثاني هي الياء، فكل ياء إضافة وقع قبلها ألف أو ياء ساكنتان فتفتح لالتقاء الساكنين وذلك للقراء العشرة. يقول ابن الجزري (وبعد ساكنٍ كلٌ فتح) أي القراء العشرة. ووقع ذلك في أربع عشرة كلمة، بالقرآن كلّه: [هداي، رؤياي، مثواي، إياي، بُنيّ، ابنتيّ، لديّ، عليّ، إليّ، بمُصرخيّ لوالديّ، بَنِيَّ بيدَيَّ، محيايَ، عصايَ].

سؤال ٩:

ما هي شروط التوبة النصوح في الشّرع؟

١. ترك الذنب والإقلاع عنه وتوقيفه.
٢. الندم على فعل الذنب.
٣. العزم على ترك معاودته.
٤. تدارك ما فات من حقوق العباد بقدر الإمكان.

سؤال ١٠:

من هو (إسرائيل)، وما معناه بالعبريّة؟

إسرائيل هو لَقَبُ يعقوب بن إسحاق عليهما السلام، أمّه سارة، ومعناه بالعبريّة: عبد الله، أو صَفْوة الله، وقد عدّد الله في هذه السورة على بني إسرائيل من الآية ٤٠ حتى الآية ١٤٢ نعماً عشرة، حباهم بها رحمةً وفضلاً، وقبائح عشرة، ارتكبوها جحوداً وإثماً، وانتقامات عشرة، أنزلها الله بهم جزاءً وفاقاً.

سؤال ١١:

ماذا تُفيد اللام في الآية: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾؟

يحتمل فيها معنيان:

١. نُقدّسك، فتكون اللام مفيدة لتأكيد التخصيص والإخلاص.
٢. أو نُقدس لك أنفسنا، أي: نُطهرها بالأخلاق الجميلة النبيّلة، كمحبّة الله وخشيته وتعظيمه، ونُطهّرها من الأخلاق الرذيلة.

سؤال ١٢:

ما هي العبر والآيات المأخوذة من السجود لآدم عليه السلام؟

١. إكراماً لآدم وتعظيماً له وعبوديّة لله تعالى.
٢. بيان الإباء من إبليس والاستكبار نتيجة للكفر الذي هو منمطوٍ عليه، فتبيّنت حينئذٍ عداوته لله، ولآدم وكفره واستكباره.
٣. إثبات الكلام لله تعالى وأنّه لم يزلْ متكلّماً يقول ما شاء ويتكلّم بما شاء، وأنه عليمٌ حكيم.
٤. أن العبد إذا خفيتْ عليه حكمة الله في بعض المخلوقات والمأمورات فالواجب عليه التسليم، واتهام عقله، والإقرار لله بالحكمة.

٥. اعتناءُ الله بشأن الملائكة، وإحسانه إليهم، بتعليمهم ما جهلوا وتنبيههم على ما لم يعلموه.
٦. بيان فضيلة العلم وذلك من وجوه عدة، وسيذكر في السؤال الآتي.

سؤال ١٣:

من العبر والآيات المأخوذة من السجود لآدم (بيان فضيلة العلم من وجوه) وضّحْ؟

١. أن الله تعرَّف لملائكته بعلمه وحكمته..
٢. أن الله عرفهم فضل آدم بالعلم، و أنها أفضل صفة تكون في العبد.
٣. أنّ الله أمرهم بالسجود لآدم إكراماً لما بان من فضلٍ وعلمٍ.
٤. أنّ الامتحان للغير، إذا عجزوا عمّا امتُحِنُوا به، ثمّ عرفهُ صاحب الفضيلة، فهو أكمل ممّا عرفه ابتداءً.
٥. الاعتبار بحال أبوي الإنس والجن، وبيان فضل آدم، وإفضالُ الله عليه، وعداوة إبليس له، إلى غير ذلك من العبر.

سؤال ١٤:

يرى العلامة السعدي أن توبة الله على عبده نوعان، ما هما؟

١. توفيقه سبحانه أولاً لعبده، وإعانته إليها.
٢. قبوله للتوبة سبحانه، إذا اجتمعتْ شروطها لتكون توبةً نصوحاً.

سؤال ١٥:

في الآية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٣٩] وما أشبهها انقسام الخلق إلى قسمين كيف ذلك؟

نعم، وذلك بانقسام الخلق من الجن والإنس إلى أهل السّعادة وأهل الشّقاوة، وفيها صفات الفريقين، والأعمال المُوجبة لذلك، وأنّ الجنّ كالإنس في الثواب والعقاب، كما أنهم مثلهم في الأمر والنّهي، فأصحاب النار ملازمون لها ملازمة الصاحب لصاحبه، والغريم لغريمه لا يخرجون منها، ولا يُفتَّر عنهم العذاب، ولا هم يُنصرون، وكذلك أهل الجنّة خالدين في النعيم الأبدي.

سؤال ١٦:

ما المقصود بالنعمة التي ذكرها سبحانه في الآية: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة:٤٠]؟

يشمل الله سبحانه سائر النعم التي سيذكر في هذه السورة بعضها، من خلال مئة آية تقريباً، ذكر عشر نِعم أنزلها على بني إسرائيل. ولكنّ الذي يريده الله عزّ وجلّ أعمُّ من ذلك، فالمراد بذكرها في القلب اعترافاً، وباللسان ثناءً، وبالجوارحِ باستعمالها فيما يُحبّه ويرضاه سبحانه وتعالى.

سؤال ١٧:

في الآية الكريمة: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٣٨] فرتَّب، سبحانه وتعالى على اتباع هُداه أربعة أمور. ما هي؟

وفي الآية الأخرى ذكرها سبحانه ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:١٢٣]:

١. نفي الخوف والحزن. والفرق بينهما أنّ المكروه إنْ كان قد مضى أحدث الحُزن، وإن كان مُنتظَراً أحدث الخوف، فنفاهما عمّن اتبع هُداه، وإذا انتفيا حصل ضدّهما وهو الأمن التّام.
٢. نفي الضلال والشقاء عمّن اتبع هُداه، وإذا انتفيا ثبت ضدّهما، وهو الهدى والسّعادة، والسعادة تشمل (الدنيويّة والأخرويّة).

سؤال ١٨:

إلام تشير الآية الكريمة: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة:٤٣]؟

١. أي صلوا مع المُصلّين، ففيه الأمر بصلاة الجماعة ووجوبها.
٢. وفيه أن الركوع ركن من أركان الصلاة لأنّه عبّر عن الصلاة بالركوع [والتعبير عن العبادة بجُزئها يدل على فرضيّته فيها].

يقول الراغب الأصفهاني:

أزلَّهما: الزّلة في الأصل استرسال الرجل من غير قصد، ويُقال المكان الزّالق، وقيل للذنب من غير قصد زلّة، وأزلّهما الشيطان أي تحرّى زلّته. أي استجرّهما الشيطان حتى زلّوا، فإنّ الخطيئة الصغيرة إذا ترخّص الإنسان فيها تصير مُسّهلة لسبيل الشيطان على نفسه.

العلم: إدراك الشيء بحقيقته، وذلك ضربان: أحدهما إدراك ذات الشيء، والثاني الُحكم على الشيء بوجود شيءٍ هو موجودٌ له، أو نفي شيء هو منفيٌ عنه. فالأول يتعدّى إلى مفعولٍ واحد، والثاني يتعدّى إلى مفعولين.

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٣١].

قال ابن كثير (والصحيح من هذه الأقوال كلّها "الأسماء كلها" أن علّمة أسماء الأشياء كلها، ذواتها، صفاتها، أفعالها).

وهذا يستند إلى حديث صحيح يرويه البخاري يقول ﷺ: "يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون إلى آدم فيقولون أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسجد لك الملائكة وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا عند ربك حتى تُريحنا من مكاننا هذا فيقول لستُ هناكم لستُ هناكم".

قال ابن كثير (قال أكثر المفسّرين أن الله علّم آدم الأسماء والأشياء كلها ما كانت كائناً منها وما سيكون إلى يوم القيامة باللغة التي كانت كائنة وبكل لغة ستكون إلى يوم القيامة وهذا رأي جمهور المفسرين. ولكن فيه شيء من رائحة الإسرائيليات، والله أعلم، لأن فيه شيء من المبالغة حتى وإن كان فيه رأي جمهور المفسرين.

يقول الشيخ القاسمي في تفسيره "محاسن التأويل": (والمراد بالأسماء أسماء كل شيء ثم نقل عن ابن عباس [الذي هو حبر الأمة وتُرجمان القرآن] قال ابن عباس: هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس، مثل إنسان دابّة، أرض، سهل، بحر، وأشباه ذلك من الأسماء وغيرها. وفي التوراة مصداق الآية: [وذلك أن الله صوّر من الأرض كل حيوانات البر وكل طيور السماء وأحضرها إلى آدم لينظر ما يُسمّيها فكل ما سمّاه آدم فهو اسمه بجميع اللغات وجميع طيور السماء وسمّى جميع وحوش الأرض].

وهذا والله أعلم مصداق حدْسنا أنها إسرائيليات، لأن فترة جلوس آدم في الجنة نصف يوم ويقول شيخ المفسرين ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) صاحب تفسير "جامع البيان": (يوجد في التوراة أن الأسماء كلها تعني تمام النعمة والمنّة. والأسماء التي عُلمها آدم كيت وكيت وكيت لكن الذي نزل على محمد أكثر بكثير هذا أكبر دليل على أن محمداً ﷺ صادقٌ). وهذا هو رأي الإمام الزمخشري.

يقول عبد الوهاب النّجار صاحب كتاب "قصص الأنبياء": (والذي أفهمه أنه علّمه جميع الأشياء التي في جنات عدن، ألهمه وأقدره على وضع اسمٍ لكل من تقع عليه عينه من زروع وأشجار وثمار وفروع وورق ولُبّ ونوى وجميع الأوعية والأدوات التي هناك وأكرمه الله بأن يُسمى ما يراه أمامه).

ثم أكدّ هذا الرأي العلامة البهي الخُولي

فقال: (إنّ الله بثّ في آدم سرّ الاهتداء إلى خصائص الأشياء ووسائل الانتفاع بها).

عرضهم: بلفظة الجميع لمقتضى النسق. ثم عرضها تُقال للأسماء. لأنّ عرضها خطاب لغير العقلاء مثلاً (دابة، شجرة، حمار... الخ).

عرضهم: خطابٌ للعقلاء لأنه هو الذي بفعله يهتدي لتسمية الأشياء.

وعلّم آدمَ: قال سيّدٌ: أي ما أودعه سبحانه في الإنسان من سرّ القدرة على الرمز بالأسماء للمُسميّات.

والراجح والله أعلم قوله وعلّم أن الفاعل هو الله عزّ وجلّ لأن [المعلم الناجح - ولله المثل الأعلى - هو الذي يُعلّم الطالب كيف يفهم وليس يحفظ حفظاً]. أيليق بالمعلم أن يتُخِم عقل تلميذه بما لا يفهمه، أم يُعلّمه الطريقة للاستدلال والإبداع والاستنباط.

و(**علّمه البيان**): أي القرآن. أي علم الله الإنسان سرّ الاتباع والاهتداء. وعلى لسان سيدنا يوسف عليه السلام "ذلك مما علمني ربّي" وهو العلم اللدني. فالله أودع في قلب يوسف سرّ التعبير للرؤيا.

ثُمّ: نعمة عظيمة تدل على فرصة عظيمة لآدم. فيها تراخي زمني. أن الله أعطى آدم فرصة حتى يفكر.

أنبئوني: قول الله عزّ وجلّ للملائكة، فلم يستطع الملائكة وقالوا: (لا علم لنا) فأنبأهم آدم بذلك، فَمَازَ آدمُ الملائكة من أول يوم.

يا آدم: نداءُ معظم الأنبياء من الله عزّ وجلّ بأسمائهم دون ألقاب ودون وصف. إلا سيدنا محمد وذلك لرفعة مكانته وعلو شأنه ﷺ فناداه مرة بالرسالة وأخرى بالنبوة (يا أيها الرسول) موضعين بالمائدة. (ويا أيها النبي) ثلاثة عشر موضعاً ثلاثة منها فواتح سور الأحزاب والطلاق والتحريم.

يقول الإمام الترمذي: (لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال: الحمد لله، فقال له ربه: رحمك الله يا آدم ثم قال: اذهب إلى ملأٍ من الملائكة منهم جلوس فقل: السلام عليكم، فقال: السلام عليكم، فزادت الملائكة: وعليك السلام ورحمة الله، ثم رجع آدم إلى ربه، فقال الله عزّ وجلّ: إنّ هذه تحيتّك وتحيّة بنيك بينهم، وزاد محمد ﷺ وبركاته).

فكانت أول كلمة لآدم عليه السلام: الحمد لله.

كانت أو كلمة لعيسى عليه السلام: إني عبد الله.

كانت أول كلمة لمحمد عليه السلام لأمته: اقرأ.

هناك درجة أعلى من التسليم والتحيّة أن آدم عليه السلام قام في الجنة مقام المعلم، فعلّم آدمُ الملائكةَ ما لم يكونوا يعلمون، إذن مباشرة مجرّد أنه علم أخذ يُعلّم غيره. والحديث "بلغوا عني ولو آية فرُبّ مُبلّغٍ أوعى من سامعٍ" وبعد العلم العمل.

سؤال ١٩:

كيف يتضح لنا تكريم الله وتشريفه لآدم؟

ها هي ومضات الاستشراف في ساحة الملأ الأعلى تُسلّم المشيئة العليا لهذا الكائن الجديد في الوجود، زمام هذه الأرض، وتطلق فيها يده في الإبداع والتكوين، والتحليل والتركيب، والتحوير والتبديل، وكشف القول والطاقات، والكنوز والخامات، وتسخير هذا كلّه في المهمّة الضخمة التي وكلها الله إليه، فقد وهب الله عزّ وجلّ هذا الكائن الجديد من الطاقات الكامنة والاستعدادات المذخورة كفاء قوى الأرض وطاقاتها وكنوزها وخاماتها، ووهبه الله من القوى الخفيّة ما يحقق المشيئة الإلهية.. فهي منزلة عظيمة والله، منزلة هذا الإنسان، وهو تكريمٌ علويٌ جليل."خليفة" إيحاءٌ علويٌ حين نتملاه اليوم بالحسّ اليقظ، والبصيرة المفتوحة، ورؤيّة ما تمّ على يد هذا الخليفة في هذا المُلك العريض.

سؤال ٢٠:

ممّ استوحى الملائكة أن هذا الخليفة سيسفك الدماء ويُفسد فيها؟

١. ممّا كان لديهم من شواهد الحال.
٢. أو من تجارب سابقة في الأرض.
٣. أو من إلهام البصيرة ما يكشف لهم عن شيء من فطرة هذا المخلوق.
٤. أو من مقتضيات حياته على الأرض وما يجعلهم يتوقعون أنه سيفسد وسيسفك.

سؤال ٢١:

ما هو السرّ الإلهي العظيم الذي أودعه الله سبحانه هذا الكائن البشري آدم عليه السلام؟

إنه سر القدرة على الرمز بالأسماء للمُسمّيات، سر القدرة على تسمية الأشخاص والأشياء بأسماء يجعلها رموزاً لتلك الأشخاص والأشياء المحسوسة.

سؤال ٢٢:

ما قيمة هذه القدرة التي وهبها الله آدم في حياتنا على الأرض؟

إنها قدرة ذات قيمة كبرى في حياة الإنسان على الأرض. لو لم يوهب الإنسان القدرة على الرمز بالأسماء للمُسميات لكان هناك مشقة في التفاهم والتعامل، حينها يحتاج كل فرد لكي يتفاهم مع الآخرين على شيء معين ينبغي عليه أن يستحضر هذا الشيء بذاته أمامهم ليتفاهموا بشأنه فهي مشقة هائلة لا تُتصوّر معها حياة. وإنّ الحياة ما كانت لتمضي في طريقها لو لم يودع الله هذا الكائن القدرة على الرمز بالأسماء للمسميّات.

سؤال ٢٣:

قوله تعالى: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾[البقرة:٣٢] لماذا لم يوهب الله عز وجل هذه القدرة للملائكة وهم لا يفترون عن عبادته؟

الملائكة لا حاجة لهم بهذه الخاصية، ولا ضرورة لها في وظيفتهم، ومن ثم لم توهب لهم، فلم يعرفوا كيف يضعون الرموز اللفظية للأشياء والشخوص فجهروا أمام هذا العجز بتسبيح ربهم، والاعتراف بعجزهم، والإقرار بحدود علمهم، وهو ما علمهم ربهم، فوهب آدم من الأسرار ما يرفعه على الملائكة، لقد وُهب سر المعرفة، كما وهب سر الإرادة المستقلة التي تختار الطريق، واضطلاعه بأمانة الهداية إلى الله بمحاولته الخاصة.

سؤال ٢٤:

إذن لَخِّصْ صور تكريم الله عزّ وجل لآدم عليه السلام؟

١. وُهِب من الأسرار ما يرفعه على الملائكة.
٢. القدرة على وضع رموز لفظية (أسماء) للمسميات (أشياء + شخوص).
٣. وُهِب سرّ المعرفة.
٤. وُهِب سر الإرادة المستقلة التي تختار الطريق.
٥. قيامه بالأمانة (أمانة الهداية إلى الله) بمحاولته الخاصة.
٦. سجود الملائكة له وهذا امتثالاً للأمر العلوي الجليل.
٧. تسليم مقاليد الأرض بعهدٍ من الله للأمة المسلمة الوافية بعهد الله بعد عزلها عن بني إسرائيل.
٨. وُهب طاقات كامنة واستعدادات مذخورة وقوى خفيّة من الله ليتحقق الاستخلاف.

٩. سخّر له الله عزّ وجلّ كل ما في الأرض من طاقات وقوى وكنوز خامات ليقوم بالمهمة الضخمة التي وكلها الله إليه.

١٠. هو تكريمٌ علويٌ جليل تلك المنزلة العظيمة منزلة هذا الإنسان في نظام الوجود على هذه الأرض الفسيحة.

خلق الإنسان:

١. خُلق الإنسان من طين قال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ [الصافات:١١]. ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ [الأنعام:٢].

٢. خُلق الإنسان من سلالةٍ من طين قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ [المؤمنون:١٢]. ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ [السجدة:٨].

السُلالة والسَّليل: الولد. الخُلاصة التي خرج منها الولد.

إذن تولد من آدم أولادهم، السُلالة مخلوقون من طين ومن ماء مهين أي حقير.

٣. خُلق الإنسان من صلصال من حمأ مسنون.

الحَمْأة والحَمَأ: الطين الأسود المُنتْن.

الصلصال: الطين اليابس الذي لِشدّة يُبْسِه يخرج منه صوت ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحِجر:٢٦]. ثلاثة مواضع الحجر وموضع الرحمن..

٤. خُلق الإنسان من صلصال كالفخّار. ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن:١٤].

سؤال ٢٥:

أين الرمزية في هذه الأطياف الأربعة السابقة؟

الطيفان الأول والثاني:

- **جانب اللون الأسود (لأنه طين أسود)**

١. الطين الأسود يشير في شخصيّة الإنسان إلى غموض الإنسان، وذلك للون الأسود الداكن الذي لا يُرى من خلاله شيء.
٢. عدم الوضوح وعدم الصراحة لأنه داكن.
٣. جُنوح الإنسان إلى التخفّي بالدسائس والخديعة والمكر.
٤. جُنوح الإنسان إلى نصب المكائد والغدر.

- **أمّا جانب النَتَنْ:**

١. ما يصدر عن الإنسان من أفعالٍ دنيئة تدعو للاشمئزاز يقول ابن سينا: (كل إنسان يُضمر ما أظهر فرعون) إلا صاحب الديّن. مثل: التجسُّس الابتذال، النفاق، إهدار العرض.
٢. الحالة النفسيّة التي تُقابل الطين إذا أنتن، تكون النفس بهيمية شهوانيّة حيوانيّة نُعالجها بالتزكية والتسبيح والعلم وذكر الله عز وجل والإنابة إليه سبحانه. وكان دعاء النبي ﷺ: "اللهم اجعل ظاهرنا كباطننا، واجعل ظاهرنا وباطننا سواءً ويقول أبو العتاهية:

أحسن اللهُ بنا أنّ الخطايا لا تفوحُ	فإذا المستورُ منّا بين جنبيْه فضوحُ

الطيف الثالث:

من دلائل اليابس قلّة التماسك، لا يتحمّل جهد ولا جوع ولا عطش ولا حرّ ولا برد، فإنه سرعان ما يتهالك على الشهوات والنزوات، لكنّ الدين هو الذي يُقوّي لمواجهة هذه النزوات.

الطيف الرابع:

من دلائل الفخّار أنه ينكسر بسرعة، والماء الذي في داخله يتعفن بسرعة، فالإنسان بحاجة إلى تسبيحٍ دائم وتنظيف مستمر وذلك لتجديد الجانب الروحي ومعنى آخر فيه إشارة إلىً الفخر، وأنه يحب الكبر والتفاخر.

والهدف من هذا التحليل لشخصية الإنسان وما جُبل عليه أن نتخلّص من أوزار النفس البشرية وأوحال الطين ونسمو نحو الفُضُل فالإنسان مجموعة من [العواطف، والغرائز والشهوات والميول والأذواق].

يقول سفيان بن عُيَينة: (ما في الأرض آدميٌ إلا وفيه شبهٌ من بعض البهائم فمنهم من يُقدم إقدام الأسد، ومنهم من يعدو عْدوَ الذئب، ومنهم من ينبح نبح

الكلاب، ومنهم من يتطوّس تطوُّس الطاووس، ومنهم من يُشبه الخنزير، ومنهم من إذا ألقي إليه الطعام الطيب تركه فكذلك نجد من الأدميين من لو سمع همس خمسين كلمة لم يسمع كلمة واحدة منها فإذا أخطأت كلمة واحدة حفظها ولم يجلس مجلساً إلا رواها عنك فاعلم أنك تُعاشر البهائم والسباع فبالغ في الحذر والاحترام) لكني شخصياً لم أقتنع بهذا الرأي كلّه، وإن كان بعضه صحيحاً.

مشهد إعطاء آدم القدرة على الرمز بالأسماء للمُسميّات:

الآية تقول: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ [البقرة:٣٣].

سؤال ٢٦:

لماذا ربط الله سبحانه الغيب بالسماوات والأرض فقط؟

ذلك لكثرة اتساع السموات والأرض فذلك تقريبٌ للذهن البشري. فالله سبحانه يعلم غيب السموات والأرض وهذا أمرٌ واضح، ويعلم غيب البحار كذلك والإنس والجن. وإنما تقريبٌ لأذهاننا وعقولنا البشريّة المحدودة.

تُبْدون: أي ما أبدَوْه من السؤال عن الحكمة في خلقة أبينا آدم.

سؤال ٢٧:

وهل يكتم الملائكة شيئاً عن ربهم سبحانه؟

إنّما الخطاب فيه شيء من الإشارة الضمنيّة إلى إبليس - عليه لعنة الله - وجاء الخطاب على وجه العموم لأن الخطاب خطاب عموم لكن المعني بالأمر هنا هو إبليس فهذا خطابٌ فيه تعريضٌ بإبليس فهناك ظاهر النصّ، ومقتضى النص، فظاهر النص هنا واضح أن الخطاب للملائكة بشكل عام، لكن مقتضى النص يقصد إبليس فقط.

مشهد الاحتفاء بآدم والسجود له:

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤] ولنعلم أن الاحتفاء بحبيبنا محمد كان قبل الاحتفاء بأبينا آدم وذلك في حديث النبي ﷺ: "إني عند الله خاتم النبيّين وإن آدم لمُنْجَدِلٌ في طينته" أي آدم ما زال في خلقته الطينيّة أي قبل أن تنفخ فيه الروح.

يقول مصطفى صادق الرافعي: (الله أنزل آدم إلى الأرض وفيه النقص البشري، ومنه توّلد أبناؤه فيهم النقص البشري، ثم أرسل الله محمداً ليُكمل هذا النقص ويُزيله فهو النبي الكامل ﷺ).

حفلُ خلق آدم والسجود له حضره الله عزّ وجلّ، كما حضره الملائكة جميعاً أطهر من خلق الله، حضره كل الملائكة بلا استثناء.

قال الإمام الزمخشري ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ فيه فائدتان:

١. جميع من خلق الله من الملائكة حضر (وما يعلم جنود ربك إلا هو) ولا نستطيع لهم عدّاً.
٢. مع كثرتهم كلهم أجمعون سجدوا في وقتٍ واحد، تكريماً لأبينا آدم.

❖ **فوائد لغويّة في السجود:**

١. الأصل في اللغة: السجود: التطامُن (تنزيل الرأس) والتذلل. فلله الحمد والمنّة على هذه النعمة.
٢. السجود عام: أي يشمل الإنسان والحيوان والجماد وكل ما خلق الله.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج:١٨]، والآية ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء:٤٤].

٣. قال الراغب الأصفهاني:

السُّجود: أصله التطامُن والتذلُّل وجُعل ذلك عبارة عن التذلّل لله وعبادته، وهو عامٌ في الإنسان والحيوانات، والجمادات، وذلك ضربان:

أ- سجودٌ باختيار وليس ذلك إلا للإنسان وبه يستحقّ الثواب نحو (فاسجدوا لله واعبدوا).

ب- وسجود تسخيرٍ وهو للإنسان والحيوانات والنبات، وعلى ذلك قوله (ولله يسجد من... طوعاً وكرهاً). وهي الدّلالةُ الصّامتة النّاطقة المُنبّهة على كونها مخلوقة وأنها خَلْق فاعلٍ عظيم حكيم.

٤. هنـاك (سـجود الصـلاة، سـجود الشـكر، سـجود الـتلاوة، سـجود السـهو، سجود الضحى)، والمساجد سميت مساجد لكثيرة السجود فيها، ولأن فيها مواضع السجود السبعة التي ذكرها النبي ﷺ بالحديث: "إن الله أمرني أن أسجد على سبعة أعُظم: الجبهة، الأنف، اليدان، الركبتان، الرجلان".

لطيفة عن السجود:

هنـاك طاقـات ست تـتحكم بالإنسـان (كطاقـة الخـوف، طاقـة الرغبـة، طاقـة النزوة، طاقة الشهوة...) والطاقة الكبرى هي السابعة الأخيرة مكانها في الجزء الأكبر من المخ، يقول الملحدون بأنها تتصل بالسماء والطبيعة، أي (بذات الله عند المؤمنين) مسيطرة على الستة الباقية، فإذا كانت سليمة وتُستمد من إله عُلوي تكون أقوى ما تكون في السيطرة على الطاقات الست. فأقصى تكون هذه الطاقات السبع معاً مُجتمعة بالسجود حيث تصدر من الإنسان طاقة رهيبة تُنشّط الطاقات السبع بشرط أن يكون السجود بخشوع لأنه إن كان كذلك بضغط على الشريان أعلى الجبهة فيخفف ضغط الدم وعندما أوصى نبينا محمد بتعليم الصلاة للأطفال بقوله ﷺ: "مُروهم عليها وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر". لأن من سنّ السابعة حتى العاشرة فترة نموّ دائرة المخّ وتوسُّعها وتقويتها وهذا يتم بالسجود.

يقول الراغب الأصفهاني: السجود هو الدلالة الناطقة الصامتة عل أن المُبدع هو الله عزّ وجل هذه الكائنات صامتة لكنها ناطقة بأن الله هو الخالق المبدع. فكأنها ساجدة لله، وهذا السجود قد يكون حقيقي وقد يكون مجازي لكنه بشكل عام هو مجازي لكن النصوص تقول بأنه حقيقي.

ملحوظات عن السُّجود:

١. السجود لا يجوز أن يكون إلا لله.
٢. سجود الدواب والجبال والشجر والشمس والقمر ... على وجه العموم ليس كسجود الملائكة.
٣. ليس بالضرورة أن يكون السجود وضع الجبهة على الأرض.
٤. السجود له هيئات عديدات: إنزال الرأس قليلاً: قد يكون بوضع الجبهة على الأرض، والآية ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف:٤] على معنى التسخير لسيّدنا يوسف.
٥. معنى السجود لآدم فيه أقوال:

أ- أن السجود هنا بمعنى التكريم والتعظيم لآدم عليه السلام ومؤانسة له، لكن أصل السجود لأمر الله، وطاعة له سبحانه لكن جُعل جّو السجود لأبينا آدم اعترافاً بفضله. وهذا الرأي هو ما رجّحه ابن كثير وأهل العلم.

ب- الرأي الثاني يقول: أي جُعل آدم قبلة والسجود لله. وهذا غير مقبول لأنه يتعارض مع ظاهر النص.

فسجدوا: الفاء: تُفيد الفوريّة لأمر الله لم يعترض منهم أحد.

سَجَدَ: كلهم جميعاً.

إلاّ: أداة استثناء. وفيه قولان: استثناء مُنقطع، أو متصل.

الاستثناء المتصل: إذا كان المستثنى من جنس المستثنى منه.
الاستثناء المنقطع: إذا كان المستثنى ليس من جنس المستثنى منه.
فإذا كان متصل: فإن إبليس من الملائكة على وجه العموم.
وإذا كان منقطع: فإن إبليس ليس من الملائكة على وجه العموم.
أ.القول الأول أن إبليس من الملائكة (متصل).
ب.القول الثاني أن إبليس من الجنّ.

ويُسند القول الثاني إلى الآية الكريمة ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢ﴾ [الكهف:٥٠].

سؤال ٢٨:

ما هي الاعتبارات على أن إبليس من الجانّ؟

١. باعتبار خلقته من نار ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾[الكهف:٥٠] ﴿وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ﴾[الرحمن:١٥].
٢. باعتبار زواجه والملائكة لا يتزوّجون.
٣. باعتبار ذريّته ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ﴾ [الأعراف:٢٧].
﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢ﴾ [الكهف:٥٠]

سؤال ٢٩:

ما هو رأي سيد قطب في كون إبليس من جنس الملائكة أم لا؟

قال سيّدٌ: ويوحي السياق أن إبليس لم يكن من جنس الملائكة، إنّما كان معهم، فلو كان منهم ما عصى، وصفتهم الأولى أنهم ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ والاستثناء هنا لا يدلّ على أنه من جنسهم، فكونه معهم يجيز هذا الاستثناء، وإبليس من الجن بنص القرآن، والله خلق الجان من مارجٍ من نار، وهذا يقطع بأنه ليس من الملائكة.

سؤال ٣٠:

تتبدّى خليقة الشرّ مُجسّمة في نقاط كما يراها سيدٌ ما هي؟

١. عصيان الجليل سبحانه.
٢. الاستكبار عن معرفة الفضل لأهله.
٣. العزّةُ بالإثم.
٤. الاستغلاق عن الفهم.

سؤال ٣١:

هل إبليس كان كافراً قبل مشهد السجود أم بعد؟

بل بعده.. لو أنه كان كافراً لم يُدع إلى السجود، إذن الكفر أصيب به بعد مشهد السجود، إذن كان طائعاً لله فدعي لهذا الشرف العظيم، ثم إنّه كفر بعد السجود وهذا هو الراجح والله أعلم، لأن في علم الله أنه سيكون منه هذا الفعل ولم يخرج إبليس عن علم الله لذلك كان التعبير وكان فيعلم الله عزّ وجلّ أن إبليس سيكون منه هذا الموقف وهذا التصرُّف.

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٣٥].

هذا أول حفل زفاف بالجنة،وأول زواج في التاريخ دلالة على أن البيت للزوجيّة يجب أن يكون جنة والمرأة يجب أن تكون جنة بل يجب أن تكون في الجنة ومن باب الابتلاء والامتحان لآدم وزوجه عيّن الله لهما باباً واحداً لا تقربوه وهو الشجرة.

رغداً: أكلاً هنيئاً واسعاً طيباً كثيراً لا عناء فيه.

يقول الراغب الأصفهاني: (المرغاد من اللبن: هو المختلط الدالُّ بكثرته على رغد العيش). إذن: يدل على معنى التوسعة والإنعام الجزيل والوفاء.

سؤال ٣٢:

أين هي جنة آدم؟

هناك فريقان من المُفسّرين لهما رأيان: الأول: المقصود بجنّة آدم التي كان فيها أنها جنة الخلد المعروفة والدليل عندهم:

أ- أن الجنة إذا أُطلقت فالمُتبادر إلى الذهن أنها جنة عدن التي في السماء.

ب- تولد "فلنا اهبطوا منها" أي من الجنّة والهُبوط يكون من أعلى إلى أسفل.

والرأي الثاني: يقول الفريق الثاني أنها هي جنة خاصة لآدم في الأرض. والدليل عندهم:

أ- أن الجنة ليس فيها تكليف لأن النهي ولا تقربا بمعنى التكليف.

ب- أن الجنة لا يمكن أن يدخلها إبليس الرجيم.

ج- ليس بالضرورة أن يُقصد بالجنة جنة الخلد فقد ذُكرت الجنة بالقرآن على معاني أخر مثل:

(أيود أحدكم أن تكون له جنةٌ من نخيلٍ وأعناب) أي البستان في الأرض.

(واضرب لهم مثلاًً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين) أي البستان في الأرض.

(إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة) أي البستان في الأرض.

د- ليس بالضرورة أن يكون الهبوط من أعلى إلى أسفل، فقد وردت آيات على غير هذا المعنى مثل قوله تعالى مخاطباً اليهود (اهبطوا مصراً) بمعنى انتقلوا إليها.

(يا نوح اهبط بسلامٍ منا وبركات) أي انزل من السفينة، أو انتقل.

والرّاجح: من هذين القولين عند جمهور أهل العلم أنه القول الأول: حسب السياق لأن التكريم والخلق لأبينا آدم أن يكون في جنّة الخلد وهي جنة السماء، نسأل الله أن يرجعنا إليها.

سؤال ٤٤:

ما هي الشجرة التي نُهي عنها آدم من أن يقترب منها؟

ما أجمل أن نسكت عما سكت الله عنه، فلم يذكر الله عزّ وجلّ اسم الشجرة.

قال ابن جرير (والصواب أن الله نهى آدم وزوجه عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة – سائر أشجارها، فأكلا منها ولا علم عندنا بأي شجرةٍ كانت على اليقين لأن الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك بالقرآن ولا بالسُّنة الصحيحة).

فوائد قرآنية من الآية الكريمة:

الفائدة الأولى: لم يظهر الحديث عن أمّنا حواء في الآية السابقة: فقط في الآية ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة:٣٥] جاء ذكر حواء مُقترناً بعنصرين مهمين لا غناء عنهما لآدمي هما:

أ- عنصر الزوجيّة.

ب- عنصر السكن ومكان السكن.

وهذا يدلُّ على أنّ الزواج أمرٌ عظيم جداً ينبغي أن يكون مكان السكن أحسن ما يكون، وأن تكون الزوجيّة أحسن ما تكون، فجعل الله مكانها في الجنة جنة الخلد حتى يقوم الزوجان بسعي حثيث لأن يجعلا من بيتهما جنة.

الفائدة الثانية: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة:٣٥] ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٣٥].

حيث: أباح الله لهما الجنة بكل ما فيها.

هذه: اسم إشارة يفيد التعيين والتوضيح.

لا تقربا: لا الناهية الجازمة تقربا النهي عن الأكل.

لم يقل ولا تأكلا، علماً أن النهي عن الأكل وجاء التعبير ولا تقربا ولو أنهما جلسا تحت الشجرة لا بأس لأن القرب مسموح، وقال (فأكلا منها) لم يقل: فاقتربا. فلماذا جاء التعبير بالقرب. إذا قال لا تقرب فمن باب أولى أن لا تأكل [وذلك لأن القرب يُغوي بالأكل فرحمةٌ من الله أنه قال ولا تقربا لأن النهي عن القرب أبلغ من النهي عن الأكل. وذلك كالآية: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾

[الأنعام:١٥٢] ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾[الإسراء:٣٢]، لأن القرب يزين كل شيء، والمعنى ولا تزنوا ولا تأكلوا مال اليتيم أي ابتعد عن كل دواعي ومُقدّمات الزنا.

قال القاسمي (إذا اقترب أحبّ، وإذا أحبّ عمي، فلا يرعى قبيحاً ولا يسمع نهياً).

الفائدة الثالثة : إن آدم وحواء أمام أول امتحان فهما ممنوعان من الشجرة والنتيجة: [فأزلّهما]

فأزلّهما: الفاء: هنا تفيد السرعة، والتعقيب سريع، والشيطان دأبه سريع لأنه وجد نقطة ضعف فركزّ كل جهده على هذه الشجرة (فأخرجهما مما كانا فيه).

أزلّ: قراءة تسعة قراء بمعنى: أوقعهما في الزّللْ واستزلّهما.

أزالَ: قراءة الإمام حمزة من أزال يزول أي أبعدهما ونحّاهما.

اللام المشدّدة (لّ): الشدة في اللام هنا تفيد السعي الحثيث لإبليس والجهد المضاعف له على الاثنين معاً حتى لا يعظ أحدهما الآخر. وجاءت في سورة الأعراف فدلاّهما: دلاءً أي أوقعهما في قاع المعصية.

وتأتي الآية الكريمة لتُبيّن لنا تجربة آدم مع إبليس "فأزلّهما الشيطان عنها فأخرجهما ممّا كانا فيه"..

المعصية هي سبب الاستبدال :

كأنَّ الآية تُخاطبنا في زماننا هذا، لتقول: يا أمة محمد ما حصل لكم في المئة سنة الأخيرة هو بسبب معصيتكم كما حصل لأبيكم آدم (مع بُعد التشبيه بين زلّة آدم عليه السلام وبين المعاصي الفادحة اليوم) فتعلّموا من الأخطاء السابقة واجتنبوا المعاصي ليعود الاستخلاف إليكم..

إن إبليس أوقعهما في الزلل فترتب على ذلك أن أُبعدا من الجنة، فذكرت وسيلة الإزلال (أوقعهما في الزَّلل) وذكرت نتائج الإزلال (البعد عن الجنة)، والوسيلة: بإغرائهما بالشجرة فالنتيجة:

١. أزالهما.
٢. أخرجهما.
٣. ثم الهبوط.
٤. أذهبهما وأبعدهما.

النتيجة الأولى: نجح بشكل مُجمل (إبليس) أزالهما وأزلّهما.

والنتيجة الثانية: أخرجهما مما كانا فيه.

مـن مـا: ما اسم موصول بمعنى الذي كانا فيه.

الذي كانا فيه: اللباس، والمنزل، والرغد.

والنتيجة الثالثة: اهبطوا منها مرتين الجنـة لا تصلح أن يكون فيها عاصـي، وهذا دليلٌ على أنها جنة الخلد وليست جنـة الأرض. وبدأت العداوة بين آدم وذريته مع الشياطين ولكم في الأرض:

١. مستقرٌّ.
٢. متاعٌ.
٣. إلى حين.

إلى حـين: هذه رحمـةٌ من الله لأن الوجود فـي الأرض مؤقت فسنعود إليها إن شاء الله أي إلـى إقرار وأرزاق وآجـال إلـى وقتٍ ومقدار معين ثم تقوم القيامة فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير.

قال مصطفى صادق الرافعي (إنّ آدم أنزل إلى الأرض مركب من النقص، وجعل الله من ذريّته ما يملأ الدنيا ثم بعث الله محمداً مكملاً يكمّل هذا النقص ويعود بالأبناء إلى الجنّة من جديد).

والنتيجـة الرابعـة: يقـول الإمـام الـرازي تعقيبـاً علـى قولـه تعـالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ... مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾: (اعلـم أن فـي هـذه الآيـة تهديـداً عظيمـاً مـن كـل المعاصي وذلك لوجوه أبرزها: أن من تصوّر ما جرى لآدم بسبب إقدامه على هذه الزّلّة الصغيرة كان على وَجَلٍ شديدٍ من المعاصي).

فلا يستهين المسلم بالمعاصي صغرت أم كبرت بل ينظر إلى من يعصي. هو ذات الله العظيم، الذنوب تتكاثر وتسوّد القلب، وتمنع التوفيق، وتمنع الخشوع في الصلاة، وتمنع برّ الأبناء وتمنع الرزق، وتقلل البركة في الحياة، وتقلل من النعم.

ويقول عبد الله بن مسعود (المؤمن حساس لأي ذنب يشعر أن أي ذنبٍ كأنه جبلٌ يوشك أن يقع على رأسه أمّا المنافق فالمعصية عنده كذبابة جاءت على خدّه فقال لها هكذا بيده).

التفسير والبيان كما يراه سيدٌ

سؤال ٣٣:

ماذا يقصد سيدٌ بالمعركة الخالدة؟

المعركة بين خليفة الشر في إبليس وخليفة الله في الأرض، المعركة الخالدة في ضمير الإنسان التي ينتصر فيها الخير بمقدار ما يعتصم الإنسان بإرادته وعهده مع ربه، وينتصر فيها الشر بمقدار ما يستسلم الإنسان بشهوته ويبعد عن ربه، وانطلقت المعركة بين الشيطان والإنسان إلى آخر الزمان.

السؤال ٣٤:

إلى ماذا ترمز الشجرة عند سيدٌ؟

ربما كانت ترمز للمحظور الذي لا بد منه في حياة الأرض، فبغير محظور لا تنبت الإرادة، ولا يتميز الإنسان المريد من الحيوان المسوق، فالإرادة هي مفرق الطريق، والذين يستمتعون بلا إرادة هم من عالم البهيمة ولو بَدَوْا في شكل الآدميّين.

سؤال ٣٥:

ما هي الصورة الفنية التي رسمها سيدٌ عند قوله تعالى ﴿فَأَزَلَّهُمَا ﴾؟

(إنه لفظٌ يرسم صورة الحركة التي يعبر عنها، وإنك لتكاد تلمح الشيطان وهو يزحزحهما عن الجنّة، ويدفع بأقدامهما فتنزل وتهوي، عندئذٍ تمّتْ التجربة ونسي آدم عهده وضعف أمام الغواية وعندئذٍ حقتْ كلمة الله وصرّح قضاؤه (وقلنا: اهبطوا).

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧].

الفاء : حرف عطف معطوف على عزيمة آدم أن يتوب إلى ربّه سبحانه.

فالتعبير: عصى آدم ربه فندم وعزم على التوبة فجاء الفضل الإلهي فتلقى آدم.

سؤال ٣٦:

ما أسرار التعبير بقوله سبحانه {تلقّى}؟

لم يقل (أُلقي إلى آدم كلمات) لأن {تلقّى} فيها فوائد كثيرة:

١. الفائدة الأولى: مراعاة الحال لآدم عليه السلام لأنه في موقف الضعف والندم ولا يدري ماذا يفعل لم يتعلّم شيئاً من هذا الاتجاه، فمعصيته تشعره بالعجز. فتدخّل الله سبحانه وتعالى وألقى عليه كلمات التوبة كأن في هذه الكلمات مفتاح التوبة ووسيلة الأوبة لآدم فضلاً.

٢. يفيد قوله تعالى: فتلقّى: الشدّ من أزر آدم. نحن معك يا آدم فلا تحزن، لأنك تائبٌ مستغفرٌ آيبٌ إلى ربك والحديث القدسي (أذنب عبدي ذنباً ثم استغفر فيقول: يا ملائكتي علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويقبل التوب. قد غفرت لعبدي، ثم عاد فأذنب الثانية: فكان مثلها. ثم عاد فأذنب الثالثة: علم عبدي أن له رباً فيغفر الذنب ويقبل التوب قد غفرت لبعدي وليفعل عبدي ما شاء). فالله عزّ وجلّ لم يترك آدم يتلوّى من ألم المعصية وإنّما أخذ بيده، وهذا درسٌ نتعلم الحنان من الله جلّ وعلا ورعايته.

٣. يُفيد من قوله تعالى: فتلقّى: مدى لهفة آدم للتوبة، وكأنه يبحث عن أي ومضة أمل فالتائب ينبغي أن يبحث عن أي نافذة للتوبة.

٤. تشير إلى فرح آدم وسروره وكأنّه وجد شيئاً بعد ضياع، وبعد فقدانه له، وشعر بالبهجة والسرور بعد تلقّيه له، (وتتلقاهم الملائكة) أي بفرح وسرور، فكان فرح آدم وسروره حين نزلت عليه كلمات التوبة لا يُوصفُ ولا يقدّر إذن أصبح تلقى: (فرح، لهفة، رعاية الله له، مراعاة حاله وعمله).

قال أبو السعود في تفسيره: (تلقى: أي استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها حينما علمها).

آدم: أظهر الله هنا اسم آدم، وهذا تحريضاً على التوبة، كما جاء في الحديث (لله أشد فرحاً من العبد بتوبته) وكأن الله شديد الفرح بتوبة آدم عليه السلام لذلك ذكر اسمه.

من ربّه:يفيد الابتداء {من ربه}، أن هذه الكلمات خرجت من عند الله، هذا تحريضٌ لآدم على التوبة وعلى القبول للدلالة:

١. أن مصدرها من عند الله.

٢. للدلالة على عظم المنّة أنها من الله للتحريض على المبادرة للتوبة.

٣. التعبير (من ربّه) شبه جملة جار ومجرور تفيد الاهتمام بالموضوع والتشويق، كأنّ سائلاً يسأل ماذا تلقى؟ ماذا حدث؟

٤. التعبير بلفظ ربه دون لفظ الجلالة لما في لفظ الربوبية من الرعاية والعطف والحنان والرقة واللطف والأُنس وهذا مناسبٌ لحال المذنب والنادم والمخطئ في حق الله والمنكر لله بالمعصية.

قال أبو السعود:

أولاً: (والتعـرُّض لعنـوان الربوبيـة مـع الإضـافة إليـه سـبحانه للتشـريف، هـاء الكناية: فالله سبحانه نسب آدم إلى ذاته العليّة وهو المذنب).

ثانياً: وقال أيضاً: والإيذان والإشارة بعليته لإلقاء الكلمات المدلول عليها بتلقيها هو استحقاق لآدم لأن تنزل عليه كلمات التوبة لأن التائب له حال من التفاعل مع الله).

فالله عزّ وجل يشرّف عبده آدم المذنب بين يديه ومع ذلك يشرفه بالنسبة إليه وفي ذلك كأنه يقول لنا: اعلم أيها التائب أن ذلتك بتوبتك الصادقة عند الله هي أعظم عنده سبحانه من كل شيء.

ثالثاً: والضمير (ربه) فيها تلطُّف وتأنسٌ، عدا عن ذكر اسمه الكريم، ذكره مجرداً من أمرين:

أ- أل التعريف لم يقل (الرب) حتى لا يشعر آدم بالخوف.

ب- من نوم العظمة: لم يقل (ربنا) بل بالإفراد وذلك حتى لا يشعر آدم بالخوف والوجل أيضاً فيحجم إذ طلب منه أن يُقدِم.

٥. إن الله عزّ وجل ذكر اسم آدم مع اسمه سبحانه في آية واحدة للدلالة على فضيلة التائب وهو سيدنا آدم عليه السلام.

كلماتٍ:

أ- جمع كلمة وهي اللفظ الدال على معنىً مفرد.

ب- تطلق على الجمل مجازاً لا حقيقة من باب تسمية الكل باسم الجزء ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ﴾ [آل عمران:٦٤] مجازاً للاختصار ﴿كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾[المؤمنون:١٠٠].

ج- المقصود بها كلمات التوبة والخضوع والتذلل حتى يتوب الله عليه.

د- جاء تفسير الكلمات في سورة الأعراف ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[الأعراف:٢٣].

سؤال ٣٧:

ما الفوائد المأخوذة من الآية؟﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾

١. الإيجاز.
٢. العطف والحنان والتسهيل والتيسير، كلمات سهلة ميسرة لو قلتها بصدق غفرت لك (أستغفر الله).
٣. آدم لم يُكلّف بالعنت والمشقة وإنّما كلماتٌ يسيرات بسيطات.
٤. ابن كثير يقرأها بمفرده (كلماتٌ) على أنها فاعل (وآدمَ) على أنه مفعول به، والفائدة من هذه القراءة أنّها كلمات مهمات غاليات بحيث لمّا دعا بهنّ قبل الله توبته، مثل سيدنا يونس صاحب الحوت ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات:١٤٣-١٤٤]. ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء:٨٧] فقبل الله توبته.

فتابَ: الفاء: تُفيد التعقيب السريع في جبرة خاطر آدم وكفكفة دُموعه. وفي هذا إشارة إلى أن آدم (فلما قالها تاب عليه) لماذا لم يؤتَ بهذا الشيء المعطوف، فهناك كلام مقدر محذوف، تقديره أن آدم (قالها) وذلك لسببين:

أ- دلالة على أن المذنب مبناه على الستر.

ب- هي آية قصيرة لكن فيها أربع معطوفات [ندم آدم، فتلقّى معطوفة على ندم، فقالها معطوفة على فتلقى محذوفة، فتاب معطوفة عليها وهي النتيجة] ودلالة العطف: أن هذا يدل على فضيلة التوبة وأن الله يُعجل بتوبة عبده ويفرح بها.

سؤال ٣٨:

كيف تلقى آدم عليه السلام الكلمات من ربّه؟

هناك احتمالان:

أ- إما أن يكون قد تلقاها بالوحي المباشر.

ب- أو أن يكون قد تلقاهما بالإلهام الإلهي.

سؤال ٣٩:

أين توبة حواء فلم تظهر بالآيات صريحةً؟

ذكرت توبة أمّنا حواء عليها السلام في سورة الأعراف مقترنـةً بتوبـة آدم "قـالا ربنـا" والألف هنا ألف الاثنين كلاهما حملا المسؤولية، والمعصية، ثم التوبة معاً والاستغفار واللجوء إلى الله، ولكن هنا في سورة البقرة لم تذكر الآيات توبة أمنا حواء وذلك لأن سياق الآيات من أولها كان فيها تسليط الضوء على آدم مناسباً لآيات تكريمه واستخلافه وتعليمه والسجود له، فجاءت التوبة بذكر آدم وحده فقط، [وإذ قلنا يا آدم، للملائكة اسجدوا لآدم، يا آدم اسكن، فتلقى آدم، فتاب عليه] ثمّ إنّ حواء تبعٌ لآدم في كل شيء فيُفهم الأمر أن حواء زوجه ثابتة معه ومشاركة له في كل تصرّف.

سؤال ٤٠:

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ لماذا قُدّم وصف التّواب على وصف الرحيم؟

وذلك مناسبةً للخطاب لآن الموضوع موضوع توبة، واسم الله التواب يناسب ذلك، والرحيم: دلالة على عفو ربّ الأرباب سبحانه كأنّ الله يقول له (غفرت لك وسأرحمك) وبعد هذه المعصية جعله نبياً.

قال ابن عاشور صاحب تفسير التّحرير والتّنوير: (وتعقيبه بالرحيم جارٍ مجرى العلة، للتواب، إذ قبوله التوبة ضربٌ من الرحمة) فالتوبة إذن دلالة علىً أن الله رحيم، إن الله رحمه فتاب عليه، وتاب عليه رحمه وكأنّ سائلاً يسال: لماذا تاب الله عليه؟ الجواب: لأنه رحيم. هل بعد التوبة من شيء؟ نعم إنها الرحمة. وتجلّت رحمة الله لآدم أن جعله نبياً وقبل توبته.

سؤال ٤١:

آدم مخلوقٌ لهذه الأرض منذ اللحظة الأولى، ففيمَ إذاً كانت الشجرة المحرّمة؟ وفيمَ كان هذا الابتلاء لآدم؟

قال سيّدٌ: لعلّني ألمحُ أن هذه التجربة كانت لعدة نقاط:

١. تربية لهذا الخليفة وإعداداً له.
٢. كانت إيقاظاً للقوى المذخورة في كيانه.
٣. كانت تدريباً له على تلقي الغواية، وتذوق العاقبة، وتجرّع الندامة، ومعرفة العدوّ، والالتجاء بعد ذلك إلى الله الواحد الملاذ الأمين.
٤. إنها تجربة البشرية المتجدّدة المتكرّرة [وسوسة الشيطان باللذة، ثم نسيان العهد بالمعصية، ثم الصحوة بعد السكرة، ثم الندم وطلب المغفرة].

٥. اقتضت حكمة الله سبحانه أن يهبط إلى مقرّ خلافته مزوّداً بهذه التجربة التي سيتعرض لمثلها طويلاً استعداداً للمعركة الدائمة وموعظة وتحذيراً.

من إيحاءات قصة آدم عليه السلام

١. القيمة الكبرى للإنسان وذلك من خلال:
أ- الإعلان في الملأ الأعلى عن استخلافه في الأرض.
ب- أمر الملائكة بالسجود له.
ج- طرد إبليس الذي أبى واستكبر.
د- رعاية الله أولاً وأخراً لآدم عليه السلام.
٢. اعتبارات كثيرة تدلّ على تكريم آدم وذلك:
أ- أن الإنسان هو سيد الأرض ومن أجله خُلق كل شيء فيها.
ب- الإنسان أعزّ وأغنى وأكرم من كل قيم الأرض.
ج- وبالتالي لا يجوز استعباده ولا قهره ولا إذلاله.
٣. بالتالي فإن للإنسان في الأرض الدور الأول فهو يُغير ويبدّل في أشكالها وارتباطاتها لا وسائل الإنتاج تقوده ذليلاً كسيراً كما في المذاهب الماديّة.
٤. الإعلاء من شأن الإرادة في الإنسان أنه يملك الارتفاع إلى مقام الملائكة بالتحكّم في إرادته وعدم الخضوع لشهواته ويملك أن يُشقي نفسه ويهبط من عليائه.
٥. تنبيهٌ للإنسان أن يكون دائم الحذر واليقظة لأنه هو ميدان المعركة هو نفسه الكاسب أو الخاسر فيها، وفي هذا توجيهٌ دائم له باليقظة وبأنه جنديٌ في ميدان، وإنه صاحب الغنيمة أو السلب في الميدان.
٦. تأصيلٌ لفكرة الإسلام عن الخطيئة والتوبة، أن الخطيئة فرديّة والتوبة فرديّة فليس هناك خطيئة مفروضة على الإنسان قبل مولده).

سؤال ٤٢:

قال سيّدٌ: كم عاش آدم بالجنة؟ وما الجنة التي عاشا بها؟ ومن هو إبليس؟ وكيف سجدوا؟ وماذا علّم الله آدم؟ وكيف سجدوا وكيف قال الله تعالى لهم؟ وكيف أجابوه؟ ومتى هبط وأين وكيف؟

هذا وأمثاله في القرآن الكريم غيبٌ من الغيب الذي استأثره الله تعالى بعلمه، وعلم الله بحكمته أنه لا جدوى للبشر في معرفة كنهه وطبيعته، فلم يهب لهم القدرة على إدراكه والإحاطة به، بالأداة التي وهبهم إياها لخلافة الأرض، وليس من مستلزمات الخلافة أن نطلع على هذا الغيب، وبقدر ما سخّر تعالى للإنسان من النواميس الكونية وعرّف بأسرارها بقدر ما حجب عنه أسرار الغيب فيما لا جدوى له في معرفته، وما يزال الإنسان يجهل ما وراء اللحظة الحاضرة جهلاً مطلقاً ولا يملك بأي أداة من أدوات المعرفة المُتاحة له أن يعرف ماذا سيحدث بعد لحظة. وإذا كان العقل البشري لم يوهب الوسيلة للاطلاع على هذا الغيب المحجوب، فليس سبيله إذن أن يتبجح فينكر فالإنكار حكمٌ يحتاج إلى المعرفة، والمعرفة هنا ليست من طبيعة العقل، وليست في طوق وسائله، ولا هي ضرورية له في وظيفته، فلندع هذا الغيب لصاحبه وحسبنا ما يقص لنا عنه، بالقدر الذي يصلح لنا في حياتنا، ولنأخذ من القصة ما تشير إليه من حقائق كونية وإنسانية فذلك وحده أنفع للبشرية وأهدى).

- يُلاحظ أن الربع الثاني يتكلَّم عن أول تجربة استخلافٍ على الأرض: آدم عليه السلام.. تجربة تمهيديّة تعليميّة، وكانت المواجهة بين إبليس وسيدنا آدم عليه السلام، لإعلان بداية مسؤولية سيدنا آدم وذريته عن الأرض.

الربع الثالث

﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

[البقرة: ٤٤]

- معـــــاني الكلمــــات.
- التفســـير والشـــرح والبيـــان.
- ثـــلاث وخمســـون ســـؤالاً.
- لطـائف لغويـة وفوائـد قرآنيـة.
- نجَّـــــى.. و.. أَنجـــــى.
- تجربــــة بـــني إســـرائيل.
- إضـــافة النعمـــة إلى الله.
- التقـــوى.. و.. الرهبـــة.
- خلـــق.. و.. جعـــل.
- المنـــافقين.. و.. الفاســـقين.
- بِنـــاءً.. و.. بُنيانـــاً.
- يشـــعرون.. و.. يعلمـــون.
- النعمـــةَ العظمـــى: الصـــلاة.

الرُّبع الثالث

﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة:٤٠-٤٢]

معاني الكلمات

كما أوردها الأستاذ الشيخ حسنين محمد مخلوف في كتابه: "كلمات القرآن".

إسرائيل: لقب يعقوب عليه السلام (يعني عبد الله أو صفي الله).

فارهبون: فخافون في نقضكم العهد (مع تحرُّز أخذ الاحتياط).

ولا تلبسوا: لا تخلطوا، لا تستروا.

بالبّر: بالتوسُّع في الخير والطاعات.

وإنّها لكبيرة: لشاقة ثقيلة صعبة (شديدة).

الخاشعين: المتواضعين، المُستكينين.

يظنُّون: يعلمون، ويستيقنون.

العالمين: عالمي زمانكم.

لا تجزي نفسٌ: لا تقضي، ولا تُؤدِّي نفسٌ (لا تغني ولا تنفع).

عدلٌ: ما يُعادل الفدية (مُقابل العقوبة).

يسومونكم: يُكلّفونكم ويذيقونكم (يديمون عليكم أي من الاستمرارية).

ويستحيون نساءكم : يستبقون بناتكم للخدمة (أحياء).

بلاءٌ: اختبار وامتحان بالنّعم والنّقم.

فرقنا: فصلنا وشققنا.

اتخذتم العمل: جعلتموه إلهاً معبوداً.

والفرقان: الشرع الفارق بين الحلال والحرام.

بارئكم: مُبدِعِكم ومُحدثكم أي (خالقكم على أحسن هيئة).

فاقتلوا أنفسكم: فليقتل البريء منكم المجرم.

جهرة: عياناً بالبصر أي (الظُّهور الواضح).

الصاعقة: نارٌ من السماء تحرق أو صيحة منها (تثقب الآذان وتجذب الذبذبات فتخنق).

الغمام: السّحاب الأبيض الرقيق.

المنَّ: مادة صمغيّة حلوة كالعسل.

السلوى: الطاء المعروف بالسُّماني، أصلها ما يُسلي الإنسان ومنه السُّلوان والتّسلي.

رغداً: أكلاً واسعاً هنيئاً لا عناء فيه.

وقولوا حطَّةٌ: قولوا: مسألتنا يا ربنا أن تحطّ عنّا خطايانا.

رجزاً: عذاباً، قيل هو الطاعون.

فانفجرت: فانشقتْ وسالتْ بكثرة.

مشربهم: موضع شُربهم (مصدر ميمي على وزن مَفْعَلْ).

ولا تعثوا في الأرض مفسدين : لا تفسدوا فيها، متمادين في الفساد.

فُومها: هو الحنطة أو الثوم.

وضُربت عليهم: أحاطتْ بهم أو أُلصقتْ بهم.

الذلّة: الذلّ والصغار والهوان.

والمسكنة: فقْر النفس وشُحُّها.

وباءوا بغضبٍ: رجعوا به مُستحقّين له.

هادوا: صاروا يهوداً (إما عادوا إلى الله، أو هم أبناء يهوذا) أي لها معنيان.

والصابئين: عَبَدَة الملائكة، أو عَبَدَة الكواكب، (أو الذين ماتوا قبل البعثة يتعبّدون على الحنفيّة الاولى ملة إبراهيم واعتزلوا الأصنام).

ميثاقكم: العهد عليكم بالعمل بما في التوراة

خاسئين: مُبَعدين مطرودين صاغرين.

فجعلناها نكالاً: عقوبة.

هُزُواً: سُخرية أي (هازئاً بنا).

لا فارضٌ ولا بكرٌ: لا مُسنَّة ولا فتيّة أي: (ليست عجوز وليست شابّة).

عوانٌ بين ذلك(نَصَفٌ) وسط بين السّنَيْن.

فاقعٌ لونها: شديد الصُّفرة أي: (فيه التماع).

لا ذلولٌ: ليست هنيّة سهلة الانقياد أي: (غير مُذللة ولا مُدَرَّبة).

تُثير الأرض: تقلب الأرض للزراعة.

الحرث: الزرع أو الأرض المُهيأة له.

مُسلّمةٌ: مُبّرأة من العُيوب أي (خالصة اللون لا تشوبها شائبة).

لا شية فيها: لا لون فيها غير الصّفرة الفاقعة أي: (لا علامة فيها).

فادَّارأتُم فيها: تدافعتُمْ وتخاصمتم فيها أي: (كل منكم يدرأ التهمة عن نفسه).

يتفجّر: يتفتّحُ بسَعَةٍ وكثرة (يتشقق ويسيل بكثرة).

يشّقّقُ: يتصدّع بطولٍ أو بعرض.

لطائف لغوية وفوائد قرآنية

بالبِّر: (بالكسر) البِر: هو التوسُع في الخير، مأخوذٌ من البَرّ وهو الفضاء الواسع وأصل كل بر: الإيمان بما جاء به محمد ﷺ، وكان أحبار اليهود يأمرون الناس بالطاعة والكف عن المعصية ولا يفعلون ذلك.

لكبيرةٌ: ثقيلة شاقة يُقال: كبُرَ كِبْراً وكُبْراً، أي عظم بينما هي على المؤمنين سهلة خفيفة مُحبّبة، تطمئن قلوبهم إليها وفي الحديث "وجعلت قرة عيني في الصلاة".

لا تجزي: من الجزاء، يقال: جزى عنه، أي قضى.. لا نقضي فيه نفسٌ عن نفسٍ شيئاً مما وجب عليها ولا تنوبُ عنها فيه، وشيئاً: مفعول به منصوب.

وقُرِئَ: تُجزي بضم التاء، من أجزأ عنه؛ أي أغنى عنه، أي لا تغني نفسٌ عن نفس شيئاً، من الإغناء، ولا تُجديها نفعاً، وشيئاً: مفعول مطلق منصوب.

عدلٌ: فديةٌ وبدل، وأصل العَدل (بالفتح) ما يساوي الشيء قيمةً وقدراً وإن لم يكن من جنسه، والعِدلُ (بالكسر) المساوي من الجنس، ومن العرب من يكسر العين من معنى الفدية. وقيل للفدية: عِدْل، لما فيها من معنى المساواة والمماثلة والمعادلة.

فرعون: لقبٌ لكل من مَلَكَ مصر في ذلك العهد، وفرعونُ الذي ولد موسى في زمنه، ورُبّي في بيته، وكان يسومهم سوء العذاب هو رمسيس الثاني من الأسرة التاسعة عشرة، أمّا فرعون الذي أُغرق فهو ابنه منفتاح، على ما نقله صاحب قصص الأنبياء الأستاذ العلامة الشيخ عبد الوهاب النجار (رحمه الله) عن علماء الآثار والله أعلم.

يسومونكم سوء العذاب : يبغُون لكم أشد العذاب وأفظعه، من السَّوْم، وهو مطلق الذهاب، أو الذهاب في ابتغاء الشيء يقال: سامت الإبل فهي سائمة، أي ذهبت إلى المرعى، وسام السلعة: إذا طلبها وابتغاها، والسُوء (بالضم): هو كل ما يغُمّ الإنسان من أمرٍ دُنيويٍ أو أخروي، وهو في الأصل مصدر، ويؤنّث بالألف فيقال: السُّوأي.

فرقنا بكم البحر: الفَرْق: الفصل والتمييز، يُقال: فرقتُ بين الشيئين فرْقاً فصلتُ بينهما، ومنه الفرقان، وقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَهُ﴾ [الإسراء:١٠٦] فصّلناه وميّزناه بالبيان. أي فصلنا لأجلكم البحر بعضه عن بعض، والباء: بمنزلة لام التعليل، والبحر: هو بحر القُلْزُم، وهو البحر الأحمر في يومنا هذا، وكان عُبورهم من مكان شمالي المكان المعروف بـ "عيون موسى" في البر الآسيوي، وهي لا تبعدُ عن السويس كثيراً، كما في قصص الأنبياء، وهذا ما ذكره الشيخ محمد حسنين مخلوف، وهذا الفرق إحدى معجزات موسى عليه السلام.

ثمّ اتخذتم العجل: أي اتخذتم العجل الذي صنعه السامري إلهاً معبوداً والمُراد أنهم اتخذوا ما يُشبه العجل في الصورة والشكل ونسبة الخواز إليه في قوله تعالى: ﴿عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾[الأعراف:١٤٨] إنّما هو مجاز وهو الذي ذهب إليه الجمهور كما ذكره الآلوسي.

بارئكم: خالقكم من العدم على أبدع صورة، يُقال: برأ اللهُ الخلق: خلقهم من العدم، وأصل مادة (بَرَأ) يدل على انفصال شيء عن شيء، يقال: برأ المريض يبَرأ ويبُرؤ بُرْءاً وبُرُؤاً إذا نقِهَ وزال عنه المرض وانفصل، وبرئ من الدَّيْن يبرأ إذا زال عنه الدَّيْن وسقط ومنه البريّة للخليفة، لانفصالهم من العدم إلى الوجود.

جهرةً: جهاراً عِياناً بحاسّة البصر يقال: جَهَر البئر واجتهرها، إذا ظهر ماءها، وجهر الشيء: كشفه، وجهر الرجل: رآهُ بلا حجاب.

الغمام: سحاباً أبيض، ظُلّلوا به في التيّه: من حرّ الشمس واحدُهُ غمامة، كسحابة، وأصل الغمّ: ستر الشيء، وسُمي السحاب غماماً لستره الشمس.

حِطّةٌ: أي شأنك يا ربنا حطةٌ أي أن تحطّ عنّا ذنوبنا وتغفرها، والجطة اسم للهيئة، من الحط بمعنى الوضع والانزال وأصل إنزال الشيء من عُلوّ يُقال: استحطّه وِزْرَه: سأله أن يحطّه عنه ويُترك.

أُمروا أن يقولوا قولاً دالاً على التوبة وأظهار الندم، فخالفوا وجهروا بما يدلّ على الكفر والعصيان.

رجزاً: عذاباً: قيل هو الطاعون، وأصل الرجز الاضطراب، ومنه: ناقة رجزاء: إذا تقارب خطوُها واضطربت لضعفٍ فيها وسُمي العذاب رجزاً: لما يُلازمه من الفزع والاضطراب.

فانفجرت: انبجستْ وانشقّت وسالت، يُقال: فجَر الماء فانفجر، أي بجسَهُ فانبجس، لكن الانبجاس يحصل قبل الانفجار، فالانبجاس أول نزول الماء، ثم تأتي المرحلة الثانية وهي الانفجار، لذلك ذُكر الانبجاس بالأعراف لأنها سورة مكيّة سبقت البقرة، وذكر الانفجار بالبقرة لأنها سورة مدنيّة.

وفجّر القناة: شقّها، وفجّر الماء: فتح له طريقاً فجرى وسال.

يقول الراغب الأصفهاني:

الانبجاس أكثر ما يُقال فيما يخرج من شيءٍ ضيّق

والانفجار يُستعمل فهي وفيما يخرج من شيء واسع، وحيث يضيق المخرج يُستعمل اللفظان..

يقول الدكتور فاضل السامرائي:

التعبير القرآني قد يستعمل مُفردة في موطن، ويستعمل غيرها في موطن آخر شبيهٍ به، بل في القصة الواحدة قد تُستعمل في موضع وتستعمل غيرها في موضع آخر مع أن القصة واحدة، والموقف واحد.. وذلك نحو قوله تعالى "فانفجرت منه" في البقرة، وقوله تعالى "فانبجست منه" في الأعراف.. والانفجار بالماء أغزر من الانبجاس.

فخالف ين المُفردتين مع أن القصة واحدةٌ، والموضع واحدٌ..

اثنتا عشرة عيناً : لكل سبط عينُ تجري بالماء يشرب منها، حتى لا تقع بينهم شحناء وكانوا متضاغنين، وكانت العيون بالبرّ الشرقي من مصر قُرب مدينة السويس.

يقول الراغب الأصفهاني في "مفردات غريب القرآن":

بلاءٌ: بَلَوْتُه: اختبرته كأني أخلقته من كثرة اختباري له. وسُمي التكليف بلاءً من أوجه:

١. أن التكاليف كلها مشاقّ على الأبدان فصارت من هذا الوجه بلاء.
٢. أنها اختبارات من الله.

٣. إنّ اختبار الله للعباد تارةً يكون بالمسارّ ليشكروا، وتارةً بالمضارّ ليصبروا، فصارت المحنة والمنحة جميعاً بلاء، فالمحنة مُقتضية للصبر والمنحة مقتضية للشكر، والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر، فصارت المنحة أعظم البلاءيْن والبلاء في الآية: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:٤٩] راجعٌ إلى الأمرين: إلى المحنة وهي تذبيح الأبناء واستحياء النساء، وإلى المنحة التي أنجاهم.

رغداً: يُقال عيشٌ رغد ورَغيد: طيّب واسع، أرغد القوم: حصلوا في رغدٍ من العيش، وأرغد ماشيته. والمِرغاد من اللبّن المُختلط الدّال بكثرته على رغد العيش.

مُسلّمة: السِلمُ والسلامةُ: التعرّي من الآفات الظاهرة والباطنة.

نَجَّى.. أنجى

يقول الدكتور فاضل السامرائي:

جاء التعبير القرآني في الآيتين (٤٩ – ٥٠) "وإذ نجيناكم من آل فرعون" "وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم". فما الفرق بين نجيناكم وأنجيناكم؟ إن الملاحظ أن القرآن الكريم كثيراً ما يستعمل (نَجَّى) للتلبُث والتمهُل في التنجية.. ويستعمل (أنجى) للإسراع فيها.. فإنَّ (أنجى) أسرع من (نجى) في التخليص من الشدة والكرب.. هذا فإنه لمّا كانت النجاة من البحر لم تستغرق وقتاً طويلاً ولا مكثاً استعمل (أنجى)، بخلاف البقاء مع آل فرعون، فإنه استغرق وقتاً طويلاً ومكثاً فاستعل له (نجَّى).

التفسير والبيان

سؤال١:

ما أهمية القصص القرآني كما يراها العبقريُّ الجهبذ سيد قطب؟

١. تركيز قواعد التصوّر الإسلامي.
٢. إيضاح القيم التي يرتكز عليها التصوّر الإسلامي.
٣. توضيح الحقيقة الكبرى التي يُعبر عنها القرآن كله وهي إما الحق وإما الباطل، وإما الفلاح وإما الخُسران، إما الله وإما الشيطان.
٤. في نهاية كل قصّة من قصص القرآن يلخص لنا الهدف المُتوخى والرسالة المرْجوّة من هذه القصة بآية، أو آيتين من آخرها. نحو: ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود:١٢٠] ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود:٤٩]. ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف:٩٠].

تجربة بني إسرائيل

تبدأ تجربة بني إسرائيل بالآية (٤٠) من سورة البقرة لتبيان فشلهم في امتحان مسؤوليتهم عن الأرض..

إنّ اليهود قاوموا الدعوة الإسلاميّة مقاومة خفيّة وظاهرة وكادوا لها كيداً موصولاً، وذلك لأنّ:

١. لأنّ الإسلام كان في طريقه إلى الهيمنة على مقاليد الأمر في المدينة المنورة.
٢. لأنّ الإسلام عزَلهم من القيادة الأدبية والاقتصادية التي كانت لهم مذ توحّد الأوس والخزرج.
٣. لأن الإسلام سدّ الثغرات التي كانت تنفذ منها يهود.
٤. وشرع لهم منهجاً مُستقلاً يقوم على أساس الكتاب الجديد.

سؤال ٢:

كان المنتظر أن يكون اليهود في المدينة هم أوّل من يؤمن بالرّسالة الجديدة لم كان ذلك؟

قال سيدٌ:

١. كان العالم كله يطاردهم من قرنٍ إلى قرن فلا يجدون صدراً حنوناً إلا في العالم الإسلامي المفتوح الذي يُنكِر الاضطهادات الدينية والعُنصريّة ويفتح أبوابه لكل مُسالم لا يؤذي الإسلام.
٢. كان القرآن يُصدّق ما جاء في التوراة في عُمومه.
٣. كانوا هم يتوقّعون رسالة هذا الرسول.
٤. وعندهم أوصافه في البشارات التي يتضمنها كتابهم وهم كانوا يستفتحون به على العرب المُشركين.

سؤال ٣:

كيف كان النداء العلويّ الجليل إلى بني إسرائيل؟

قال سيدٌ:

١. يذكرّهم بنعمته تعالى عليهم التي أسبغها عليهم في تاريخهم الطويل.
٢. يدعوهم إلى الوفاء بعهدهم معه ليوفي بعهده معهم.
٣. يدعوهم إلى تقواه وخشيته.

٤. يُمهد بالنعم لدعوتهم إلى الإيمان بما أنزله مُصدّقاً لما معهم.
٥. يُندّد بموقفهم منه وكفرهم به أوّل من يكفر.
٦. يُندّد بتلبيسهم الحقّ بالباطل وكتمان الحق ليموّهوا على المسلمين ويُشيعوا الفتنة والبلبلة في الصف الإسلامي.
٧. يأمرهم أن يدخلوا في الصف فيقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويركعوا مع الراكعين.
٨. يُنكر عليهم أن يكونوا يدعون المشركين إلى الإيمان، وهم في الوقت ذاته يأبون أن يدخلوا في دين الله مُسلمين.
٩. يُعاود تخويفهم باليوم الذي يخاف، يوم لا يجدون من ينصرهم ويعصمهم من العذاب.
١٠. يستحضر أمام خيالهم مشهد نجاتهم منذ فرعون وملئه كأنّه حاضر، ومشهد النعم الأخرى.
١١. يُذكّرهم بما كان منهم بعد ذلك من انحرافات متوالية وما يكاد يعفو عنهم من معصية حتى يقعوا في خطيئة وما يكادون ينجون من عثرة حتى يقعوا في حُفرة).

سؤال ٤:

كيف وصف الله تبارك وتعالى نفوس بني إسرائيل وجبلّتهم الواحدة؟

قال سيدٌ:

١. نفوسهم هي هي في التوائها وعنادها وإصرارها على الالتواء والعناد.
٢. نفوسهم هي هي في ضعفها عند تحمُّل التكاليف.
٣. وفي نكولها عن الأمانة.
٤. ونكثها العهد.
٥. ونقضها للمواثيق مع ربّها ومع نبيّها.
٦. حتى لتبلغ أن تقتلُ أنبيائها بغير الحقّ وتكفر بآيات ربّها.
٧. وترفض الإيمان لنبيّها حتى ترى الله جهرة.

سؤال ٥:

ما ضرورة فضيحة الله للهيود وكشف وبيان حقيقتهم؟

١. لتحطيم دعاوى يهود، وكشف كيدها.
٢. لبيان حقيقتها وحقيقة دوافع هذه الدعاوى في الدّس للإسلام والمسلمين.

٣. لتفتيح عيون المسلمين وقلوبهم لهذه الدسائس والمكايد التي تُوَجّه إلى مجتمعهم الجديد.
٤. لتحذير المسلمين من مزالق الطريق التي عثرت فيها أقدام الأمة المُستخلفة قبلهم فحُرِمت مقام الخلافة، وسُلبت شرف القيام على أمانة الله في الأرض-.

سؤال ٦:

هل هناك صلة ظاهرة بين قصّة استخلاف آدم وقصة استخلاف بين إسرائيل؟

قال سيدٌ:

١. ذكر الله نعمته عليهم وجحودهم بها ومعصية آدم مُقابلها.
٢. رُتّب على هذا حرمانهم من الخلافة، وطرد آدم من الجنة.
٣. كتب عليهم الذّلة، وهبط آدم إلى الأرض.
٤. حذّر المؤمنين كيدهم كما حذّرهم مزالقهم، كما حذّر من اتباع إبليس وإنّه لكم عدوٌ مبين).

سؤال ٧:

هل عرض الله سبحانه قصّة بني إسرائيل في السُّور المكيّة قبل البقرة؟ وما الفرق بين العَرضيْن؟

قال سيّدٌ: قد وردتْ القصّة في السور المكية التي نزلت قبل هذا ولكنها كانت تذكر مع غيرها:

١. لتثبيت القلّة المؤمنة في مكة بعرض تجارب الدعوة وموكب الإيمان.
٢. توجيه الجماعة المسلمة بما يناسب ظروفها في مكة.
٣. فأما هنا فالقصد هو كشف حقيقة نوايا اليهود ووسائلهم وتحذير الجماعة المسلمة منهم.
٤. وتحذيرها في الوقوع في مثل ما وقعت فيه قبلها يهود، ولسبب اختلاف الهدف بين القرآن المكي والقرآن المدني اختلفت طريقة العرض وإن كانت الحقائق التي عُرضت هنا وهناك عن انحراف بني إسرائيل ومعصيتهم واحدة وقصة بني إسرائيل هي أكثر القصص وروداً في القرآن الكريم.

سؤال ٨:

ما هو العهد الذي يُريده الله ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ﴾؟

قال سيدٌ:

١. أهو العهد الأول عهد الله لآدم ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ [طه:١٢٣].
٢. أم هو العهد الكوني السابق على عهد الله هذا مع آدم، المعقود بين فطرة الإنسان وبارئه أن يعرفه ويعبده ولا يشرك به.
٣. أم هذا العهد الخاص الذي قطعه الله لإبراهيم جدّ إسرائيل ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤].
٤. أم هو العهد الخاص الذي قطعه الله على بني إسرائيل.

إنّ هذه العهود جميعاً إن هي إلا [عهدٌ واحد]، إنّه العهد بين البارئ وعباده أن يُصغوا قلوبهم إليه وأن يسلموا أنفسهم كلّها له، وهذا هو الدين الواحد، وهذا هو الإسلام الذي جاء به الرسل جميعاً وكيفيّة الوفاء بهذا العهد تكون:

١. أن يخافوه وحده وأن يُفردونه بالخشية.
٢. أن يؤمنوا بما أنزل على رسوله، مُصدقاً لما معهم.
٣. ألا يسارعوا إلى الكفر به فيصبحوا أول الكافرين وكان ينبغي أن يكونوا أول المؤمنين.

﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة:٤٠].

يا: حرف نداء يفيد التحبُّب، والتودُّد، والإيناس، والتلطّف، والنداء، وتأجيج المشاعر، ولفت الانتباه، وهذا أسلوب وعظي وتحضيض.

فائدة لغوية عن (يا) النداء:

هو حرف معنىً مبني على السكون لا محلّ له من الإعراب.

١. هو حرف نُدْبة يدخل على المنادى المندوب: فآهٍ آهٍ يا مُصطفاه.
٢. حرف نداء وأكثر حروف النداء استعمالاً: ولا يُنادى إلا به في لفظ الجلالة (يا الله).
٣. إذا وَلِيَ يا ما ليس بمنادى (كالفعل أو الحرف) جاز اعتباره حرف نداء أو حرف تنبيه نحو (يا ليتني كنتُ معهم)، (الا يا اسجدوا) النمل على غير

قـــــــراءة حفـــــــص. ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ [القصص:٧٩].

فائدة دعوية:

الله عزّ وجلّ أكثر من نداءات عباده، مرةً يا بني آدم (هذه تجمع بين صفة الإنسانيّة ونسبتهم إلى أبيهم آدم)، يا أيها الناس، ومرةً يا أيها الذين آمنوا (صفة الإيمان)، [كلما تلطّف وليّ الأمر بالنداء، أدّى ذلك إلى تبليغ الرسالة بشكل أعمق].

سؤال ٩:

ما الفرق بين: بَني وبَنيّ وبُنيّ؟

بَنِيَّ: الياء هنا ياء النسبة جمع ابن أصلها بنين ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة. وعند المتكلم نقول بَنيّ، مُضافة إلى ياء المتكلم أصبحت بَنِيَّ بعد الادغام. أما بُنيَّ فهي تصغير ابن (بُنيْ) مضافة إلى ياء المتكلم فأصبحت بُنيَّ بعد الإدغام..

إسرائيل: يعقوب معناه: عبد الله، أو صفوة الله. يا أبناء النبي المختار الصفيّ يعقوب هذا يؤدّي إلى تشريف الأب وتشريف الأبناء.

فائدة ذوقيّة:

يا أحفاد عمر، يا أحفاد صلاح الدين، يا حامل القرآن، يا أصحاب السورة والسورتين، يا أصحاب سورة البقرة، هذه استثارة تاريخية ووجدانيّة، وتذكيرهم بالتاريخ المشرق، أو بما يحملونه في صدورهم من كتابٍ وعقيدة، ويذكّرهم بجدّهم يعقوب، لأن طبع البشر أن يُمدح من جهة أبيه، أو من جهة ابنه.. فلان بن فلان.

بني إسرائيل: المقصود جميع بني إسرائيل السابقين والموجودين زمن النبي محمد ﷺ وإن كان السياق ألحظ للحاضرين، وإنّما استُفزّت مشاعرهم حتى يكونوا مؤمنين لله.

إضافةُ النِعمة إلى الله:

يقول الدكتور صلاح الخالدي: وردتْ النِعمة – في صورتها الاسمية – مضافة إلى الله ، إحدى وخمسين مرة، مثل: "نعمة الله، نعمتي، نعمتُه، نعمتك، نِعمُ، أنعم الله، أنْعُمُه"..

وهذه الإضافة إضافة حقيقيّة، لأنّ النعمِ كلها من عند الله، والمُنعم هو الله، ولا يملِكُ أحدٌ من المخلوقين أن يوصل نعمةً لآخر إلا بإذن الله. فالإضافة تُقرّر صراحةً أن كل نعمة من الله.. ونستفيدُ من إضافة النعمة إلى الله ثلاثة أمور:

١. أن يزداد حبنا لله، وأن يزداد شكرنا له وذكرنا له سبحانه، واعترافنا بفضله وإحسانه.
٢. أن نستخدم هذه النِعم في شكره وعبادته وطاعته، ونجعلها عوناً لنا في القيام بالخلافة في الأرض.
٣. أن لا نتيه ولا نفخر على الآخرين، إذا كُنّا سبباً في إيصال نعمةٍ من الله إليهم. بل نتواضع بين يدي الله، ولا نظن أننا نحن المُنعِمون على غيرنا وأننا صانعون لها.

وردتْ النعمة مُجرّدة عن الإضافة مرتين: في قول موسى لفرعون "وتلك نعمةٌ تمنُّها عليَّ" الشعراء ٢٢ والثانية "وما لأحدٍ عنده من نعمةٍ تُجزى" الليل: ١٩.. وهنا في الموضعين تستنكر إضافة النعمة لغير الله، وتنفي إضافة النعمة لغير الله، منهما شاهدتان على قَصْر النعمة على الله، وحصرها بالله – سبحانه - !

وردت كلمة "نِعمة" بالإفراد وكسر النون سبعاً وأربعين مرة، وهي اسم هيئة كالرِكْبة والجِلْسة أي أنها: تُشير إلى الحالة المستمرة الدائمة للإنسان وتدل على هيئته وهو يتقلّب في نِعم الله..

ووردت كلمة " نَعمة": بالإفراد وفتح النون مرتين فقط.

فهي اسم مَرَّة.. كالضَّرْبة، والشَّتْمة. أي أنها: توحي كأن النعمة لم تُصِبْ صاحبها إلا مرة واحدة وتُوحي بِقِصَر مُدتها وسرعة زوالها لأنه لم يُقابلها بالشكر.. كذلك النَّعماء مأخوذة من النَّعمة – بفتح النون – تُوحي بالمرة الواحدة من النِّعمة تُصيبه بعد ضراء..

فائدة تربوية:

ذكّر ابنك بمالك عليه من فضل ولكن دون تكلُّف. أي الإجمال دون التفصيل. فالله عزّ وجلّ بدأ بأسلوب الإجمال، لأن أسلوب التفصيل يؤدي إلى النفور، فبدأ بالإجمال ثمّ بشيءٍ من التفصيل، وكأنّه تحريكٌ لمشاعر المستمع أو المتلقيّ لصاحب النعمة من نعمته عليه.

نعمتي: الياء ياء المتكلم، والأصل فيها البناء، والأصل في البناء السكون، والأصل الثاني لها هو الفتح لأنه وقع بعدها (أل) التعريف لذلك فتحت فهذه الفتحة عارضة وليست أصلية لوقوع ياء بالإضافة قبل أل التعريف لم يقل (النعمة، أو النِعم) بل نسب النعمة لله عزّ وجلّ.

التي: اسم موصول خاص بالمؤنث المفرد (العاقل وغير العاقل)، مبني على السكون في محل رفع أو نصب أو جر حسب موقعه من الجملة، ويستعمل أيضاً لجمع غير العاقل ويُعرب نعتاً إذا سبقه اسم (نعمتي التي) هنا نعت. هنا يفيد السَّعة. أي نعمتي الكثيرة الجزيلة التي لا عدّ لها ولا حصر.

أنعمت عليكم : التاء: ضمير المتكلم الإنعام: التفضّل والتكرُّم.

التعبير بالإنعام دلالة على أنها مِنّةَ وإفضال من الله، وملك الملوك نِعمُهُ شاملة، والإنعام والرزق تحت سلطانه سبحانه.

على: حرف معنىً مبني على السكون لا محلّ له من الإعراب، وحرف جرّ يجرُّ الاسم الظاهر، والضمير بعده وله ست معانٍ في اللغة العربية هنا في الآية الكريمة يفيد الشمول والكثرة وتخصيص المُنعِم.

الكاف: للخطاب + التخصيص + ملاحظة النعمة واستشعار المنّة.

الميم: للجمع أي أن النعم شملت جميعهم: كبيرهم، صغيرهم، إناتهم، ذكورهم، شيوخهم، أطفالهم.

وهناك نِعَمٌ عامّة على بني إسرائيل (كالنجاة، والمنّ، والسلوى...) ونِعَمٌ خاصّة على كل أحد منهم تخصّه دون غيره، النعمة تأتي دائماً متصلة مع (على)، (وعلى) تفيد تخصيص المنعم.

وأوفوا:الواو: واو العطف، فعل أمر يقتضي الوجوب وهو فعل الطلب، والإنسان يقوم بواجب الوفاء عندما يشعر بقيمة النعمة.

الباء: حرف جر، يفيد الإلصاق والاتصال، اتصال العهد بصاحبه، أي بالعهد المتصل بي.

أسند الله عزّ وجلّ العهد إلى نفسه ونسبه إليه سبحانه تعظيماً لهذا العهد. أنه عهدٌ من الله.

أُوفِ: جواب الطلب فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلّة من آخره وهو الياء.

بعهدكم: أضاف العهد لبني إسرائيل إلهاباً وتشجيعاً لهم للإيفاء بالعهد.

قال الإمام البيضاوي : (ورد تفصيل العهديّن المُجملـيْن هنا في سورة المائدة، فالعهد في الآية: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[المائدة:١٢]، والوعد في الآية﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [المائدة:١٢].

فوائد قرآنية:

١. جاء الأمر الأول اذكروا، والثاني أوفوا، دلالةً على أنّ التذكرة تحتاج بل يجب أن تُتبع بالشكر. كما جاء في الحديث عندما أمسك الرسول بيد معاذ وقال والله يا معاذ إنّي لأحبّك، فلا تدع دُبر كل صلاة أن تقول اللهم أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

٢. قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٤] لأنّ الخطاب كان للمسلمين عامّة، أما هنا الخطاب لبني إسرائيل لجبلّة قاسية ناكدة، يلزمهم نسبة العهد إلى صاحبه مع حرف الباء [بعهدي].

٣. إضافة العهد إلى الله سبحانه [ي] يزيد العهد قداسةً ورفعةً وتشريفاً وأهمية وتعظيماً له. لأنه عهدٌ من الله.

٤. عهد الله هو: المُتضمن عبادتي وتوحيدي وتطبيق شريعتي وأحكامي، والابتعاد عن ما نهيت عنه.
٥. أضاف العهد إليهم بعهدكم مع أنّ العهد وحده وذلك لأنّ العهد صار إليكم. تخصيص واستشارة للإيفاء بالعهد، والباء للاتصال كما أسلفنا سابقاً.

وإيَّايَ: ضمير منفصل للمُخاطب المفرد المذكر مبني على السكون في محل نصب. أضيف هنا إلى ياء المتكلم أصبح يراد به المتكلم وفتحة الياء عارضة لأنه وقع قبلها ألف ساكنة ففتحت ياء الإضافة ولم ترد في القرآن إلا مرتين [البقرة+ النحل]، وهي أدلّ على التخصيص من باب التهييج مع ذلك لم يلتزموا.

فارهبونِ: خافونِ مع تحرُز وأخذ الاحتياط.

فائدة تربوية:

١. أسلوب تعميم التخويف أشدّ من أسلوب التّخويف نفسه لم يقل خافونِ.
٢. جاء الأسلوب طيلة الآية بالترغيب من أول (يا) النداء حتى آخرها، فلم ينفع معهم ذلك فاستخدم أسلوب الترهيب بكلمة فارهبون.
٣. نلاحظ أنّ الله عزّ وجلّ قدّم أسلوب الترغيب على الترهيب وهذا له علاقة بالمخاطب، منهم منْ يُفيده الترغيب، ومنهم من لا يفيده إلا الترهيب.
٤. الأم الناجحة هي الأم الأكثر حلماً وصبراً على أطفالها وتستطيع أن تجني ثمرة تربيتها كلما استخدمت ألفاظاً نقيّةً صافيةً ذوّاقةً.
٥. مفردات الترغيب باللغة أكثر بكثير من مفردات الترهيب وكذلك في القرآن الكريم. وهذا من فضل الله.

وآمنوا: الإيمان هو التصديق.

بما أنزلت: الباء: حرف جر.

ما: اسم موصول بمعنى الذي أنزلتُ أو بتنزيلي المقصود بالتنزيل هو القرآن الكريم وليس التوراة لأن بالقرآن الذي أنزلته مُصدّقاً لما معكم أي مؤكداً للذي معكم وهو التوراة.

مُصدّقاً: مؤكداً.

لما: للذي.. كما سبق اسم موصول بمعنى الذي.

معكم: التوراة.

ولا تكونوا أولّ كافرٍ به : لا تكونوا أول فوجٍ أو أول فريقٍ يكفر به.

به: هناك رأيان:

١. رأي يقول أنه الضمير يعود على القرآن.
٢. رأي يقول أنه الضمير يعود على النبي العدنان. وكلاهما صحيح.

سؤال ١٠:

ألم يكن بعض أهل قريش أول من كفر بالنبي ﷺ؟
هناك معنيان :

١. لا تكونوا أول كافرٍ بالنبي من جنسكم وأهل كتابكم أنتم بني يهود.
٢. (لا تكونوا) على وجه التوبيخ، لأنكم المفروض أن تكونوا أول ناسٍ تؤمنون به لأنكم تعرفونه في كتبكم والأرجح هذا.

ولا تلبسوا: ولا تخلطوا.

وأنتم تعلمون: أنّ الله تعالى قد أعطاكم الأدلة والبراهين على صحّة رسالة محمدّ وأوصافه.

ولا تشتروا بآياتي : لا تبيعوا الحق بالباطل

الباء: حرف جر يفيد (الاستخفاف بالآيات) كأنّهم جعلوا القرآن شيئاً عوضاً في بيعهم.

الآيات: الدّالة على إثبات النبوّة لسيدنا محمد ﷺ.

ي: أسند الآيات إلى نفسه زيادة في التخصيص.

ثمناً: فيها إشارة إلى القبض والمال وهذا يزيد الصورة بشاعة.

قليلاً: هو ليس بقليل عند البشر، لكن قليل بالنسبة إلى الجناية التي قاموا بها.

وإيّاي فاتقون: تخصيص مرة أخرى وتهييجاً لهم (وإياي) لأن الخطاب هنا للعلماء من بني إسرائيل.

أما فارهبون جاء الخطاب لعامّة بني إسرائيل. أي: لا تتخذوا آياتي شيئاً مادياً وتجعلوها عوضاً عن شيء ما في بيعكم فهذا يدلُّ على استخفافكم بها وهذا تصرُّفٌ شائنٌ.

فائدة تربوية:

[إيّاك أن تضع الحق في كفّة، ومصالحك الشخصيّة في كفّة أخرى ثم تُرجّح كفّة مصالحك الشخصية فهذا عينُ الشُّؤم والخسارة].

لم يرد في التاريخ أن بني إسرائيل باعوا آيات الله.. ولكنّ الخطاب هنا خُصّص لعلمائهم وأحبارهم المنتفعون من كرسيّ الديّانة، لأنّ (الأحبار ورجال الدين والعلماء) كانوا في حُكم موقعهم الديني تأتيهم الأعطيات والهبات والأموال ويُشرِّعون ما يشاؤون من فتاوى.

يقول سيّدٌ: رجال الدين إذا اشتغلوا بهذا فاقرأ عليهم السلام). لا فُضَّ فوك يا سيدٌ.

سؤال ١١:

لم تقدمتْ الرهبة على التقوى في الآيات؟

١. الرأي الأول قال: جاءت التقوى بعد التخصيص لرجال الدين والعلماء ومن بني إسرائيل.
٢. الرأي الثاني قال: التقوى درجة أعلى من الرهبة.
٣. الرأي الثالث قال: الرهبة هي مُقدمة للتقوى.

وقد شرحت التقوى في بداية البقرة، في الربع الأول، وقول عمر بن الخطاب فيها، وقول سيد وتفصيلاته فيها، يرجى مراجعته.

إذن: جاءت الأوامر كثيرة من الله لبني إسرائيل (اذكروا، أوفوا، آمنوا، فارهبون، فاتقون) والنواهي أيضاً (لا تشتروا، لا تلبسوا، لا تكونوا، لا) لكن لم ينفذوا شيئاً من هذه أو ينتهوا عن تلك، وبقوافي ضلالهم.

ولا تلبسوا الحقّ بالباطل: لها معنيان:

١. لا تخلطوا الحقّ المُنزلّ عليكم (القرآن) بالباطل الذي تخترعونه وتفترونه.
٢. لا تجعلوا الحقّ مُلْتبساً بحيث يصعب على العامّة فهمه.

وكلهّم قاموا بالجريمتين معاً الغش والكذب والافتراء ثمّ أصبح الحق بفعلتهم مُلتبساً على الناس، فألبسوا الحق ثوب الباطل فأصبح الحق بشعاً من قمّة رأسه إلى أخمص قدميه.

وتكتموا الحق: فيها قولان:

١. القول الأول: أن التقدير و(لا تكتموا الحق) لا ناهية جازمة محذوفة دخلت على المضارع فجزمته وعلامة الجزم حذف النون من آخره لأنه من الأفعال الخمسة، فأصبح الحق مكتوماً.
٢. القول الثاني: التقدير (فتكتُموا) أي بأن تكتموا الحق.

والأرجح: هو الأول بأن الواو عاطفة وليست استئنافية، ويوجد لا ناهية محذوفة، والفاء المقدّرة محذوفة أما بالقول الثاني فالواو استئنافية.

وأنتم تعلمون: الواو: واو الحال.

الحال: أنكم تعلمون أن هذا الكتاب هو الحق وتكتمون ذلك فالله عزّ وجلّ قد أعطاكم الأدلة والبراهين على صحّة رسالة محمد ﷺ وأوصافه في توراتكم.

التقوى.. و.. الرهبة

يقول الراغب الأصفهاني في كتابه "المفردات في غريب القرآن": (وقى: الوقاية: حفظ الشيء ممّا يؤذيه ويضرُّه).

يقال: وَقَيتُ الشيء: أقيه، وقايةً، ووقاءً (فوقاهم الله، من واقٍ، قو أنفسكم).

التّقوى: جعل النفس في وقايةٍ مما يخاف، هذا بحقيقة، ثمّ يُسمّى الخوف تارةً تقوى، والتقوى خوفاً، حسب تسمية مُقتضى الشيء بمُقتضيه، والمُقتضي بمُقتضاه، وصار التقوى في تعارف الشرع (حفظ النفس عمّا يؤثمْ) وذلك بترك المحظور، ويتمُّ ذلك بترك بعض المُباحات لما رُوي "الحلالُ بين والحرام بين ومن وقعَ حول الحمى فحقيقٌ أن يقع فيه" (فمن اتقى وأصلح فلا خوفٌ...) (وسبق الذين اتقوا ربهم...) (ويخشى الله ويتقه) (اتقوا الله حقّ تقاته)، ويقال (اتقى فلان بكذا) إذا جعله وقاية لنفسه، وقوله ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [الزُّمَر:٢٤] تنبيه على شدّة ما ينالهم، وإن أجدر شيء يتقون به من العذاب يوم القيامة هو وجوههم فصار ذلك كقوله (وتغشى وجوههم النار، يوم يسحبون في النار على وجوههم).

رَهَبَ: الرّهْبَةُ، والرُّهْبُ: مخافةٌ مع تحرُّزٍ، واضطرابٍ (جناحك من الرّهب)

وفي قراءة أخرى صحيحة عشرية (الرُّهب) وكلاهما الفَزَع (تُرهبون به عدو الهل وعدوكم) (واسترهبوهم) أي حملوهم على أن يرهبوا، (وإيايَ فارهبون) أي خافون. والترهيب: (التعبُّد وهو استعمال الرهبة)، والرهبانية: غُلوٌّ في تحمّل التعبد من فرط الرهبة.

الرُهبان: يكون واحداً وجمْعاً فمن جعله واحداً جَمَعَهُ: رَهَابين، رَهابِنَةٌ.

الإرهاب: أرهبتُ إرهاباً، هو فَزَعُ الإبل). أ. هـ الراغب الأصفهاني.

سؤال ١٣:

إلام يدعو القرآن الكريم بني إسرائيل؟

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة:٤٣] على ثلاثة أفعال أمر تقتضي الإيجاب: قال سيّدٌ: (أقيموا، آتُوا، اركعوا، يدعوهم إلى الاندماج في موكب الإيمان والدخول في الصف، وأداء عباداته المفروضة، وترك هذه العُزلة والتعصُّب الذّميم وهو ما عُرفت به يهود من قديم).

سؤال ١٤:

ما هي الآفة التي تحدّث عنها سيدٌ التي تصيب رجال الدّين؟

قال سيّدٌ: يأمرون الناس بالخير ولا يفعلون، ويدعون إلى البرّ ويُهملونه، ويؤوّلون النصوص القاطعة خدمةً للغرض والهوى، كما كان يفعل أحبار يهود، والدعوة إلى البر والمخالفة عنه في سلوك الداعين إليه هي الآفة التي تصيب النفوس بالشّك لا في الدُّعاة، وحدهم ولكن في الدعوات ذاتها، وهي التي تبلبل قلوب الناس وأفكارهم لأنهم يسمعون قولاً جميلاً ويشهدون فعلاً قبيحاً، فتملّكهم الحيرة بين القول والفعل، وتخبو في أرواحهم الشعلة التي توقدها العقيدة، وينطفئ في قلوبهم النور الذي يشعُّه الإيمان، ولا يعودون يثقون في الدين بعدما فقدوا ثقتهم برجال الدين، إنّ الكلمة لتنبعث ميّتة، وتصل هامدة، مهما كانت طنّانة رنّانة مُتحمّسة، إذا لم تنبعث من قلبٍ يؤمن بها، ولن يؤمن إنسانٌ بما يقول حقاً إلا أنّه يستحيل هو ترجمةً حيّةً، لما يقول، وتجسيماً واقعياً لما ينطق.

والمطابقة بين القول والفعل بين العقيدة والسلوك، ليست أمراً هيّناً بل بحاجة إلى تمرين ورياضة وجهد ومحاولة، وإلى صلته بالله، واستمداد منه، واستعانة بهديه، فمُلابسات الحياة وضروراتها كثيراً ما تنأى بالفرد عن ما يعتقده

في ضميره، والفرد الفاني ما لم يتّصل بالقوّة الخالدة ضعيفٌ مهما كانت قوته، لأن قوى الشرّ والطغيان أكبر منه، فأمّا وهو يركن إلى قوة الأزل والأبد فهو قويٌ قوي.. أقوى من كل قوي، قوي على ذنوبه، معاصيه، شهوته، ضعفه، مشاغله، همومه، ضروراته، اضطراراته).

سؤال ١٥:

ماذا يرى سيدٌ في ضمير الشأن في قوله ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾؟

قال سيّدٌ: والغالب أن الضمير في ﴿وَإِنَّهَا﴾ضمير الشأن: أي إنّ هذه الدعوة إلى الاعتراف بالحق في وجه هذه العوامل كبيرة وصعبة وشاقّة إلا على الخاشعين الخاضعين لله، الشّاعرين بخشيته وتقواه، الواثقين بلقائه والرّجعة إليه عن يقين).

سؤال ١٦:

ما معنى كلمة ﴿بَلَآءٌ﴾ ولأي المعاني تُستخدم؟

يُقال بَلَوْتُه بلْواً وبلاءً، اختبرتُه وامتحنتُه، والاسم البلْوى والبَلِيّة والبلْوة. وتستخدم للمعنيين الآتيين:

١. اختبار وامتحان بالمحن المقتضية للصبر، وهذا للترغيب.
٢. اختبار امتحان بالمنح المقتضية للشكر وهذا للترهيب.

سؤال ١٧:

الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:٥٦] لها ثلاث معانٍ عند علماء التفسير ما هي؟

١. الجمهور على أن الموت هنا هو مُفارقة الروح للجسد، والبعث: إحياؤه بإعادة الروح إليه.
٢. ومن المفسرين من حمل الموت على الغشيان والهُمود، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾[إبراهيم:١٧] والبعث على الإقامة.
٣. ومنهم من حمل الموت على الجهل، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾[الأنعام:١٢٢]، والبعث على التعليم.

سؤال ١٨:

﴿ٱلْمَنَّ﴾ من النعم التي أرسلها الله إلى بني إسرائيل، واختلف المفسّرون فيها على ثلاث معانٍ، ما هي؟

١. مادة حلوة لزجة تشبه العسل كالطلّ، تسقط على الشجر من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.
٢. كناية عمّا أنعم الله به عليهم، وسُمي منّا لامتنان الله به عليهم.
٣. اسم جامعٌ لكل رزق حسن يحصل بلا تعب ومنه الكمأة والزّنجبيل والخبز والله أعلم.

سؤال ١٩:

في الآية الكريمة ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ لماذا سُمي العقل عقلاً؟

قال العلامة السعدي: لأنّه يعقل به ما ينفعهُ من الخير، وينتقل به عمّا يضرّه، وذلك أن العقل يحثّ صاحبه أن يكون أول فاعلٍ لما يأمر به، وأول تاركٍ لما ينهى عنه، فمن أمر غيره بالخير ولم يفعله، أو نهاه عن الشر فلم يتركه، دلّ على عدم عقله وجهله، خصوصاً إذا كان عالماً بذلك، قد قامت عليه الحجّة، وهذه الآية وإن كانت نزلت في سبب بني إسرائيل فهي عامّة لكل أحد لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف:٢-٣].

سؤال ٢٠:

إذا لم يقم الإنسان بالمعروف ولم ينته عن المنكر هو بنفسه فهل يتوقف ويترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لغيره؟

قال العلامة السعدي: (ليس في الآية أن الإنسان إذا لم يقم بما أمر به أن يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنها دلّت على التوبيخ بالنسبة إلى الواجبين، وإلا فمن المعلوم أن على الإنسان واجبين:

١. أمر غيره ونهيه.
٢. وأمر نفسه ونهيها.

فترك أحدهما لا يكون رخصة في ترك الآخر، فإن الكمال أن يقوم الإنسان بالواجبين، والنقص الكامل في أن يتركهما، وأمّا قيامه بأحدهما دون الآخر فليس

في رتبة الأول، وهو دون الأخير، وأيضاً فإنّ النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يُخالف قوله فعله، فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجرّدة.

سؤال ٢١:

ما هي أنواع الصبر؟

١. الصبر على طاعة الله حتى يؤديّها.
٢. الصبر عن معصية الله حتى يتركها.
٣. الصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخَّطها فبالصبر وحبس النفس على ما أمر الله بالصبر عليه معونةٌ عظيمة على كل أمرٍ من الأمور.

سؤال ٢٢:

ما هو تعريف الخشوع في الشّرع؟

الخشوع: هو خضوع القلب وطمأنينته وسكونه لله تعالى، وانكساره بين يديه ذُلاّ وافتقاراً، وإيماناً بلقائه، والتضرُّع إليه، وحب طاعته، وأكثر ما يستعمل فيما يظهر على الجوارح.

سؤال ٢٣:

ما الذي خفّف على المؤمنين العبادات وجعلها سهلة مُحبّبة لقلوبهم مُنشرحة لها صدورهم، في حين إنّها كانت ثقيلة وشاقة وكبيرة على غيرهم؟

١. الخشوع وخشية الله ورجاء ما عنده يُوجب لهم فعلها.
٢. لترقبهم للثواب. وخشيتهم من العقاب.
٣. لأنهم يستيقنون أنهم إلى ربهم راجعون وسيلاقوه ويُجازيهم بأعمالهم.
٤. كل ما سبق حبّب إليهم العبادات، وأوجب لهم التسلّي في المُصيبات، ونفّس عنهم الكربات، وزجرهم عن فعل السيئات.

يقول الراغب الأصفهاني:

تعقلون: العقل: يقال للقوّة المُتهيّئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوّة عقل. والعقل عقلان:

١. عقلٌ مطبوع.
٢. عقلٌ مسموع.

وإلى الأولى أشار ﷺ بقوله: "ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل".

وإلى الثاني أشار ﷺ بقوله: "ما كسب أحدٌ شيئاً أفضل من عقلٍ يهديه إلى هُدى أو يردُّه عن ردى".

وكل موضع ذمَّ الله فيه الكفار بعدم العقل فإشارة إلى العقل الثاني. وكل موضع رُفع التكليف عن العبد لعدم العقل فإشارة إلى العقل الأول. وأصل العقل الإمساك، والاستمساك.

عَقْلُ البعير بالعِقال: ربطُهُ. عَقَلَتْ المرأة شعرها ربطتهُ، عَقَلَ لسانُه كفَّهُ، ومنه قيل للحصن معقل وجمعُهُ معاقل.

سؤال ٢٤:

ما الاستعانة بالصلاة كما يراها سيدٌ؟

قال سيّدٌ: الاستعانة بالصبر تتكرّر كثيراً فهو الزّاد الذي لا بدّ منه لمواجهة كل مشقة وأمّا الاستعانة بالصلاة، فالصلاة صلة ولقاء بين العبد والربّ، صلة يستمدُّ منها القلب قوة، وتُحسُّ فيها الروح صلة، وتجد فيها النفس زاداً أنفس من أعراض الحياة الدنيا وقد كان ﷺ يقول (أرحنا بها يا بلال) وكان (إذا حزبه أمرٌ فزع إلى الصلاة). وهو ﷺ الوثيق الصلة بربّه الموصول الروح بالوحي والإلهام، وما يزال هذا الينبوع الدافق في متناول كل مؤمن يريد زاداً للطريق، ورياً في الهجير، مدداً حين ينقطع المدد ورصيداً حين ينفد الرصيد).

سؤال ٢٥:

كيف استخدم القرآن كلمة (يظنُّون) بمعنى اليقين؟

١. اليقين بلقاء الله (واستعمال ظنّ ومُشتقاتها في معنى اليقين كثيرٌ في القرآن وفي لغة العرب عامةً).
٢. اليقين بالرّجعة إليه وحده في كل الأمور، وهذا هو مناط الصّبر والاحتمال، وهو مناط التّقوى والحساسيّة، كما أنّه مناط الوزن الصّحيح للقيم: قيم الدنيا والآخرة.
٣. متى استقام الميزان في هذه القيم بدت الدنيا عرضاً هزيلاً، وبدتْ الآخرة على حقيقتها التي لا يتردّد عاقلٌ في اختيارها وإيثارها.

إذن: نجد أنّ توجيه القرآن الكريم الذي قُصد به بنو إسرائيل أول مرة، توجيهاً مستمراً دائماً مستمر الإيحاء للجميع.

فائدة لغويّة:

من معاني الصلاة عند العرب: التقويم، صلى الخشبة: أي هذّبها وقوّمها. (هذّبوا أنفسكم وقوّموها على كل خلقٍ فاضل).

الإقامة: تعني أن نُقيم الصلاة شكلاً ومضموناً، صورة حقيقيةً، الانتقال من الأداء إلى الإقامة، لذلك جاء التعبير (أقيموا) وليس (أدّوا)، أو (صلّوا)، فالصلاة المقصودة هنا في الآية الصلاة الشرعية لأنهم استنكفوا عن الصلاة مع المسلمين، ونأوا بأنفسهم عن المسلمين واعتبروا أنّ هناك صلاة تخُصُّهم.

واركعوا: أي صلّوا.. لأنّ الركوع جزءٌ من الصلاة.

سؤال ٢٦:

لماذا خصّ الله عزّ وجلّ ذكر الركوع من بين كل أركان الصلاة؟

١. لأنّ صلاة بني إسرائيل كانت تخلو من الركوع، وهذا دليلٌ على الكبر، ومرض نفوسهم التي تسكن أضلاعهم.
٢. لأنّ الركوع بمعنى الخضوع، أي اخضعوا مع الخاضعين وهذا الخضوع فيه إذلال لنفوسهم ودائهم.

فائدة تربوية:

١. أنّ الرُّكوع دواء للكبر.
٢. أنّ الرُّكوع دواء لإذلال النفس وترويضها.

سؤال ٢٧:

ما هي العلاجات التي أعطاها الله لبني إسرائيل ليشتفوا من أمراضهم الباطنة؟

١. إقامة الصلاة.
٢. أداء الزّكاة.
٣. الخضوع وكثرة الركوع.
٤. المعيّة (مع الراكعين) أي:
   أ- إمّا حضور صلاة الجماعة.
   ب- أو صُحبة الصالحين منهم.

لأنّ الشيطان من الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ومن الثلاثة أبعد، فكيف من المسجد؟ يُذهب ما في القلوب من مرض، وبركة المسجد بوتقة لصهر كل الآفات.

أتأمرون: نوع الهمزة: همزة استفهامية، نوع الاستفهام: استفهام استنكاري.

أأنذرتهم: همزة التسوية تُسبق بكلمة سواء وغالباً يأتي بعدها أم وتأتي للتسوية بالنتيجة بين أمرين هي همزة استفهامية في الأصل وردت (٦) مرات بالقرآن.

مُلاقُو ربهم: أصلها مُلاقونَ جمع مذكر سالم لكن حذفت النون للإضافة.

عَدْلٌ: أي ما يُعادل العقوبة. يعني فدية مقابل العذاب.

يسومونكم: لها معنيان:

١. يذيقونكم.
٢. يُديمون عليكم (من الاستمرارية).

يستحيون: يُبقونهم أحياء للخدمة.

بارئكم: تقال برأ للناس والدواب (أي فقط برأ النسمة ذات الرُّوح). لا يُقال برأ الجبال، بل خلق للجمادات.

اثنتا عشرة: (اسم عدد أصلي مركب)، الجزء الأول منه معرب يرفع بالألف وينصب ويجر بالياء، والجزء الثاني مبني على الفتح دائماً،والاسم المعدود بعده مفرد منصوب على التمييز، العدد والمعدود مطابقان في المذكر والمؤنث وقد يسكن الشين في عشرة وقد تفتح حسب المعدود، فإذا كان المعدود مؤنث فإنّ الشين تسكن (اثنتا عشْرة عينا)، وإذا كان المعدود مذكر فتفتح الشين نحو: (اثني عشَر نقيبا).

فادّارأتُم: الأصل فيها (تدارأتم) سكنت التاء، ثم أدغمت بالدال من باب التجانس، ثمّ اجتُلبتْ همزة الوصل لعدم البدء بالساكن، لأن العرب لا تبدأ إلا بمتحرّك ولا تقف إلا على ساكن على وزن (تفاعلتم).

يشّقّقُ: الأصل فيها (يتشقّق) أدغمتْ التاء بالشين للتخفيف من باب التّقارب، على وزن يتفعَّل.

سُجّداً: صيغة مُبالغة على وزن (فُعَّلا)

سُجّداً: أي مُتذلّلين مُنقادين، وخُصّ السُّجود بالشريعة بالرُّكن المعروف من الصلاة وما يجري مجرى ذلك من سجود القرآن (التلاوة)، وسجود الشكر، وسجود السّهو وقد يُعبّر به عن الصلاة نحو قوله: (وأدبار السجود) أي أدبار الصلاة.

يُضِلُّ: الأصل فيها يُضْلِلُ على وزن (يُفعِلُ) سكنت اللام الأولى، ثم كُسرت الضاد لالتقاء الساكنين في كلمة واحدة، ثم أُدغمت اللام باللام من باب التماثل الصغير.

خلق.. و .. جعل

قال الراغب الأصفهاني: جعل لكم الأرض: جعل لفظٌ عامٌّ في الأفعال كلها، وهو أعمّ من فعل وصنع وسائر أخواتها ويتصرّف على خمسة أوجه:

١. يجري مجرى (صار) و(طفق) فلا يتعدّى.
٢. يجري مجرى (أوجد) فيتعدّى إلى مفعول واحد نحو ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾.
٣. في إيجاده شيء من شيء وتكوينه منه ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾.
٤. في تصيير الشيء على حالة دون حالة نحو ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾.
٥. الحُكم بالشيء على الشيء، حقاً كان أو باطلاً ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ وأمّا الباطل ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾.

خلق: الخلق أصله التقدير المستقيم، ويستعمل:

١. في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء.
٢. ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾.

٣. كل موضع استعمل الخلق في وصف الكلام فالمراد به الكذب ومن هذا الوجه امتنع كثيرٌ من الناس من إطلاق لفظ: الخلق على القرآن كأحمد بن حنبل.

٤. خُصّ الخَلْق بالهيئات والأشكال والصور المُدركة بالبصر. بينما خُصّ الخُلُقْ بالقُوى والسّجايا المُدركة بالبصيرة.

٥. ليس الخلق الذي هو الإبداع إلا لله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾.

المُفلحون: (الفَلاحُ: الظّفَرُ وإدراك البُغية وذلك ضربان:

١. دُنيوي: الظفَرُ بالسعادات التي تطيبُ بها حياة الدنيا وهو البقاء والغنى والعزُّ.

٢. أخروي: وهي أربعة أشياء كما ذكرها الراغب الأصفهاني:

أ- بقاء بلا فناء.

ب- غنى بلا فقر.

ج- عزٌّ بلا ذلّ.

د- علمٌ بلا جهل.

المنافقين.. و .. الفاسقين

يقول الراغب الأصفهاني: (فسق فلان: خرج عن حَجْرِ الشّرع، وذلك من قولهم (فسق الرُّطب) (إذا خرج عن قشرِهِ) وهو أعمُّ من الكفر، والفسق يقع بالقليل من الذنوب، وبالكثير، لكن تعورِف فيما كان كثيراً، وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حُكم الشرع وأقرّ به ثمّ أخلّ بجميع أحكامه أو ببعضه وإذا قيل للكافر الأصلي فاسق فلأنّه أخلّ بُحكم ما ألزمه العقل واقتضته الفطرة. والفاسق أعمُّ من الكافر / والظالم أعمّ من الفاسق، والفأرة سميت فُوَسقة لما فيها من الخُبث والفسق. قال ﷺ (اقتُلوا الفُويسِقة فإنّها تُوحي السِّقاء وتُضرِمُ البيت على أهله).

النّفاق:هو الدخول في الشرع من باب، والخروج عنه من باب، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[التوبة: ٦٧] أي الخارجون من الشرع وجعل الله المُنافقين شراً من الكافرين ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ﴾.

بناءً.. و .. بُنياناً

والسَّماءَ بناءً : القرآن الكريم استخدم كلمة البناء للسماء أمّا كلمة (بُنيان) فاستخدمها للبشر (كأنّهم بُنيانٌ مرصوص) (أفمن أسس بُنيانه ...) (لا يزال بُنيانُهم الذي بَنَوْا...) قال الراغب الاصفهاني: (البناء: اسم لما يُبنى بناءً والبُنيان: واحدٌ وليس جمع.

وقال بعضهم: بُنيان مع بُنيانة فهو مثل شعير وشعيرة، وتمر وتمرة، ونخلٍ ونخلة، وهذا النَّحو من الجمع يصحُّ تذكيره وتأنيثه).

يشعرون.. و .. يعلمون

يقول الراغب الأصفهاني: (ولكن لا يشعرون، ولكن لا يعلمون) (المشاعر: الحواس، لا تشعرون: أي لا تُدركونه بالحواس، لكنه قد يكون معقولاً ونعقله بعقولنا. العلم: إدراك الشيء بحقيقته وذلك ضربان:

١. إدراك ذات الشيء.

٢. الحُكم على الشيء بوجود شيءٍ هو موجود له، أو نفي شيءٍ هو منفيٍّ عنه.

والعلمُ من وجه ضربان:

أ- عقلي.

ب- سمعي.

ومن وجه آخر ضربان أيضاً:

أ- نظري.

ب- عملي.

فالنّظري: ما إذا عُلم فقد كمل، نحو العلمُ بموجودات العالم. والعملي: ما لا يتم إلا بأن يعمل، كالعلمُ بالعبادات).

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤] الخطاب هنا لعلماء بني إسرائيل (أي الخاصّة منهم) والهمزة استفهاميّة، والاستفهام تقريري، أي تقريرٌ أنّهم يفعلون هذا الفعل بالتأكيد، وجود الهمزة تقريرٌ وتوبيخ أنّهم يفعلون كذا.

البِرُّ: كثرة الخير وسعته كلمة جامعة لكل الفضائل والأخلاقيات الأصل الواحد منها: الخير والسعة والكثرة.

البَر: الفضاء الواسع الذي يسع كل شيء.

البُرُّ: القمح وفيه فوائد كثيرة والبَرُّ: من أسماء الله الحسنى أي الذي يبرّ عباده، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ الطور:٢٨] والحج المبرور، وبرّ الوالدين: لأن الوالدين يحتاجان إلى أخلاق كثيرة ومعروف وبذل وتضحية وخفض جناح ولين قول ووجه باشٍّ طلق وفي الحديث: جمع النبي بين المغفرة في رمضان وبرّ الوالدين عندما نزل درجة على المنبر وقال آمين، ثم آمين ثم قال: رغم أنف من أدرك رمضان ولم يُغفر له ورغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ولم يُدخلاه الجنة. أو كما قال ﷺ.

سؤال ٢٨:

على ماذا يدلُّ استخدام القرآن لكلمة (البِرّ)؟

بنو إسرائيل يأمرون أتباعهم بكل البرّ ولا يفعلون شيئاً منه وقال بالبرّ ولم يقل بالمعروف، أو بالفضائل أو بالأخلاق الحميدة، أو بالخير. وذلك لأن البرّ جامعٌ لكل أنواع الخيرات فالتعبير دقيق جداً. وهذا دلالة على عظم جرمهم.

وظاهر النصّ يدلّ على أنّ الخطاب لبني إسرائيل، بل الأولى أن الخطاب لعامّة الناس، لأن السيرة تُسجّل أن بني إسرائيل كانوا يُخبرون قريش والأوس والخزرج بمبعث النبي.

فائدة دعويّة:

من المؤلم أن يأمر الإنسان بأمر ولا يفعله، وينهى عن شيء ولا ينتهي عنه، والنبيّ عظّم ذلك وقال "يؤتى يوم القيام برجالٍ تندلق أقتابهم (أمعاءهم) بالنار يدور مع أمعائه في النار كما يدور الحمار في الرّحى قالوا: من هذا يا رسول الله؟ قال: هذا الذي كان يأمر بالمعروف ولا يأتيه وينهى عن المنكر ويفعله".

سؤال ٢٩:

إذا كان الداعية يأتي بعض المُنكرات فهل يستنكف عن الدعوة؟

الرّاجح أنّه يقوم بواجب الدعوة، ولا يستنكف عن الأمر ولعلّ الله يُعافيه.

قال ابن كثير: (ولكنّه وإن أمر بمعروفٍ ونهى عن منكرٍ ولا يغفل هذا إلا أنه مذموم عند الله ورسوله والحساب عند الله عسير).

ويقول النبي ﷺ: "مثل العالم الذي يصلح الناس ويعلّم الناس ولا يعمل بما يأمرهم به كمثل السّراج يُضيء للناس ويُحرق نفسه".

والحديث: "مررتُ ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، قُلْتُ: منْ هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء خُطباء أمتك يا محمد من أهل النار ممنّ كانوا يأمرون الناس بالبرّ وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب". والحديث: "إنّ الله يُعافي يوم القيامة الأميين ما لا يُعافي العلماء". والحديث "إنّ الله عزّ وجلّ يغفر للجاهل يوم القيامة عشر سيئات ولا يغفر للعالم إلا سيئةً واحدة". والحديث: "إنّ ناساً من أهل النار يدخلون النار فيطّلع عليهم أهل الجنة فيستغربون فيسألونهم ما الذي أدخلكم النار وأنتم سبب دخولنا في الجنة؟ قالوا: إنا كنّا نقول ولا نفعل، فقال أصحاب الجنة: والله ما دخلنا الجنّة إلا بعلمكم).

فائدة لغوية:

تعريف الصّبر في اللغة: يقول الرّاغب الأصفهاني: (الصبر: الإمساك في ضمير، يقال: صَبَرْتُ الدابة: أي حَبَسْتُها بلا علف. والصبر: حَبْسُ النفسِ على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عمّا يقتضيان حبسها عنه وهو لفظٌ عام وضده الضَجَر والجزَع أي تحمَّلوا من الصبر في الوصول إلى طاعة الله ومرضاته).

سؤال ٣٠:

ما أقسام الصبر وأنواعه؟

١. صبرٌ على طاعة الله.
٢. صبرٌ عن معصية مثل سيدنا يوسف.
٣. صبرٌ على المُصيبة.

أنواع الصبر:

١. صبر جميل: الذي لا شكوى فيه.
٢. وصبر قبيح: يلفُّه التنافُر والتضجُّر.

النعمة العُظمى: الصلاة

المقصود بالصلاة:

١. الصلاة المفروضة + النافلة + التطوع.
٢. الدعاء حتى يكون الخطاب للعامّة.

قدّم الصبر على الصلاة لأنّ العبادة تحتاج إلى صبر (وأْمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) وقد يكون الصبر هو الصيام لأن: جاء في تعريف الصبر هو الإمساك. ولحديث النبي ﷺ: "الصوم نصف الصّبر" وسُمي الصوم صبراً لأن الصوم هو المنع والكفّ والحديث: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنّه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) إذن قد يكون الصبر هو الصوم لأن الصوم يُعين على طاعة الله أيضاً.

والصلاة هي معونةٌ من الله عزّ وجلّ، وهبة، وهديّة، يُفرج بها عن الكرب.

يقول الراغب الأصفهاني: (قال كثير من أهل اللغة: الصّلاة: هي الدعاء والتبريك والتمجيد، صلّت عليهم الملائكة: دَعَت لهم وتزكيتها لهم واستغفراها لهم.

والصلاة: التي هي العبادة المخصوصة أصلها الدعاء، وسُميت هذه العبادة بها كتسمية الشيء باسم بعض ما يتضمنّه، والصلاة من العبادات التي لم تنفّك شريعة منها وإن اختلفت صُورها بحسب شرع فشرْع. وقيل: صلّى الرجل أي أزال عن نفسه بهذه العبادة الصّلاء الذي هو نَار الله الموقدة، (مرّض = لإزالة المرض، صلّى = لإزالة الصّلاء) وكلُّ موضعٍ مدحَ الله تعالى بفعل الصلاة أو حثّ عليه ذُكر بلفظ الإقامة (والمقيمين، أقيمُوا) ولم يقل (المُصلين) إلا في وصف المنافقين ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾...ٱلَّذِينَ﴾ وإنّما خُصّ لفظ الإقامة تنبيهاً أنّ المقصود من مثلها (توفيةُ حقوقها وشرائطها لا الإتيان بهيئتها فقط ولهذا رُويَ أنه المُصّلين كثيرٌ، والمُقيمين لها قليلٌ ﴿لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [سورة المدثر: ٤٣] أي من أتباع النبييّن) والحديث (يا أبا هرّ قمْ فصلِّ فإنَّ الصلاة شفاء). وإنها لكبيرةٌ:

إنّ: حرف توكيد ونصب، ومشبّه بالفعل،

ها: الضمير المتصل له احتمالان:

١. إنّها الاستعانة.
٢. إنّها الصلاة (تخصيصاً).
٣. بل هي الوصيّة (الصلاة + الصبر).

اللام: لام المُزحلقة.

كبيرةٌ: ثقيلة، شديدة، وهي خبر إنّ مرفوع وعلامة رفعه تنوين الضم الظاهر.

التقدير: وإنها كبيرةٌ على العاصين والمنافقين إلا على الخاشعين ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾[النساء:١٤٢]. هذه من صفة المنافقين.

إلاّ: أداة استثناء.

الخاشعين: الخائفين، الخاضعين، المُطأطئين رؤوسهم بين يدي الله، المُتذلّلين في رحاب الله وهذا اسم فاعل يفيد في كلام العرب: لصُوق الصفة

بالموصوف بحيث لا تنفك عنه.. أي دأبهم وصفتهم المستمرّة هي الخشوع في صلاتهم.

قال الراغب الأصفهاني: (الخشوع: الضراعة. وأكثر ما يُستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح، والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب، ولذلك قيل فيما روي "إذا ضَرَع القلب خشعت الجوارح" ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩].

فائدة لغوية:

اللام المُزحلقة: هي نوع من أنواع لام التوكيد، تؤكّد الكلام تدخل على المبتدأ فتسمّى لام الابتداء (للّذي ببكّة، لأنتم أشدُّ رهبةً)، أو على الخبر المقدّم (لعظيمٌ أنت) أو تنتقل إلى الخبر وتتزحلق إلى خبر إنّ (وذلك إذا دخلت إنّ على المبتدأ) فتسمّى اللام المُزحلقة (وإنّ الله لعفوٌ غفور) أو اسم إنّ المتأخر (وإنّ لكم في الأنعام لعبرةً) كما تدخل على قد (ولقد أريناه ءاياتنا) ولعلّ لها حالات وأمثلة أخرى، وتدخل على الاسم والفعل والحرف، وتدخل على الماضي الجامد (لبئس)، كما تدخل على خبر إنْ المُخففة فتسمى الفارقة (إنْ زيدٌ لشجاع)، وإذا دخلت لام التوكيد على الفعل المضارع فإنّه يترتب عليه أن يتصل الفعل بنون التوكيد الثقيلة، أو الخفيفة، ويكون حينها مبنيٌ على الفتح نحو (لأُمنّينّهُمْ). معجم لغة النحو العربي/ أنطوان الدحداح.

﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة:٤٥] هذا الخطاب ليس لبني إسرائيل عموماً بل لعلمائهم إذن هو على وجه الخُصوص، الصبر، والصلاة وإنّ من أهم الأمور التي تُعين على الصلاة هو الصبر.

الخاشعين: الصفة الأصلية لهم هي: [الذين يظنون أنهم مُلاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون]. هذا تعبيرٌ فيه رياقان أو دواءان ناجحان لتحصيل الخشوع في الصلاة.

سؤال ٣١:

ما هما الدّواءان اللذان ذكرهما القرآن لتحصيل الخشوع في الصّلاة؟

١. استشعار مُلاقاة ربّ العباد، وكأنك واقفٌ بين يدي الله.
٢. استشعار الرجوع إلى الله وكأنك الآن ستعود "صلّ صلاة مُودّع".

كما كان أحد الصالحين يقول: أتذكر وأنا أصلي وأتخيّل بأنّي على الصراط، وعن يميني الجنة، وعن يساري النار، وأمامي وجه ربي، وكأنّي أخاطب ربي وأكلّمه سبحانه فأنسى من حولي.

سؤال ٣٢:

علام يدلُّ الفعل (يظنّون) وما الفائدة التي نستقيها من ذلك؟

هو فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون لأنّه من الأفعال الخمسة على وزن يفعلون. نفيدُ منه:

١. أن الظنّ مستمرٌ دائم سرمديٌّ، إذن الخشوع صفة ثابتة قد تزيد أو تنقص عند المؤمن لكنها ثابتة لا تذهب ولا تُمحى ولا تنقضي.

٢. المقارنة والاقتران، أي أنها لا تنفكّ عن صاحبها لأنّه دائم الخشوع ودائم الظنّ أنّ الله معه ناظرٌ إليه، مُطّلعٌ عليه، حافظه وراعية وناصره ومتوليّه ومؤيده.

٣. استحضار الصُّورة: يعتقدون ويوقنون بأنهم مُلاقو ربّهم وأنهم راجعون إليه آيبون مُنقلبون. واضح أنّهم (في صورة ظاهرة واضحة من الخشوع).

سؤال ٣٣:

ما المعنى الذي استعمله القرآن الكريم في كلمة (يظنُّون)؟

الظن: هنا بمعنى الاعتقاد اعتقاداً جازماً، ليس الظنّ بمعنى الشك، بل العلم واليقين والاعتقاد دون أي شكٍ، بدليل الآيات (ورأى المجرمون النار فظنّوا أنهم مواقعوها) أي علموا وأيقنوا.

قال ابن جرير (وهذا شائعٌ كثير في كلام العرب أن تستخدم العرب كلمة الظن ومُشتقاتها بمعنى العلم واليقين والاعتقاد، وشائعٌ أيضاً أن يسمّون الشيء وضدّه). مثلاً: كل مُصيبة يا رسول الله بعدك جَلَلْ والمعنيان صائبان: عظيمة، أو قليلة هّنية. كذلك: الصّارخ والمُغيث.

قال ابن مُجاهد (كلُّ ظنٍّ في القرآن يقين) وهذا تقريباً على وجه الإجمال، لأن المؤمن دائم الخوف والوجل، هو مؤمن يقيناً تاماً بأنه سيرجع إلى الله، يجد نفسه أقل من أن يُقابل الله، ليغلّف هذا الفعل بالخوف.

قال ابن عاشور (وجاء اليقين أو العلم أو الاعتقاد مُغلّفاً بالظنّ دلالةً على شدّة الخوف من الله تعالى).

قال ابن كثير (يقول الله للعبد يوم القيامة في الحديث القدسي: ألم أزوّجك، ألم أكرمك، ألم أسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول بلى يا رب، فيقول الله: أظننت أنك مُلاقيّ؟ فيقول: لا يا رب: فيقول الله: اليوم أنساك كما نسيتني فيُلقى في النار) إذن الظنّ هنا بمعنى الاعتقاد.

سؤال ٣٤:

﴿مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ هل اللقاء حقيقي أم مجازي؟

لاقى: فاعَلَ. ألف المُفاعلة أو المشاركة من الفعل لَقِيَ والأصل ملاقون جمع مذكر سالم خبر أنّ مرفوع وعلامة رفعه الواو وحذفت النون للإضافة إلى كلمة ربّهم واللقاء هنا مجازيٌّ لا على وجه الحقيقة لأنّ الله عزّ وجلّ لا تُدركه الأبصار وهو يُدرك الأبصار: أي ملاقو ربهم للحساب والحشر على وجه الإجمال. وهذا لا يتناقض مع ما ذكرناه سابقاً أننا سنلقى الله يوم القيامة. ويقول الحبيب ﷺ: "ما منكم إلا وسيرى ربه ليس بينه وبينه حجاب لا تُضامُّون في رؤيته) أي: لا تزدحمون (أي لا يتدافعون بالنظر إليه) (اليوم أُحلّ عليكم رضواني فلا أسخط أبداً فيرفع الحجاب بينهم وبينه سبحانه) ليست رؤيا كاملة والله أعلم. والرؤيا تتمُّ على وجه التكريم لعباده فهي محدودة ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة:٢٣]

سؤال ٣٥:

ما الفائدة من اختيار لفظ (ربّهم) ولم يقل (ملاقو الله)؟

لأن كلمة (ربهم) فيها حُنو وعطف ورعاية وتربية وأمن وأنس وعناية، سيدّهم، وليُّ أمرهم خالقهم، رحيمهم، فكلمة مُلاقو فيها خوف، وفزع، وترهيب، كأنهم خافوا، ثم شعروا بالأمن لأنه جاءت بعدها لفظة (ربهم) فيها حنان وترغيب وطمأنينة وسكينة وهدوء فكأنه أبتع الترهيب بالترغيب ليعدل بين الإحساسَيْن.

ثمّ قال (إليه) ولم يقل (إلى ربّهم) وكأنّهم عاشوا القاء ثمّ رجعوا، ثم جاءت (راجعون) قد يكون اللقاء بعده رجْعة، وقد تكون رجعة أبديّة إمّا في نار أو في جنّة.

سؤال ٣٦:

ما علاقة هذا ببني إسرائيل؟

ذلك لأنّهم كانوا يعانون من:

١. عدم الشُّعور بلذة القرب من الله.

٢. عدم الشُّعور بحلاوة العبادة والتعبُّد.
٣. عدم الشُّعور بأنس الخشوع.
٤. عدم الشُّعور بأنس اللقاء.
٥. عدم الشُّعور بحلاوة المناجاة والخشوع.

وهذه هي أكبر العقوبات على العبد أن يحرمه الله لذّة مناجاته وحلاوة التعبُّد والتذلُّل والتقرُّب من سبحانه والأنس بلقاءه جلّ وعلا.

فضَّلْتُكُم: التفضيل قد يكون عام، أو تفضيل مُتنوّع من المزايا والخصائص، وهنا المقصود التفضيل الثاني وهو بخصائص ومزايا ليس تفضيل عام، وهذه الخصائص هي:

١. إنزال الكتاب.
٢. إرسال الرسل.
٣. جعل منهم مُلوكاً.
٤. منهم أكثر البشريّة رسلاً وملوكاً: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المائدة:٢٠].
٥. آتاهم ما لم يؤتِ أحداً من العالمين.

العالمين: جمع عالَمْ.. والمقصود فيها جميع العوالم (الإنس + الجنّ) كل العوالم.

قال ابن كثيرٍ: (يجب أن نحمل هذا التفضيل على التقييد لا على العموم لأنَّ أمة محمد ﷺ هي أفضلُ الأمم على الإجماع بدليل قول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾ [آل عمران:١١٠].

﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ ﴾ [البقرة:٤٨]

هذه الآية الكريمة جاءت في سياق الحديث عن بني إسرائيل، وسبقها اذكروا نعمتي وسبقها التفضيل. وجاء التحذير بعد التذكير في القرآن الكريم لبني إسرائيل. وجاء التفضيل بنوعٍ خاص من النعم لا على وجه العُموم.

فائدة تربوية:

من صفات المُربي النّاجح [أنه يذكر النّعمة بشكل عام ثمّ يحذّر].

كان التفضيل لبني إسرائيل خاص، لأنه قد ينشأ عندهم غرور يظنّون أنّهم الشّعب المُتفرّد بالمنّة، والشعب المُختار، [أنهم مخلوقون من نطفة ابن آدم، أمّا باقي البشر مخلوقون من نطفة حمار] أنهم هذا قولهم... حتى لا يتوهّموا أن التفضيل ذاتي لهم، قالوا أن التفضيل بالعمل الصّالح لا يضرّهم، فالعبرة بالأعمال بخواتيمها لا تغرنكم الظواهر.

اتقوا: احذروا، خافوا، أتقّيتُ النار: ابتعدت عنها.

أي اتقوا ما في هذا اليوم من الأهوال والعذاب. ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾.

يوماً: جاءت نكرة:

١. لو حُدّد اليوم على المدة الزمنية المعروفة لتقاعس البشر.
٢. دلالة على التعظيم والتخويف يوماً مهولاً مُخيفاً مفزعاً.

لا تجزي: لا تُغني، لا تنفع.

نفسٌ: نكرة. لتشمل كل نفس، أصناف النفوس بأجمعها، الغني والفقير والحاكم والمحكوم والبر والفاجر، جميع النفوس، جميع منْ خلقه الله.

فيه: محذوفة، حرف جر محذوف، أي في هذا اليوم.والتقدير (لا تجزي فيه نفسٌ عن نفسٍ شيئاً).

عن نفسٍ: لأن النفوس كلها هناك سواء أمام رب السّماء.

وهنا جاءت مُنكرة كيف كانت، وأنّى كانت، وأينما كانت، ومهما كانت. ظنّ أهل الشرك أن الأنداد والنظراء والشركاء والكبراء والآلهة قد ينفعونهم لكنّ الآية تدل (ولا يُقبل منها شفاعة) جاء الفعل مبني للمجهول لأن نائب الفاعل مجهول، كأنّ الله يقول أنّى كان الفاعل فالباب مُغلق.

لا يُقبلُ: لا نافية نفي مطلق – يُقبلُ: مضارع مبني للمجهول بضم أوّله وفتح ما قبل آخره.

منها: من: حرف جر. ها: ضمير متصل في محل جر بحرف الجر يعود الضمير على النفس الثانية (نفسٍ).

سؤال ٣٧:

بمَنْ تكون الشفاعة؟

١. تكون بصاحب النُّفوذ.
٢. تكون بالمال.
٣. تكون بالعشيرة. وهذه الثلاثة زائلة عنّا يوم القيامة ومُنتفية.

سؤال ٣٨:

ما معنى الشفاعة؟

واسطة.. أي السعي بوساطة لحصول نفع أو ضر، لأن الطالب أو التائب أو السجين يأتي مع شخصٍ ثانٍ، ليس لوحده، لذلك الشفع كانت ركعتين.

قال الرّاغب الأصفهاني: (الشفْع: ضمُّ الشيء إلى مثله. الشفاعة: الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً منه، وأكثر ما يُستعمل في انضمام من هو أعلى منه مرتبة وحُرمة إلى من هو أدنى، ومنه الشفاعة يوم القيامة). أ. هـ.

سؤال ٣٩:

ما الفرق بين الآيتين ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ (٤٨) والآية: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ (١٢٣)؟

الأولى: ولا يُقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل.

الثانية: ولا يُؤخذ منها عدل ولا تنفعها شفاعة.

إذن بالموضع الأول:

١. تقدّمت الشفاعة على العدل.
٢. وصفت الشفاعة بعدم القبول.

إذن فالشفاعة تُقبل ولا تؤخذ، والمال يُؤخذ ولا يُقبل.

أمّا بالموضع الثاني:

١. تقدّم العدل على الشفاعة.
٢. وصفتْ الشفاعة بعدم النّفع.

يُنصرون: مبني للمجهول.

ولا: لا نافية. أي مهما بلغ المال فإنّ الأمل مُنقطع وهذا مُطلقاً لا نصراً أبداً ولا أمل مُطلقاً.

وإذْ: حرف مبني على السكون لا محلّ له من الإعراب. هو أداة ظرفيّة تأتي:

١. ظرف زمان في محل نصب، مُضافاً للجملتين الأسميّة والفعليّة. يُضاف غالباً للماضي وقد يُضاف للمضارع.
٢. مُضاف إلى ظرف زمان.
٣. مفعول به. حسب موقعه من الجُملة. هنا تُفيد بتذكير الماضي. التقدير واذكروا حين.

نجيّناكم: جاء التخدير بعد التذكير. جامعٌ مانعٌ شاملٌ كامل، فيه كل أصناف التخدير ويذكرهم بعد ذلك بأول نعمة أنجيناكم من آل فرعون بعد ذلّتهم، وعبوديّتهم.

الكاف: للخطاب. الميم للجمع. تُذكرهم بالنعمة على آباءهم وأجدادهم لأنّ نجاة الجدّ تعني نجاة الولد، تُخاطبهم بنجاة أجدادهم من آل فرعون لأن السورة مدنيّة تُخاطب بني إسرائيل الذين هم بعهد النبي ﷺ فهي منَّة على السّلف ومنَّة على الخلف.

آل: فيها إعلالان: الأصل أهْل قُلبت الهاء إلى همزة تخفيفاً فصارتْ ءَءْل لفظها صعب جداً ووقعتْ واجتمعتْ همزتيْ قطع محققتين بنفس الكلمة وهذا قليل الورود جداً في القرآن واللغة، فقام العرب بإبدال الهمزة الثانية الساكنة بحرفِ مدّ مُجانس لحركة الهمزة الأولى. فالأولى مفتوحة أبدل الثانية ألفاً من جنس الفتحة (أُمّها) لأنّ الحروف أُمّهات الحركات، والحركات بناتُ الحروف فصار اللفظ (ءَال).

آل المرء: الأقارب والعشيرة وأهل الإنسان وأتباعه. وإذا قُصد آل فلان: أي أهل الشرّف والمنزلة الرّفيعة منهم.

قال الراغب الأصفهاني: (مقلوبٌ عن الأهل ويُصغّر على أُهيل، إلا أنه خُصّ بالإضافة إلى أعلام الناطقين دون النكرات، ودون الأزمنة والأمكنة،

ويُضاف إلى الأشرف الأفضل (أهل الله، آل السلطان). ويُستعمل فيمن يختصُّ بالإنسان اختصاصاً ذاتياً إمّا بقرابةٍ قريبةٍ أو بموالاة. وآل النبي: أقاربه.

سؤال ٤٠:

الظلم كان من فرعون لماذا جاء السيّاق (نجيناكم من آل فرعون)؟

١. لأن آل تعني (جنوده ورجاله وحاشيته) فهم على قولهم (عبادٌ مأمورن بالتعذيب) فمُشاركة الظالم ظلم بعينه لذلك شاركه بالعقاب.

٢. إنّهم لا يُنفّذون الأوامر فحسب بل تجاوزوها، وتجاوزوا الحدّ المأمور به بالتعذيب لبني إسرائيل فجاء التعبير بآل فرعون حتى يُرضون فرعون كبيرهم بالغوا بالتعذيب (فعلنا مثل ما قلتَ لنا وأمرتنا به وأكثر حتى ترضى وهذا ليعبّروا عن إخلاصهم له.

سؤال ٤١:

كيف توازن بين تفضيل بني إسرائيل في البقرة وبين الفهم في مواضع أخرى بالقرآن كالمائدة؟

قال سيّدٌ: تفضيلُ بني إسرائيل على العالمين موقوفٌ بزمان استخلافهم واختيارهم، فأمّا بعد ما عتوا عن أمر ربهم وعصوْا أنبياءهم وجحدوا نعمة الله عليهم، وتخلوا عن التزاماتهم وعهدهم، فقد أعلن الله حُكمه عليهم باللعنة والغضب والذلّة والمسكنة، وقضى عليهم بالتّشريد، وحقّ عليهم الوعيد.

سؤال ٤٢:

﴿لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ [البقرة:٤٨] كيف يرى سيدٌ أنّها قيمة إنسانيّة كرّمنا الإسلام بها؟

قال سيدٌ: فالتبعة فرديّة، والحساب شخصي، وكل نفس مسؤولة عن نفسها، ولا تُغني نفسٌ عن نفسٍ شيئاً. وهذا هو المبدأ الإسلامي العظيم [مبدأ التّبعة الفرديّة] القائم على:

١. الإرادة.
٢. التمييز من الإنسان.
٣. العدل المُطلق من الله.
٤. هو أقوم المبادئ، وذلك للأسباب:
أ- يُشعر الإنسان بكرامته.
ب- يستجيشُ اليقظة الدائمة في ضميره.

ج- والضمير والكرامة كلاهما عامل من عوامل التربية.

د- هو قيمة إنسانيّة تُضاف إلى رصيد الإنسان من القيم التي يُكرّمه بها الإسلام.

سؤال ٤٣:

كيف يُلقي القرآن الراحةَ والطمأنينةَ في حسّ كلّ منْ يُصادف شدّة وضيقاً؟

١. إصابة العبد بالشدة هي امتحانٌ وبلاء، واختبار وفتنة.
٢. الذي يفيقُ ويستيقظ لهذه الحقيقة يفيد من الشدّة، ويعتبر بالبلاء ويكسب من ورائهما.
٣. الألم يهون على النفس حين تدخّر ما في التجربة المؤلمة من زادٍ للدنيا بالخبرة والمعرفة والصبر والاحتمال.
٤. ومن زادٍ للآخرة باحتسابها عند الله.
٥. وبالتضرُّع لله: وبانتظار الفرج من عنده وعدم اليأس من رحمته. فتعذيب بني إسرائيل كان فيه بلاءٌ من ربّهم عظيم لو أحسنوا الانتفاع به.

فائدة إيمانية:

١. أنّ المُحاسبة تكون بشكل فردي في هذا الدّين، والتّبعة فردية، لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً لن ينفعها حسبٌ ولا نسب ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠١].

٢. هذا العبد الذي شعر بالهلاك (وهي النفس الثانية) لجأتْ أولاً إلا الملاينة مع الأطراف المعنيّة بالفدية والمال. ثم إلى أسلوب آخر قد يكون المُخاشنة كما يُعبّرون عنها. لكن كل هذه الأمور مُنتفية عن الناس يوم القيامة (ولو أنّ للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه..) وموضع آخر ﴿مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ﴾[آل عمران: ٩١] لن ينفع إلا العمل الصالح.

لطيفة لغويّة:

معنى ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾: يُعذبّونكم، يُذيقونكم.

قال سيّدٌ: يُدِيمون عذابكم، سام الماشية أي جعلها سائمةً ترعى دائماً وكأنّ العذاب كان هو الغذاء الدائم الذي يُطعمونهم إيّاه، ثمّ يذكر لوناً من هذا العذاب هو تذبيح الذكور واستيحاء الإناث، كي يضعف ساعِد بني إسرائيل وتثقُل تبعاتُهم).

قال الراغب الأصفهاني (السّوْم: أصلة الذّهاب في ابتغاء الشيء، فهو لفظٌ لمعنىً مركّب من الذّهاب + الابتغاء، وأُجري مجرى الذّهاب في قولهم: سامتِ الإبلُ فهي سائمة ذاهبة لتطلب المرعى والكلأ، ومنه قيل: سيم فلانٌ الخسفَ: أي يُسام الخسف). سَامَهُ: أذلّهُ واحتقره.

إذن تدور معانيه: حول الذّهاب والاحتقار والإذلال.

الكاف: للخطاب.

الميم: للجماعة. وكأنّ الواقع الاقتصادي والاجتماعي لنبي إسرائيل في غاية السُّوء والضنك والعذاب، والجمع إشارة إلى أنّ كل بني إسرايل كانوا تحت العذاب أكيد يوجد فئة تنزلّف للطواغيت وتُدلّس لهم وتُمسّح جوخ لهم لكنّ الحديث عن الأغلبية.

يستحيّون: يبقونهم أحياءَ للخدمة كالعبيد.

يسوموا: فعل مضارع يُفيد التشخيص. وفي ذلكم بلاء: واو الحال، الجال أنّ هذا ابتلاء لكم من الله عز وجل لبني إسرائيل.

سوء: أشدّ العذاب وأفظعه.

ومن هذا العذاب جعلهم سَخَرةً وخدماً، من التسخير ﴿عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ الشعراء:٢٢]. ومنهم من قال: كان بني إسرائيل يتعرّضون لخمس وجبات تعذيب باليوم، ومنهم من قال: بل هي ثلاث وجبات تعذيب كل يوم تُسلّط على بني إسرائيل.

سؤال ٤٤:

وردت في سورة الأعراف (يُقتِّلون) ومواضع أخرى (يُذبِّحون) ما الفرق بين القتل والذّبح ولماذا استخدم القرآن الكريم اللفظين؟

قال الراغب الأصفهاني: (أصل الذبح: شقُّ الحَلْق. يُذبحون أبناءكم، على التكثير، أي يذبح بعضُهم أثَرَ بعض، وأصل القتل: إزالة الروح عن الجسد كالموت، لكن إذا اعتبر بفعل المُتولّي لذلك يقال قتلٌ. وإذا اعتبر بفَوْت الحياة يُقال مَوْتٌ).

إذن: يستخلص الفرق أن القتل أسهل من الذّبح. واستخدم اللفظين إشارة إلى تعدُّد وصور الإيذاء، مرة يُذبحونهم بالمُدَى (السكين) ذبح الخراف ومرة يقتلونهم بالسّهام والرّماح. وجاءت يُذبّحون بالتثقيل للمبالغة في التّبشيع والتمثيل أكثر من يَذْبَحون.

سؤال ٤٥:

لماذا حرص فرعون على إبقاء النساء أحياءً؟

١. للخدمة.
٢. تعذيب نفسي.
٣. تحقيق مقاصد اجتماعية فاسدة.
٤. فساد اجتماعي أخلاقي فيزيد الواقع خراباً: فتن، فساد، وتخريب بالمجتمع.

الآية ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ...﴾ هذه المعجزة أخّر ذكرها وقدّم نعمة تنجيتهم من آل فرعون لأنّها النعمة الأعمّ، النعمة الحقيقيّة.

إذْ: ظرف زمان يُمثّل المشهد الماضي (حين أو وقتٍ).

فرقْنا: الفرْق: الفصل بين أجزاءٍ متصلة ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أصبح كل فرقٍ جبال وطرقات أي انحسر ماء البحر إلى جهة واحدة وأصبح شطرانٍ، شطرٌ فيه ماء، وشطرٌ فيه طرق وجبال.

نا: نون العظمة لم يقل فُرِقَ بل فَرَقنا.

بكم: حرف الباء يُفيد:

١. السببّية، يا بني إسرائيل لأجلكم أنا الله وبسببكم أنا الله جعلتُ البحر يبساً.

٢. المُلابسة: أي فرقنا بكم البحر وهو مُلابسٌ لكم، كلما مشوا رأوا أماهم يبساً أي ملازم لهم ومُلابس لهم.

فأنجيناكم: أي إنّ فَرْقَنا البحرَ ليس كافياً لنجاتكم: وإنّما لأنّ الله هو الذي أنجاكم.

سؤال ٤٦:

كيف يرى سيدٌ معنى الآية ﴿فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾؟

قال سيّدٌ: أي لتقتل الطائعُ منكم العاصي، ليطهّره ويطهر نفسه، هكذا وردت الروايات، وإنّهُ لتكليفٌ مُرهقٌ شاق، أن يقتل الأخ أخاه، ولكنه كذلك كان تربيةً لتلك الطبيعة المُنهارة الخوّارة التي لا تتماسك عن شر، ولا تتناهى عن نكر، ولو تناهوا عن المنكر في غيبة نبيّهم ما عبدوا العجل، وإذ لم يتناهوا بالكلام فليتناهوا بالحُسام، وليؤدُّوا الضّريبة الفادحة الثقيلة التي تنفعهم وتُربيهم.

سؤال ٤٧:

كيف وصفت الآيات طبيعة بني إسرائيل؟

١. كثافة حسّ.
٢. ماديّة فكر.
٣. احتجاباً عن مسارب الغيب.
٤. الحسّ الماديّ الغليظ هو وحده طريقهم إلى المعرفة.
٥. التعنُّت والمُعاجزة.
٦. طبيعة جاسية لا تؤمن إلا بالمحسوس.
٧. تظلُّ تُجادل تُماطِل ولا تستجيب إلا تحت وقع العذاب والتنكيل.
٨. فترة الإذلال التي قضوْها تحت إذلال وحكم فرعون الطاغية أفسدتْ فطرتهم إفساداً عميقاً. وليس أشدُّ إفساداً للفطرة من الذل الذي يُنشئه الطغيان الطويل والذي يُحطم فضائل النفس البشريّة.
٩. استخذاء تحت سوط الجلاد، وتمُرداً حين يُرفع عنها السوط.
١٠. تبطُّراً حين يُتاح لها شيء من النعمة والقوة. وهكذا كانت إسرائيل.. وهي هي.. وهكذا هي في كل حين..

﴿وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ ﴾ [البقرة:٥٣]:

الكتابَ: التوراة.

الفرقان: التوراة أيضاً، فيها فرقان بين الحق والباطل.

سؤال ٤٨:

ذكر في سورة الأعراف "ثلاثين ليلة" وأتممناها بعشرٍ، وهنا بالبقرة قال: "أربعين ليلة" ما سرُّ المُغايرة بين السورتين؟

١. الأعراف سورة مكية بينما البقرة سورة مدنية.
٢. الأعراف أسبق نزولاً فذكر فيها التفصيل، أمّا البقرة فذكرت القصة بالإجمال.
٣. هناك رأي أنها قد تكون من العشريّات التي فيها الخير الكثير. فالعشر كلها خير، وتُعطى الأيام الخاصّة في هذه الأيام العشر الأخيرة. أي أنها كانت عشراً تختلف عن باقي الثلاثين من حيث الهبات والعطايا.

إذن: هي لقطة ومشهد من الماضي، عبارة عن مفتاح سحري يُعطينا لقطة جميلة من الماضي.

وإذْ: كما سبق تعريفها، أداة ظرفية، هنا بمعنى حينَ أو وقت واعدنا.

واعدنا: ألف المفاعلة أو المشاركة. أكل – آكل، وعد – واعد.

إذن هي وعدٌ واتفاقية بين طرفين تشتمل على ثلاثة عناصر:

١. صاحب الوعد وهو الله سبحانه.
٢. الموعود وهو موسى عليه السلام.
٣. الوعد وهو اللقاء.

ويُلاحظ بأنّ الوعد فيه شيء من الرحمة والمنّة والعطف، فكان محمد ﷺ على موعدٍ مع ربّه في المعراج. والآية (ربنا ءاتنا ما وعدتنا) (إنك لا تُخلف الميعاد) إذن هي مواعدة بين الرب والمربوب، بين الخالق والمخلوق، بين الله وكليمه موسى عليه السلام. وأن قصة موسى من أكثر القصص وروداً في المصحف. وجاءتْ بالتفصيل من جهة في الأعراف فسُميت السورة أخت الطويلتين [البقرة والنساء]، وجاءت سورة طه بالتفصيل من جهة أخرى في حياة موسى فسُميت بسورة الكليم. وجاءت ذكر قصة موسى في الشعراء فسُميّت بالسُّورة الجامعة.

سؤال ٤٩:

كيف كان تفاعل سيّدنا موسى عليه السلام مع لقاء الله وما هي ردّة فعله كما يُلاحظ من سياق الآيات؟

أنِسَ والتذَّ بخطاب الله (أنا الله) وفي موضع (إنّي أنا ربك) وبدأ الحوار وسؤال من الله وجواب من موسى عليه السلام ذاق طعم القُرب والأنس، قال هي عصاي. ولم يكتف بالإجابة على قدر السؤال بل شرح بالتفصيل (أتوكأ، وأهشّ، ولي فيها..) ولم يطلب منه الله ذلك، وكأنّ موسى يطمع أن يسأله الله: ما هي هذه المآرب. وذلك لأمله أن يطول الحوار ويطول بينه وبين ربّه، والله أدرى بها وأعلم. وأضاف موسى كلمة (هي) ألا يكفي (عصاي) هذا كلّه زيادة في إطالة الخطاب لشعوره بالراحة والطمأنينة والسّكينة. بل طلب أكثر من ذلك (رب أرني انظر إليك) قال (لن تراني)... وخرّ موسى مغشيّاً عليه صعقاً ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣].

واعدنا: نا: (نا) الفاعل. هي دالة على الجماعة: لكن الفاعل هنا هو ربُّ العزّة سبحانه دلالة على الرحمة، والمنّة، والعطيّة، وهذه نا العظمة.

ليلةً: تشمل الليل والنهار، أي يوماً كاملاً، الليل مأوى الخُلّان والتقاء الأحباب والأصدقاء والأُنس والقرب من الله.

ثمّ: تُفيد التّراخي الرُّتْبي.

اتخذتم: تعظيم وتبشيع وتشنيع موقف بني إسرائيل في غياب بنيهم عنهم، فبعد كل هذه النعم اتخذتم من بعده العجل وقمتم بعبادته من دون الله بعد أن عرفتم ربكم، (فعل + فاعل) تُ: ضمير متصل في محل رفع فاعل. الميم: للجمع أي مُعظمكم.

من بعده: من: ابتدائيّة، أي من أوّل خروجه من عندكم اتخذتم العجل وكأنّه لم يُصدّقوا مغادرته إيّاهم بشكلٍ سريع حتى اتخذوا العجل.

ثمّ عفونا: ثمّ: تفيد تراخي زمني. أي جاء العفو ليس بعد اتخاذ العجل مباشرةً بل هناك فترة زمنيّة بينهما.

وأنتظم ظالمون : الواو: واو الحال، أي كان حالكم عند اتخاذكم العجل أنكم ظالمون لأنفسكم لأنكم حوّلتموها إلى الكفر بعد الإيمان.

لعلّكم تشكرون : لعلّ حرف تَرَجٍّ ونصب.

وإذ آيتنا: سبق ذكر معنى إذْ وإعرابها ظرف زمان على الجملة.

الكتابَ: التوراة. أل التعريف تفيد العهد، أي الكتاب المعهود وهو التوراة.

والفرقان: ورد فيها عدّة معانٍ تُفصّل بالسؤال القادم بإذن الله.

سؤال ٥٠:

ما هي المعاني التي وردت في تفسير كلمة "الفرقان" الذي أُنزل على سيدنا موسى عليه السلام؟

١. التوراة (أنّ الفرقان صفة للتوراة بأنّها فارقة بين الحقّ والباطل).
٢. الشريعة (أي الأحكام الشرعيّة والشّرائع الموجودة بالتوراة).
٣. المعجزات الظاهرات التي أجراها الله سبحانه على يدي موسى عليه السلام.
٤. الحُجّة البالغة.
٥. النصر (وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان).
٦. الاختراق (أي انفلاق البحر إلى فُرقَيْنِ). والرّاجح من هذه الأقوال الستّة والله أعلم أن الفرقان هو المعجزات الظّاهرات.

سؤال ٥١:

هل كان اتخاذ العجل قبل عودة موسى إليهم أم بعدما عاد من لقاء الله ومعه الألواح؟

لا بل كان قبل، لأن كما يدلّ سياق الآيات في خطاب الله (وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثري وعجلتُ إليك رب لترضَى، قال فإنّا قد فتنّا قومك من بعدك وأضلّهم السّامري.. فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً) إذن أخبره الله بضلالهم. ورجع وأخذ برأس أخيه يجرُّه إليه لماذا لم تمنعهم. وألقى الألواح التي كانت بيده من عند الله. وأصبح يُخاطبهم: ﴿أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾ [طه:٨٦] وبدأ الحوار بينه وبين قومه، والخطاب مع السامريّ وهذا مفصّل في سورة طه.

باتّخاذكم: الباء: سببيّة، أي تمّ ظلم أنفسكم بسبب اتخاذكم العجل.

بارئكم: أي خالقكم على أحسن هيئة وأفضل شكلٍ، وقد سبق التفريق الواضح بين خَلَق وبرأ. قبل صفحات قليلة من هذا الربع.

فاقتلوا أنفسكم: أمرهم سيّدنا موسى عليه السلام أن يقتلوا أنفسهم. ولكن كيف كان هذا. في السؤال القادم يأتي التفصيل.

سؤال ٥٢:

هل القتل هُنا حقيقي أم مجازي؟

الراجح عند أهلا العلم أنّه قتل حقيقي. لأنّ بعض المفسّرين قالوا: قد يكون مجازي مثلاً (قد يكون ذل، قهر، تعذيب، أشغال شاقة) لكنّ الرّاجح أنه حقيقي.

سؤال ٥٣:

ما معنى ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾؟

هناك آراء في تفسيرها:

١. أن يقتل من لم يعبد العجل منْ عبده. أي: يقتل الطائع منهم العاصي.
٢. أنّ موسى طلب منهم أن يجتمعوا في مكانٍ واحد ثمّ ألقى الله عزّ وجلّ عليهم الظلمة ثم أخذ يقتل بعضهم بعضاً.
٣. أن يقتل كل منهم نفسه.

والرّاجح هو الرأي الثالث والله أعلم. هو أن يقتل كلٌ منهم نفسه، وكلٌ منهم صحيح. لأن النفس هنا قد تكون الذات، وقد تكون الطّرف الآخر. فالآيات ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ الحجرات، والآية ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾المائدة، والآية ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾النور، قد يدع غيره يقتله أو قد يقتل نفسه والله أعلم.

ذلكم خيرٌ لكم : ذلكَ: اسم إشارة للمذكر البعيد، هنا جاء للجمع لأنّه أتصل بميم الجمع، يكون للعاقل وغير العاقل، مبني على الضمَّ هنا لاتصاله بميم الجمع، وهو مركب من (اسم الإشارة ذا + لام البُعد + كاف الخطاب + ميم الجمع) خيرٌ: أي تطهيرٌ لأنفسكم. لأن الحدود إذا أقيمتْ في الدّنيا واصطحب معها التوبة جَبَرَتْ عقوبة الآخرة. لذلك جاءتْ الخيرية (خيرٌ لكم).

الرُّبع الرَّابع

﴿۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [البقرة: ٦٠]

- معاني الكلمات.
- الشرح والتفسير والبيان.
- ثلاثة وعشرون سؤالاً.
- لطائف لغوية وفوائد قرآنية.
- مصر.. و.. مصراً.
- اختارها لحكمة.
- الجدل مفتاح الشرور.
- خطأ آخر جسيمٌ من الأخطاء التي ارتكبها بنو إسرائيل.
- الجبل.. و.. الطور.
- كاد في القرآن.

الربع الرابع

لطائف لغوّية:

يقول الرّاغب الأصفهاني: (التوْب: ترك الذّنب على أجمل الوجوه وهو أبلغ وجوه الاعتذار.

أوجه الاعتذار:

١. إما أن يقول المُعتذر لم أفعل.
٢. أو أن يقول المُعتذر فعلتُ لأجل كذا.
٣. أو أن يقول فعلتُ وأسأتُ وأقلعت.

التّوبة في الشّرع:

١. ترك الذنب لقُبحِهِ.
٢. والنّدم على ما فّرط.
٣. والعزيمة على ترك المعاودة.
٤. وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة.

فمن اجتمعت هذه الأربع عنده في وقت ما، فقد كمَلَ شروط أو شرائط التوبة.

تابَ إلى الله أو **توُبُوا** : تذكّروا ما يقتضي الإنابة إليه والرُّجوع والعودة إليه سبحانه.

ويوصف العبد بكثرة التوبة، وذلك بتركه كلَّ وقتٍ بعض الذنوب على الترتيب حتى يصير تاركاً لجميعه.

التوَّاب:الله: لكثرة قبوله توبة عباده حالاً بعد حال. ولا يملُّ الله من كثرة توبته على عباده.

التّوبة التّامُة: هي الجمعُ بين ترك القبيح وتَحرِّي الجميل). أ. هـ.

معاني الكلمات

الغمام: السّحاب والمطر.

المنّ: من أنواع الحلويات.

السّلوى: طائر السُّماني.

القريةَ: فلسطين.

سُجّداً: علامة التّواضع والخشوع.

حطّةٌ: حطّ عنّا ذنوبنا واغفر لنا ماضينا.

قولاً غير الذي قيل لهم: غير الذي أمرهم الله به.

يفسُقون: الفسوق المُخالفة والخروج.

استسقى: طلب السُّقيا من ربّه.

باءوا: عادوا. رجعوا به مُستحقين له.

والذين هادوا: لها معنيان:

- عادوا إلى الله.
- أبناء يهوذا.

والنصّارى: أتباع عيسى.

لا فارض: ليست عجوزاً.

ولا بكرٌ: ليست شابّة.

جهرةً: الظُهور الواضح.

عوانٌ: وسط بين هذين الوصفين.

فاقعٌ: فيه الْتماع شديد الصُّفرة.

تسرُّ النّاظرين: لا هزيلة ولا شوهاء (فارهة)

تشابه علينا: مُشكل علينا (يعتذرون عن لجاجتهم وتلكُّئِهم).

لا **ذلولٌ**: غير مُذللة ولا مُدرّبة.

الحرث: الزّرع.

مُسلّمةٌ: خالصة اللون لا تشوبها شائبة.

لا شية فيها: لا علامة فيها.

فادارأتم فيها: كلٌ منكم يدرأ التّهمة عن نفسه.

قست **قلوبكم**: أصبحت جاسية مُجدبة كافرة.

والصّابئين: لها معنيان تأتي بالتفسير والبيان إن شاء الله.

يهبط من خشية الله: يندكّ دكاً.

هزُوَاً: هازئاً بنا. الأصل فيها هزؤاً، ولكن أُبدلت الهمزة واواً من جنس ما قبلها.

التفسير والشرح والبيان

قال سيّدٌ: تذكر الرّوايات أنّ الله ساق لهم الغمام يُظلّلهُم من الهاجرة، والصّحراء بغير مطر ولا سحب. وهي بالمطر والسّحاب رخيّة نديّة تصحّ فيها الأجسام والأرواح، وتذكر الروايات أنّ الله سخّر لهم (المنّ) يجدونه على الأشجار حلواً كالعسل، وسخّر لهم (السّلوى) وهو طائر السُّماني يجدونه بوفرة قريب المنال. وبهذا توافر لهم الطعام الجيد، والمقام المُريح، وأحّلت لهم هذه الطّيبات وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون).

وتذكر بعض الروايات أن القرية المقصودة هنا (ادخلوا هذه القرية) هي بيت المقدس، ويُخرجوا منها العمالقة الذين كانوا يسكنونها. قالوا بشأنها لنبيّهم ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] ومن ثم كتب الله عليهم التّيه أربعين سنة حتى نشأ جيل جديد بقيادة يوشع بن نون فتح المدينة ودخلها، فبدلاً أن يدخلوها سجّداً تواضعاً لله كما أمرهم الله ويقولوا حِطة، دخلوها على غير الهيئة التي أمروا بها وقالوا قولاً آخر غير الذي أمرهم الله به).

سؤال ١:

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا﴾ [الأعراف:١٦٢] لماذا خصّ الذين ظلموا منهم بالذكر؟

١. إمّا لأنهم كان فريقاً منهم هو الذي بدّل وظلم.
٢. وإمّا لتقرير وصف الظلم لهم جميعاً، وإن كان قد وقع من بعضهم.

قال سيّدٌ: وكما يسّر الله لبني إسرائيل الطعام في الصحراء والظلّ في المهاجرة، كذلك أفاض عليهم الريّ بخارقة من الخوارق الكثيرة التي أجراها الله على يدي نبيّه موسى عليه السلام والقرآن يُذكرهم وكيف كان مسلكهم بعد الإفضال والإنعام، حيث انفجرت بعصا موسى (١٢) عيناً بعدد أسباط بني إسرائيل، وهم أحفاد يعقوب، وهم الأسباط، وهم رؤوس قبائل بني إسرائيل وعددهم (١٢) قبيلة وقد ورد ذكرهم مكرّراً في القرآن).

مصرَ.. و .. مصراً

يقول الدكتور صلاح الخالدي: مصر: هي القطر المعروف، وردت كلمة "مِصْرَ" الممنوعة من الصرف أرعب مرات في القرآن: موضَعْي يوسف، وموضع يونس، وموضع الزخرف.. والمُراد به هنا القطر المعروف، الذي يجري فيه نهر النيل، وعاصمته القاهرة. وهي مُعرَّفة..

أمّا كلمة "مِصْراً" فقد وردتْ في القرآن مرةً واحدةً ف يالبقرة "اهبطوا مصراً" هي نكرة تنطبق على أي قطر.. وهنا جاءت مصروفة..

ومعنى مصر في اللغة: هو القطر أو المدينة أو القرية.. قال الراغب الأصفهاني: المِصرُ: اسمٌ لكل بلدٍ محصور، أي: محدود.. والمِصْر هو الحدّ..

وتنوين "مصراً" هو تنوين "التنكير": وهو التنوين الذي يلحق النكرة تمييزاً لها عن المعرفة.. وتنوينها هذا يدلُّ على عُمومها..

سؤال ٢:

﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرًا﴾ لها معنيان فما هما؟

١. إمّا بمعنى أنّ ما يطلبونه هيّنٌ زهيد، لا يستحقُّ الدُّعاء، فهو موفور في أي مصرٍ من الأمصار فاهبطوا أيّة مدنية فإنكم واجدوه فيها.
٢. وإمّا بمعنى عودوا إذن إلى مصر التي أُخرجتهم منها، وعودوا إلى حياتكم الدّارجة المألوفة إلى حياتكم الخانعة الذليلة حيث تجدون العدس

والبصل والثوم والقثاء، ودعوا الأمور الكبيرة التي ندبتُم لها. ويكون هذا تأنيباً لهم وتوبيخاً من موسى عليه السلام، والرّاجح هو الرأي الثاني، بسبب ما أعقبه في السياق أنه ضُربتْ عليهم الذلة والمسكنة ليس في هذه المرحلة من التاريخ بل فيما بعد. وكأنّه يذكّرهم بالذل في مصر وبالنجاة منه.

سؤال ٤:

ما المقصود بالذين هادوا، والنصارى، والصابئين الذين ورد ذكرهم في الآية؟

الذين هادوا هم اليهود:

١. إما بمعنى عادوا إلى الله.
٢. أو بمعنى أنّهم أولاد يهوذا.

النصارى هم:أتباع عيسى عليه السلام.

١. تلك الطائفة من مشركي العرب قبل البعثة الذين ساوَرَهم الشك فيما كان عليه قومهم من عبادة الأصنام، فبحثوا لأنفسهم عن عقيدة يترضونها فاهتدوا إلى التوحيد، وقالوا: إنّهم يتعبّدون على الحنفيّة الأولى، ملّة إبراهيم، واعتزلوا عبادة قومهم، فقال عنهم المشركون: إنهم صبأوا (أي مالوا عن دين آبائهم) ومن ثمّ سُمُّوا بالصابئة. وهذا الرّاجح.
٢. أنّهم عبدة النُّجوم كما جاء في بعض التفاسير). وهناك أقوال أخرى ذكرها ابن كثير.

سؤال ٥:

ما هو الميثاق الذي أخذه الله من بني إسرائيل كما أخبرت الآية؟

قال سيّدٌ: إنّه عهد الله مع المؤمنين، وهو جدٌّ وحقّ، وله تكاليف شاقة، ولكن هذه هي طبيعته، إنّه أمرٌ عظيم، أعظم من كل ما في هذا الوجود، فلا بُدّ أن تُقبل عليه النفس إقبال الجادّ القاصد العارف بتكاليفه، المُتجمع الهمّ والعزيمة، المُصمّم على هذه التكاليف، ولا بدّ أن يُدرك صاحب هذا الأمر أنّه إنما يُودّع حياة الدّعة والرّخاء والرّخاوة، كما قال النبي ﷺ: "مضى عهد النوم يا خديجة"، ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل: ٥] وما قال الله عزّ وجل لبني إسرائيل ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [البقرة: ٦٣].

فائدة تربوية إيمانيّة دعويّة:

قال سيّدٌ: لا بُدّ مع أخذ العهد بقوة من:

١. استجماع نفس وتصميم.
٢. تذكر ماضي هذا العهد.
٣. استشعار حقيقته.
٤. التكيُّف بهذه الحقيقة.

كي لا يكون الأمر كلّه مجرّد حماسة وحميّة قويّة، فعهد الله:

١. منهج حياة.
٢. منهج يستقر في القلب تصوّراً وشعوراً.
٣. يستقر في الحياة وضعاً ونظاماً.
٤. يستقرّ في السّلوك أدباً وخلقاً.
٥. وينتهي إلى التقوى والحساسيّة برقابة الله وخشية المصير).

سؤال ٦:

كيف كان اعتداء بني إسرائيل يوم السبت؟

طلبوا أن يكون لهم يوم راحة مقدّس، فجعل الله لهم يوم السبت راحة، يوماً مقدساً لا يعملون فيه للمعاش، ثمّ ابتلاهم بعد ذلك بالحيتان تكثر يوم السبت وتختفي في غيره، وكان ابتلاء لم تصمد له يهود، أتترك صيداً قريباً يضيع وفاءً بعهدٍ واستمساكاً بميثاق؟ إنّ هذا ليس من طبع يهود،ومن ثمّ اعتدوا في السبت على طريقتهم الملتوية، راحوا يُحوّطون على الحيتان يوم السبت ويقطعونها عن البحر بحاجز، ولا يصيدونها، حتى إذا انقضى اليوم تقدّموا وانتشلوا السّمك المحجوز ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾.

سؤال ٧:

هل استحالوا إلى قردة بأجسامهم حقيقةً؟

ليس من الضروري أن يستحيلوا قردة بأجسامهم، فقد استحالوا إليها بأرواحهم وأفكارهم، وانطباعات الشعور والتفكير تعكس على الوجوه والملامح سمات تؤثر في السّحنة وتلقي ظلّها العميق، وحقّ عليهم جزاء النكول عن عهدهم مع الله والنكوص عن قيام الإنسان ذي الإرادة، فانتكسوا بهذا إلى عالم الحيوان والبهيمة، الحيوان الذي لا إرادة له، والبهيمة التي لا ترتفع إلى دعوة

البطون، انتكسوا بمُجرّد تخليهم عن الخصيصة الأولى التي تجعل من الإنسان إنساناً، خصيصة الإرادة المستعلية المُستمسكة بعهد الله).

اختارها لحكمة:

قصة البقرة تُجسّد أخطاء بني إسرائيل، من الماديّة إلى الجدال، ومن عدم طاعة أنبيائهم إلى عدم طاعة الله تعالى والالتواء على منهجه.

إنَّ في قصة البقرة مجالٌ للنّظر في جوانب شتّى وهي:

١. جانب دلالة القصّة على طبيعة بني إسرائيل وجِبِلّتهم الموروثة.
٢. جانب دلالة القصة على:
أ- قدرة الخالق.
ب- حقيقة البعث.
ج- طبيعة الموت والحياة.
٣. جانب الأداء الفنّي في عرض القصّة بدءاً ونهايةً واتساقاً مع السيّاق.

الجدل مفتاح الشرور:

إنّ السّمات الرئيسية لطبيعة إسرائيل تبدو واضحة في قصة البقرة، وهي كالآتي:

١. انقطاع الصّلة بين قلوبهم ونبع الإيمان بالغيب والثقة بالله.
٢. عدم الاستعداد لتصديق ما يأتيهم به الرسل.
٣. التلكؤ في الاستجابة للتكاليف واللّجاجة والتعنُّت.
٤. تلمُّس الحجج والمعاذير وتمحُّلها.
٥. السُّخرية المُنبعثة من صفاقة القلب وسلاطة اللسان.

قال سيّدٌ: (إسرائيل هي إسرائيل، كان جوابهم سفاهة وسوء أدب، واتّهاماً لنبيّهم الكريم بأنّه يهزأ بهم ويسخر منهم (أتتخذنا هزوا)، كأنّما يجوز لإنسانٍ يعرف الله (فضلاً على أن يكون رسول الله) أن يتّخذ اسم الله وأمره مادة مُزاحٍ وسُخرية بين الناس، وكان ردّ موسى عليه السلام أن يردّهم برفق عن طريق التعريض والتلميح إلى جادّة الأدب الواجب في جانب الخالق جل عُلاه وأن يُبيّن لهم أن ما ظنّوه بهم لا يليق إلا بجاهلٍ بقدر الله لا يعرف ذلك الأدب ولا يتوخّاه. فقال في المرة الأولى (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) ليثوبوا إلى أنفسهم،

وفي المرة الثانية قدّم لهم نصيحة غالية (فافعلوا ما تؤمرون) هي نصيحة آمرة جازمة، وقد ردّهم نبيّهم إلى الجادّة مرتين، ولمّح لهم بالأدب الواجب في السؤال والتلقي، ليُنفذوا أمر ربهم ويعفوا أنفسهم من مشقّة التقيد والتضييق. ولكنّ إسرائيل هي إسرائيل).

سؤال ٨:

ماذا نستخلص من حوار بني إسرائيل مع نبيّهم موسى عليه السلام في قصة البقرة؟

١. ما يزالون في شكّهم أن يكون موسى هازئاً بهم.
٢. (ادعُ لنا ربك) كأنّما هو ربه وحده لا ربّهم كذلك. وكأن المسألة لا تعنيهم هم إنما تعني موسى وربّه.
٣. (يُبينّ لنا ما هي) السؤال عن الماهيّة، وهذا إنكار واستهزاء، بقرة وكفى.
٤. طبيعة الالتواء والتلكؤ والتعنّت تُدركهم، إنكار واستهزاء ولجاجة مستمّرة.
٥. زادوا الأمر عليهم مشقةً وتعقيباً وتضاعفت الشروط وضيّقوا مجال الاختيار.
٦. (الآن جئت بالحق) وكأن كل ما مضى ليس حقاً.
٧. كان سيّدنا موسى عليه السلام يُجيبهم كما ينبغي أن يُجيب المعلم المّربي من يبتليه الله بهم من السُفهاء المُنحرفين.

قال سيّدٌ: (فهذا هو الشّائع في طبائع الناس: أن يُعجبوا بالحيويّة والاستواء ويُسُّروا، وينفروا من الهزال والتشويه ويشمئزوا، ويعتذرون عن تلكؤهم بأن الأمر مُشكل عليهم (تشابَهَ علينا)، وكأنّما استشعروا لجاجتهم في المرة الأخيرة (وإنّا إن شاء الله لمهتدون). وكان ذبح البقرة وسيلة إلى إحياء الميت لينطق بلسانه عمّن قتله، فكان كلٌّ منهم يدرأ التّهمة عن نفسه، والله مخرجٌ الحق على لسان القتيل ذاته، وذلك بضربه بها فيُخْبِرُ بنفسه عن قاتله، ويجلو الرَّيْب والشكوك التي أحاطت بمقتله، وليحق الحق ويبطل الباطل بأوثق البراهين).

سؤال ٩:

فيمَ كانت هذه الوسيلة، والله قادرٌ على إحياء الموتى بلا وسيلة؟ ثمّ ما مناسبة البقرة المذبوحة مع القتيل المبعوث؟

إنّ البقر يذبح قُرباناً كما كانت عادة بني إسرائيل، وبضعة من جسد ذبيح تُرد بها الحياة إلى جسد قتيل وما في هذه البضعة من حياة ولا قدرة على الإحياء بل مجرد وسيلة ظاهرة تكشف لهم عند قدرة الله، فهم يُشاهدون آثارها ولا يُدركون كُنهها ولا طريقتها في العمل، وإنّ المسافة بين طبيعة الموت وطبيعة الحياة مسافة هائلة، ولكنّها في حساب القدرة الإلهية يسير، إنّ إدراك سرّ الماهية والكيفية سرٌّ من أسرار الألوهية، لا سبيل إليه في عالم الفانين.

سؤال ١٠:

يظهر جمال الأداء وتناسقه مع السياق في قصّة البقرة وضّحْ ذلك؟

١. اختبار لهم عن مدى طاعتهم واستجابتهم وتسليمهم لأنهم لم يعرفوا لماذا أمرهم الله بذبح البقرة.
٢. لا نرى الحوار ينقطع ليثبت ما دار بين موسى وربه فكأنه يسأل الله ثم يعود إليهم بالجواب ولكن سياق القصة لا يقول إنه سأل ربه ولا أجاب، هذا السكوت هو اللائق بعظمة الله. التي لا يجوز أن تكون في اللجاجة التي يُزاولها بنو إسرائيل.
٣. المباغتة في الخاتمة وهي انتفاض الميت مبعوثاً ناطقاً على ضربة من بعض جسدٍ لبقرةٍ بكماء مذبوحة، ليس فيها من حياة ولا مادة حياة.

سؤال ١١:

كيف كانت ردّة فعل (قلوب) بني إسرائيل بعد رؤية هذا المشهد الأخير من القصّة وهو (انتفاض الميّت مبعوثاً ناطقاً)؟

كان هذا المشهد من شأنه أن يستجيش في قلوبهم الحساسيّة والخشية والتقوى، ولكن للأسف جاءت الخاتمة مخالفةً لكل ما كان يُتوقع ويرتقب، فأصبحت تقاس قساوة قلوبهم بالحجارة فإذا هي أجدب وأقسى، رأوا الحجارة تنفجر منها العيون، وتجلي الله عز وجل على الجبل واندك، ولكنّ قلوبهم لا تلين ولا تندى، ولا تنبض بخشية ولا تقوى. قلوبٌ قاسية جاسية مُجدبة كافرة، بل قال هي أشدُّ قسوة من الحجارة، فجاء التهديد (وما الله بغافلٍ عما تعملون) فختم به هذا الشطر من الجولة مع بني إسرائيل في تاريخهم الحافل بالكفر والتكذيب، والالتواء واللّجاجة، والكيد والدّس، والقسوة والجدب، والتمرُّد والفسوق.

سؤال ١٢:

ما الحكمة من ذبح البقرة؟

كما ذكرنا سابقاً، لقد كانوا قد قتلوا نفساً منهم، ثمّ جعل كل فريق يدرأ عن نفسه هذه التّهمة ويلحقها بسواه، ولم يكن هناك شاهد، فأراد الله عزّ وجلّ أن

يُظهر الحق على لسان القتيل ذاته، وكان ذبح البقرة وسيلة إلى إحيائه، ليخبر بنفسه عن قاتله، وليُحق الحق بأوثق البراهين. فكانت هذه مجرّد وسيلة ظاهرة تكشف لهم عن قدرة الله عزّ وجلّ، التي لا يعرف البشر كيف تعمل هذه القدرة، (كذلك يُحيي الله الموتى) أي كذلك بمثل هذا الذي ترونَـهُ واقعاً ولا تدرون كيف وقع، وبمثل هذا اليسير الذي لا مشقّة فيه ولا عُسر يُحيي الله الموتى، فهم يُشاهدون آثار قدرة الله ولكن لا يُدركون كُنهها ولا طريقتها في العمل.

حِطَّةٌ: يقول الرّاغب الأصفهاني (الحطُّ: إنزال الشيء من عُلوٍ، وقد حَططتُ الرَّحْلَ، وهنا في الآية معناها: كلمة أمر الله بها بني إسرائيل ومعناه: حُطَّ عنا ذنوبنا، وقيل معناه: قولوا صواباً).

إذن: "فاقتلوا أنفسكم" الراجح: أن يقتل كلُ أحدٍ نفسه جزاءً لما فعلوا والله أعلم.

من رحمة الله وكرمه أنّه جعل توبة أمّة محمد على ألسنتها، وذلك بالاستغفار فيقول النبي ﷺ: "وإنّه ليُغان على قلبي فأستغفر الله فينصقل قلبي" الرّانْ: الطبقة السميكة جداً والغطاء السميك الذي لا يُزال مُطلقاً ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم﴾ [المطفّفين:١٤] أمّا الغَيْنْ: فهو طبقة أو غشاء خفيف رقيق يمكن إزالته بسهولة. ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ لا أحد ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١] (اتقّ الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحُها وخالق الناس بخلقٍ حسن)، (إنّ الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيءُ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوبَ مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)، وجاء في الأثر: أنّ العبد إذا أذنب ذنباً فإنه يُمهل نصف يوم فإذا ما استغفر الله مُحيت السيئات) والآية ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [هود:١١٤].

خطأ آخر من الأخطاء التي ارتكبها بنو إسرائيل

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة:٥٥] لأنهم أمة ماديّة للغاية، لا يؤمنون إلا إذا رأوا أمراً ملموساً. وكأنَّ الخطأ الجسيم الذي قد تقع أية أمة ويكون سبباً في استبدالها هو طغيان الماديّة فيها..

قلتُم: فعلٌ ماضٍ مبنيٌ على السكون لاتصاله بتاء المخاطب.

الميم: للجمع. تحتمل بني إسرائيل بأكملهم. لكن هناك رأيان:

١. الرأي الأول يقول أنّ الجمع الفقير من بني إسرائيل طلبوا هذا، وليس بعيداً عن جبّلتهم.

٢. والرأي الثاني يقول بل إن نفراً منهم فقط، طلبوا هذا على وجه المتبجُّح وسوء الأدب فقالوا يا موسى نريد أن نرى ربّك، وهذا ما رجّحه ابن كثير، ليس الطّلب بشيء من الأدب بل صدّروا كلامهم لله، كأنّه شرط، أو رهانٌ، أو صفقة، أيّ سوء أدب هذا مع نبيّهم؟!

فائدة تربويّة:

يجب على الداعية أن يتحمّل ما يلاقيه من الأذى والعناد والرّفض وغير ذلك من هذه الأمور بل يجب عليه أن يتجمّل بالصبر والخلق الحسن والحلم لأن دعوة الله غالية وسلعة الله غالية. لقد سئل سيّد قبل استشهاده (قبل إعدامه): ماذا يعني الشهيد؟ قال قولته الخالدة: [الشّهيد هو الذي يشهد بأنّ شريعة الله أغلى من حياته].

سؤال ١٣:

ما معنى (لن نؤمن لك)؟

هناك احتمالان:

١. أي لن نؤمن إيماناً كاملاً لأنّهم مؤمنون موحّدين، أي لن يكتمل ولن يدوم إيماننا إلا بعد أن نرى ربك عياناً.

٢. الثاني هو أشدّ وأفظع وأبشع وأقبح وأشنع أي إنه: إذا لم نر ربك كفرنا، وكان منهم الكفر أكيداً.

لك: أي لرسالتك الصّادرة من ربّك ولن نصدق بها.

حتى: تُفيد انتهاء الغاية الزمنية. أي مهما طال الزمن وطال الأمر لن يكتمل إيماننا حتى نرى الله جهرة.

سؤال ١٤:

ما الفرق بين الطلبين، طلب موسى عليه السلام من ربه لرؤية الله، وطلب بني إسرائيل من موسى أن يروا الله؟

١. طلب موسى عليه السلام فيه تضرُع وانكسار، بينما طلبهم فيه تحدّي وشرط.

٢. طلب موسى بدأ بكلمة (ربّ) فيها أدب وثناء ودعاء الاعتراف بالرّبوبيّة ونسب الرب إلى نفسه (رب) فالدعاء سبقه ثناءٌ على الله، أمّا طلبهم ففيه (نرى الله) لادعاء فيه ولا ثناء.

٣. صُدِّر طلب موسى عليه السلام كلمة (أرني أنظر) أي: من تفضّلك وكرمك وجودك تكرّم عليّ بهذه النعمة أن أنظر إليك، بينما كان طلبهم يتصدّره (لن نؤمن) (حتى) وصفوه شرطاً لإيمانهم هو رؤية الله، كأنّه أعطينا لنعطيك، فهو سوء أدب مع الله عزّ وجلّ ومع نبيّهم وكأن الإيمان صفقة تجارية.

٤. إن طلب موسى عليه السلام بلغة الذلّ والخضوع والخشوع والانكسار ومهابةً وتقديراً وإجلالاً للجليل سبحانه، بينما طلبهم يلوح منه سوء الأدب وتحدٍّ وقلّة المهابة به.

جهرة: لغة: الظُّهور الواضح. وهذا يكشف مزيداً من سوء أدبهم وجُرأتهم على الله سبحانه.

قال ابن عاشور: (أي ظهور الشيء بإفراط كأنّهم حدُّوا الله بحدٍ، وهذا هو الكفر بعينه لأنّ الله فوق الزمان وفوق المكان ولا يحدُّه زمانٌ ولا مكانٌ).

قال الراغب الأصفهاني: (النّظر: تقليبُ البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته وقد يُراد به التأمل والفحص، وقد يُراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص، وهو الرؤية، ويقول في قوله (ربّ أرني أنظر إليك) فشرحُهُ وبحث حقائقه يختصُّ بغير هذا الكتاب). ويقول أيضاً (الرؤية: إدراكُ المرئيِّ، وذلك أضْربٌ بحسب قوى النفس:

الأول: بالحاسّة وما يجري مجراها (وإنّ الحاسّة لا تصحُّ على الله تعالى)..

الثاني: بالوهم والتخيُّل.

الثالث: بالتفكُّر.

الرابع: بالعقل.

ويقول **الراغب الأصفهاني**: (الرَّبُّ: في الأصل التربية: وهو إنشاءُ الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام وقيل: لأن يرُبَّني رجلٌ من قريش أحبُ إليّ من أن يرُبّني رجلٌ من هوازن، فالرّبُّ [مصدرٌ مستعارٌ للفاعل] ولا يقال الرَّبُّ مطلقاً إلا لله تعالى المُتكفل بمصلحة الموجودات) أ. هـ.

ويقول أيضاً: (الصّاعقة والصّاقعة يتقاربان وهما: الهدّة الكبيرة، إلاّ أنّ الصقع يُقال في الأجسام الأرضية، والصعق في الأجسام العلويّة. قال بعض أهل اللغة:

الصاعقة على ثلاثة أوجه:

١. الموت.
٢. العذاب.
٣. النار.

وهذه الأشياء الثلاثة حاصلة من الصاعقة، فإنّ الصاعقة: (هي الصوت الشديد من الجوّ) ثمّ يكون منه: إمّا نار فقط، أو عذاب، أو موت وهي في ذاتها شيءٌ واحد وهذه الأشياء تأثيراتٌ منها). أ. هـ. كلام الأصفهاني.

فأخذتكم: الأخذ إشارة إلى قوّة الإهلاك والتعذيب. وذلك لشدّة قبحُ ما طلبوا.

إذن طلبوا من موسى عليه السلام أن يروا الله جهرة. فأين الجواب: الجواب هو أنهم (لم يُجابوا على طلبهم) سكت النص القرآني عن الجواب، فأخذتهم الصاعقة.

فائدة إيمانية قرآنية:

قد يُعاجَلْ العبد بالعقوبة في الدنيا، وقد يدّخرها الله له إلى يوم الحساب. فطوبى لمن خاف واستغفر وأناب وأدرك نفسه قبل فوات الأوان.

وقد تكون الصّاعقة:

١. إمّا صوتاً مُدوياً يثقب الآذان ويجذب الذبذبات، وهذا يؤدّي إلى الاختناق كما حدث مع قوم ثمود، لكن الفرق بين صاعقة بني إسرائيل وصاعقة ثمود أن الأولى مؤقتة (ثم بعثناكم) أحياهم الله من جديد لعلّهم يشكرون، أمّا الثانية فكانت مُهلكة مُدمّرة مُؤبّدة.
٢. أو قد تكون تماسّاً كهربائياً يولدُ ناراً تحرق، والأمر أصعب وأشد وهذا هو الراجح والله أعلم.

صورة فنيّة في الآية الكريمة:

الصاعقة ليست كائن حيّ لتأخذ، عبّر عنها وكأنّها كائن حيّ تتبّعهم واحداً واحداً وهذا أنكى لهم في شدّة العذاب حتى لا يُبقي منهم أحد كنايةً عن شمولها وشدّتها.

وأنتم تنظرون : الواو: واو الحال. حالكم [أنكم تنظرون إلى بعضكم، أو مجتمعون].

أنتم: مبتدأ.

تنظرون: جملة فعليّة في محل رفع خبر المبتدأ.

أي: ١. أن ينظر بعضكم إلى بعض وهذا أنكى بالعقوبة والعذاب وأدلّ.
٢. أو وأنتم مُجتمعون والرّاجح الأول والله أعلم.

قال الزّمخشري (وأنتم تنظرون مُرَجّحة أن يكون العذاب من النوع الثاني من الصاعقة الذي هو المُحرّقة لا المُخنّقة، أي أنّ ما أصابهم ممّا يُرى لا ممّا يُسمع، وكأنّ الجزاء من جنس العمل، طلبوا الرؤيا فحُرّقت أجسامهم بما يرى لأنّهم لا يستطيعون أن يروا ربنا سبحانه).

فوائد دعويّة إيمانيّة روحانيّة:

١. إنّ الداعية الحقّ حين يشتدّ عليه أذى الناس وبأسهم يزيد من التقرُّب والدعاء لربّ الناس فيأتيه الجواب بعد الالتماس.
٢. يوجد شيء محذوف أنه بعد أخذ الله لهم بالصاعقة قد يكون فريق منهم أو بعضهم رفعوا أيديهم إلى السماءُ ودعوا ربهم وتضرّعوا وانكسروا وخشعوا وتذلّلوا وخضعوا الله بالدُّعاء فاستجاب الله لهم بدليل (ثم بعثناكم من بعد موتكم).
٣. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ينبغي على الداعية ألا ينفك عن حمد الله وشكره بعد كل نعمة واستجابة دعاء لأن (إنّما تدوم النّعم بالشكر)﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[إبراهيم:٧]، (قيّدوا النعمة بالشكر) كما يقول

العلماء، وهذا من ذوقيات الداعية وأدبه مع الله، ولا ننسى بأنّ (لعلّ): حرف ترجٍّ ونصب فكأنه الله يرجو لنا أن نشكر.

٤. إنّ الداعية لا ييأس، ولا يعرف اليأسُ طريقَه إلى قلبه أبداً حتى لو مات قلب منْ يدعوهم. فهذه رسالة الله ودعوته لن تُخمد ولكنّ النتائج بيد الله.

٥. إنّ الدّاعية يُشفق على جميع الخلق من عذاب النار يتمنّى للجميع الهداية والصلاح.

ظلَّلْنَا: ظَلَلَ ظِلاً بصورة عاديّة.

لكن ظلَّل على وزن (فَعَّلَ) زيادة في التظليل تُفيد:

١. المبالغة في التظليل.
٢. شمولية التظليل.
٣. حُسن الظل.

فائدة اجتماعيّة:

يجب على الإنسان أن يبحث عن أسباب الرزق، ولا ينتظر أن يأتيه رزقه من السماء بل يأخذ بالأسباب ويتوكل. وليس كبني إسرائيل كانوا عُطّلاً هُمّلاً اتكاليّين لا يعرفون معنىً للعمل؛ حيث أحكم الله عليهم التظليل، وكانت تأتيهم الغمامة فوق رؤوسهم، واستخدم الله جلّ وعلا لفظ (نا) الدالة على العظمة والقدرة والرحمة أي بقدرتنا ورحمتنا (ظلّلنا) والقدرة قبل الرحمة حتى يستيقظوا لكن أنّى لهم ذلك.

القرية: بيت المقدس على الأرجح.

رغداً: تمام الرّفاهية.

سُجّداً: آية الولاء والطاعة.

تقدّم الرغد على الأكل في حديث أهل الجنة لأنّه رغد الجنة لا تعب فيه ولا عناء أمّا رغد الدنيا ففيه التعب والعناء كلّه.

إنّ الله عزّ وجلّ قبل أن يطلب منهم ما يتعلّق به من الشكر، أعطاهم ما يتعلّق من الطعام، ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ [البقرة:٥٨] أي أبيح لكم كل ما

فيها. أباح الله لأمة حبيبه الغنائم فيجب أن يسجدوا ويشكروا ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدًا﴾ [البقرة:٥٨]؛ لأنه كان لكل مدينة باب.

فائدة دينية:

أنّ بيت المقدس أرضٌ عظيمة ينبغي لداخلها أن يسجد شكراً لله على ما أنعم الله عليه من دخولها.

ما هو المطلوب منهم:

١. الأكل والشراب.
٢. السجود.
٣. أن يقولوا حِطّة حِطَّ عنّا ذنوبنا.

إذا أنتم دخلتم بيت المقدس بهذه الهيئة سيغفر الله لكم ذنوبكم جميعها. "وسنزيد المحسنين" حيث كان الحجّ لبيت المقدس، وجاء في الحديث ممّا أعطاه الله لأمّة الحبيب ﷺ: "من حجَّ فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أُمّه". وهذا (زيادة المُحسنين) يؤكد عظمة البيت المقدس.

سؤال ١٥:

ماذا كان رد بني إسرائيل على طلب الله ادخلوا سُجّداً، قولوا حطة، سنزيد المحسنين؟

١. فبدّل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم، قالوا حنطة، بدلاً من حِطّة. أي حبّة في شعيرة.
٢. دخلوا زحفاً على استهم بدلاً من أن يدخلوا ساجدين. والاست: هو عظام أسفل الظهر: وهذا قمّة الإساءة وقلّة الأدب.

فأرسلنا عليهم: أنزلنا عليهم.

رجزاً: عذاباً.

بما كانوا: الباء سببيّة، أي بسبب فسقهم.

استسقى: كل زيادة في المبنى هي زيادة في المعنى. (ا س ت) تُفيد الطلب. أي طلب السُقيا. وتُفيد التضرُّع والانكسار والالتجاء إلى الله سبحانه.

الحجر: ١. إمّا أن يكون حجرٌ خاصٌ يصطحبه موسى معه.

٢. أو أي حجر كان. وهذا القول هو الأرجح.

اثنتا عشرة: بعدد قبائلهم وهم الأسباط أحفاد يعقوب عليه السلام.

لا تعثَوْا: أي لا تُفسدوا في الأرض أيّاً كان الإفساد، أي لا تُخرّبوا وإنهم لم يُنفذوا هذا النهي وهذه الأوامر.

مَشْرَبَهم: محلّهم الذي يشربون عليه من هذه الأعينُ فلا يُزاحم بعضهم بعضاً بل يشربونه مُتهنّئين لا مُتكدّرين. وجاء الإفساد الأول منهم ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ [البقرة:٦١].

إذْ: تُفيد لقطة من الماضي. فهو ظرف لما مضى من الزمان.

لنْ: تُفيد الجفاء هنا والتأبيد.

من رزق الله: الذي آتاكم سبحانه من غير سعي ولا تعب.

فائدة تربوية:

﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور:٦٣] أي لا تُنادوه (يا محمد) بل بـِ: يا رسول الله، يا نبي الله. وبني إسرائيل من سوء أدبهم يُنادون نبي الله موسى: (يا موسى، ربك). لم يقولوا ربنا. من كبْرهم.

فادع لنا: اطلب لنا (بالمتكلم).

ربك: يالمخاطب المفرد. وذلك للجفاء، بصيغة الأمر منهم.

يخرج لنا: الأثَرَة.

من بقلها: نسبوا الخيرات للأرض ولم ينسبوها للخالق. أي لا تتفضّل علينا.

وفي ذلك بيان أخلاق بني إسرائيل الشائنة من الكبْر. والأثَرَة، وسوء الأدب، وقلّة الذنوب، وبجد النِّعم.

البقل: عائلة البقوليات (فاصولياء، بامياء، لوبيا، بازيلا، الفول، الحمص..).

القثاء: عائلة القثائيات (الكوسا، اليقطين، القثاء، الخيار...).

الفوم: عائلة الفوم (كل ما يُخبزَ به من الحب والحِنطة) وابن كثير يرى بأنه الثوم.

العدس: بنوعيه المجروش والحب.

البصل: هو آخر طعام طلبوه ورتّبوه بالنهاية.

قال ابن عباس (كانوا أهل أعداسٍ وأبصال).

وكأنّ الترتيب حسب مكنوناتهم الباطنية. دلالة أن نهاياتهم بصليّة قال أتستبدلون الذي هو أدنى (البصل والثوم) بالذي هو خير (المنُ والسلوى).

ضُربتْ: حاقت.

باءوا: رجعوا.

رجعوا بغضبٍ على غضب بما كانوا يكفرون بآيات الله، ويقتلون الأنبياء بغير حق، وعصوا أوامر الله، وكانوا يعتدون على منْ معهم من الأنبياء والخلق.

سؤال ١٦:

ما علاقة الذين آمنوا بالذين هادوا والنصارى والصّائبين؟

لأن اليهود وجرائمهم فظيعة، كأنّ الباب أغلق أمامهم تماماً، فذكرّهم بأن باب التوبة مفتوح أمامهم ولا يُغلق في وجه أحد لمن أراد أن يتوب ويرجع إلى الله، لذلك جاءت الآية التي تليها. فالذين آمنوا هم أكثر الأمم إيماناً، والذين هادوا هم اليهود، والنصارى هم من ناصروا عيسى عليه السلام لأنهم أقاموا في (الناصرة) في فلسطين لذلك سُمُّوا بالنصارى. والصابئين الآراء كثيرة:

١. هم قومٌ بين المجوس واليهود والنصارى (ليس لهم دين).
٢. فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور.
٣. هم قومٌ يعبدون الملائكة.
٤. هم قومٌ مُوحّدون ولكنهم يعتقدون تأثير النجوم.
٥. هم عَبَدة الكواكب.

يرى ابن كثير: أن الصابئين (هُم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المُشركين وإنمّا هم باقون على أهل الفطرة).

يقول ابن كثير في تفسيره عن بني إسرائيل:

- خالفوا أوامر الله وكفروا فظلموا أنفسهم هذا مع ما شاهدوه من الآيات البينات والمعجزات القاطعات وخوارق العادات،ومن ههنا تتبيّن فضيلة أصحاب الحبيب محمد ﷺ ورضي عنهم على سائر أصحاب الأنبياء في صبرهم وثباتهم وعدم تعنتهم مع ما كانوا معه في أسفاره وغزواته ومنها عام تبوك في ذلك القيظ والحرّ الشديد والجهد لم يسألوا خرقه عادة ولا إيجاد أمرٍ مع أنّ ذلك كان سهلاً على النبي.

- فالله عزّ وجلّ يلومُ بني إسرائيل على نكولهم عن الجهاد، فأمروا بدخول الأرض المقدسة التي هي ميراث لهم عن أبيهم إسرائيل وقتال من فيها من العماليق الكفرة فنكلوا عن قتالهم وضعفهم واستحسروا فرماهم الله في التيّه عقوبة لهم يقول النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه البخاري عن أبي هريرة "قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حِطة، فدخلوا يزحفون على أستاههم فبدّلوا وقالوا: حبّة في شعرة".

- وهذا في غاية ما يكون من المُخالفة والمعاندة ولهذا أنزل الله سبحانه بهم بأسه وعذابه بفسقهم وهو خروجهم عن طاعته قال النبي ﷺ "الطاعون رجزُ عذابٍ عذّب به من كان قبلكم" البخاري/٣٤٧٣، مسلم/٢٢١٨.

- يُذكرهم الله بنعمته بالمنّ والسلوى طيباً نافعاً ويُذكرّهم بدَبَرَهم وضجَرهم ممّا رزقهم وسؤالهم موسى باستبدال ذلك بالأطعمة الدنيئة قال الحسن البصري: (فبطَروا ذلك فلم يصبروا عليه وذكروا عيشهم الذي كانوا فيه وكانوا قومَ أعداسٍ وبصل وبقل وثوم).

الدَبَرْ: التألّم والنُّفور.

البَطَرْ: الاستخفاف بالنعمة فكفرها.

الأشَرْ: الاستكبار واستهتار النعمة.

أتستبدلون: استفهام استنكاري فيه تقريعٌ وتوبيخ.

- إنّ موسى عليه السلام يقول لهم هذا الذي سألتموه موجود بكثرة ليس بأمرٍ عزيزٍ بل هو كثير في أي بلد دخلتموها وجدتموها وجدتموه فليس يُساوي مع دنائته وكثرته في الأمصار أن أسال الله فيه. وكان سؤالهم هذا من البطر والأشر فأُلزموا شرعاً بالذلّة والمسكنة ولا يزالون مُستذلين مُهانين، وهم في أنفسهم أذلاّء مُستكينون، وقال الحسن البصري (أذلّهم الله فلا منعةً لهم وجعلهم تحت أقدام المسلمين ولقد أدركتم هذه الأمة وإنّ المجوس لتجبيهم الجزية) ولهذا جاء في الحديث المُتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال: "الكبر بطرُ الحق وغمطُ الناس" رواه مسلم/ رقم ٩١.

الجبل.. و .. الطور

يقول الدكتور فاضل السامرائي:

في القصة الواحدة في القرآن الكريم قد تُستعمل مفردة في موضع وتُستعمل غيرها في موضع آخر مع أن القصة واحدة، والموقف واحد، وذلك نحو قوله تعالى: "ورفعنا فوقكم الطور" في البقرة، وقوله "ورفعنا فوقهم الطور" في النساء، وقوله "وإذْ نتقنا الجبل فوقهم" الأعراف.. فاستعمل (الجبل) في الأعراف، ذلك أن التهديد أشدُ، لذلك فإن الجبل اسمٌ لما طال من أوتاد الأرض وعظُم..

ولا يُشترط ذلك في الطور.. والجبل أعظم من الطور، ولذلك يجيءُ في مقام الشدة والهول وبيان المقدرة العظيمة.. وذلك نحو قوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١١٣].

معاني الكلمات

الطور: الجبل المعروف بسيناء، وهو جبل المناجاة الذي أنزلت فيه التوراة على سيدنا موسى. ورفعُهُ هو إعلاؤه عن مقرّه وهو: نَتْقِهَ كما جاءت الآية. ﴿۞ وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ﴾[الأعراف: ١٧١].

توليتم: انثنيتم عن العهد ونقضتُموه وأعرضتم.

فضلُ الله: توبته عليكم.

ورحمته: إرساله الرسل والأنبياء إليكم.

اعتدوا منكم في السبت : تجاوزوا الحدّ في صيد الحيتان فيه وقد نُهوا عنه وأمروا بتعظيم السبت والتجرُّد للعبادة فيه.

الاعتداء: مُجاوزة الحدّ، يُقال: اعتدى وتعدّى إذا ظلم، والظالم: مجاوزٌ للحدّ.

خاسئين: مبعدين عن رحمة الله، مطرودين كما يُخسأ الكلب. والخُسوء: الطرد والإبعاد، يقال: خسأتُ الكلب خسْأً وخُسوءاً أي طردته وزجرته وذلك إذا قلت له اخسَأ. والجمهور على أنهم مُسِخُوا حقيقة.

نكالاً: عقوبة يُقال: نكَّل بـه تنكيلاً إذا صـنع بـه صـنيعاً يُحذر غيره، وأصـله مـن النِكل وهو القيد الشديد وحديدة اللجام. وجمعه أنكالاً وسُميت العقوبة نكالاً لأنها تُحذِّر غير من نزلت من ارتكاب ما أوجبها والمفرد: نُكل: القيد.

بقوة: بجدٍّ واجتهادٍ وصبر على أوامر الله.

لما بين يديها: ما قبلها من الماضين، القرية هي المقصودة.

وما خلفها: لما بقي بعدهم من الناس من حيث الزمان، وما حولها من القرى من حيث المكان.

للمتقين: من أمّة محمد ﷺ لا تكون موعظة نافعة إلا للمتقين.

لا فارضٌ: لا كبيرة مُسنّة هرمة: ولا فتية صغيرة لم يلحقها الفحْل، بل نَصَفٌ بين السّنّين، يُقال: فَرَضَتْ البقرة فَروضاً وفَراضةً: طعنتْ في السنّ.

عوانٌ: العوان من البقر: التي نُتجت بعد بطنها البكر، وجمعها عُون.

فاقعٌ لونها: صادقُ الصُفرة يقال: أصفر فاقعٌ، وأبيضُ ناصعٌ، وفقع لونه يفقَع ويفقُع فَقْعاً وفُقوعاً: اشتدّتْ صُفرته أو خلُصت.

لا ذلول: لم تُذلّلْ بالعمل، يقال: بقرةٌ ذلول بيّنة الذِّل –بالكسر- أي هنية سهلة الانقياد.

الحرث: هو الأرض المُهيأة للزّرع، أو نفس الزرع، ويطلق الحرث على إلقاء البذر في الأرض، وعلى إعدادها للزراعة.

مُسلّمةٌ: بريئة من العيوب، من السلامة وهي التعّري من الآفات.

لا شِيَةَ فيها: لا لوْن فيها يُخالف لون سائر جلدها، وأصلها (وَشْيٌ) لحقها من النقص ما لحِق زِنَة وعِدَة يُقال: وشيْتُ الثوب أشيه وَشْياً وشِيَةً، إذا جعلت فيه أثراً يخالف معظم لونه.

فادّارأتمُ فيه: تخاصمتم أو تدافعتم في شأن هذه النفس التي قتلت فألقى كل منهم تُهمة القتل على الآخر، وأصله: تدارأتمُ من الدَّرء وهو الدفع لأنّ

المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضاً ويدفعه، يُقال: درأتُ عنه، دفعتُ عن جانبه، فقُلبت التاء دالاً من تجانس علاقتهما مُخرجهما، وسكنت الدال للإدغام ثم أدغمت الدال الأولى بالثانية فاجْتُلبتْ همزة الوصل للتوصل للنطق بالساكن.

قستْ قلوبكم: اشتّدتْ وغلُظتْ فلم تؤثّر فيها الموعظة وهذه توبيخاً لبني إسرائيل وتقريعاً لهم على ما شاهدوه من آيات الله تعالى وإحياء الموتى.

فقُلنا اضربوه ببعضها: أي اضربوا القتيل ببعض البقرة المذبوحة، فضربوه بها فأحياه الله تعالى وأخبرهم عن قاتله ثم سقط ميتاً، وهذه معجزة أجراها الله تعالى على عهد سيدنا موسى عليه السلام للدلالة على صدق رسالته ووجوب اتباعه، كما أجرى على يد سيدنا عيسى عليه السلام إحياء الموتى.

كاد في القرآن لله

يقول الدكتور صلاح الخالدي:

إثباتها نفي، ونفيها إثبات.. فعلٌ ماضٍ ناقص، تعم لعمل كان فترفع الاسم وتنصب الخبر، وخبرها في القرآن دائماً جملة فعلية، مجرّدة من "أنْ" الناصبة المصدرية.. وهي من أفعال المُقاربة.. وقد وردتْ "كاد" وتصريفاتها أربعاً وعشرين مرةً في القرآن، منها: ثماني عشرة مرة وردت فيها مُثبتة، ونلاحظ المعنى الذي تُقرّره نجد أنها وردت لنفي حصول الشيء، ودلّت على عدم وقوعه، مثال ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء: ٧٤].. فلم يركن إليهم.. ومنها ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٠] والبرق لم يخطفها.. أمّا المرات الست التي وردت فيها مسبوقة بحرف نفي وخبرها منفي، فإنّها تدلُّ على حصول الشيء ووقوعه. ولكنّه قريبٌ من عدم الوقوع، فكأنه لم يقع، ولكنه وقع!.. من ذلك قوله تعال في قصة البقرة ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[البقرة: ٧١]..

لهذا نقول: إذا دخلت "كاد" على جملة مُثبتة دلّتْ على عدم وقوعها، وإذا دخلت على جملة منفيَّة، دلَّتْ على وقوعها..

أو: نفيُها إثبات.. وإثباتُها نفي.

وما كادوا يفعلون: قال ابن عبّاس (كادوا أن لا يفعلوا ولم يكن ذلك الذي أرادوا لأنّهم أرادوا أن لا يذبحوها). يعني أنّهم رغم هذه الأسئلة والأجوبة والإيضاح ما ذبحوها إلا بعد الجهد، وفي هذا ذمٌ لهم وذلك أنه لم يكن غرضهم إلا التعنُّت فلهذا ما كادوا يذبحونها.

سؤال ١٧:

إنّ الله تعالى قد ذكر في هذه السُّورة مما خلق من إحياء الموتى في خمسة مواضع، اذكريها؟

١. ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة:٥٦] بعد أخذتهم الصّاعقة.
٢. في قصّة البقرة.
٣. قصة ﴿ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾ [البقرة:٢٤٣].
٤. قصّة الذي ﴿مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾[البقرة:٢٥٩].
٥. قصّة إبراهيم عليه السلام والطيور الأربعة. نبّه سبحانه وتعالى بإحياء الأرض بعد موتها، وإعادة الأجسام بعد صيرورتها رميماً.

سؤال ١٨:

اذكري قصة القرية التي عصتْ أمر الله في تعظيم السبت والقيام بأمره إذْ كان مشروعاً لهم؟

نعم، لقد خالفوا عهد الله وميثاقه في تعظيم السبت فتحيّلوا على اصطياد الحيتان في يوم السبت بما وضعوا لها من الشصوص (جمع شص وهو حديدة معقوفة يُصاد بها السمك) والحبائل والبرك قبل يوم السبت فلما جاءت يوم السبت على عادتها في الكثرة نشبتْ بتلك الحبائل والحيل فلم تخلص منها يومها ذلك فلمّا كان الليل أخذوها بعد انقضاء السبت فلمّا فعلوا ذلك مسخهم الله قردةً وخنازير، والقردة هي أشبه شيء بالأناسيّ في الشكل الظاهر وليست بإنسانٍ حقيقة. فلمّا كانت حيلتهم مُشابهة للحق في ظاهرها ومُخالفة له في باطنها كان الجزاء من جنس العمل قال مجاهد: (مُسختْ قلوبهم ولم يُمسخوا قردة).. قال ابن عباس: (زُعم أن شباب القوم صاروا قردة، والشيخة منهم صاروا خنازير). وقال قتادة: (صار القوم قردة تُعاوي لها أذناب، بعدما كانوا رجالاً ونساءً).

سؤال ١٩:

ما معنى (أو) في الآية الكريمة ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة:٧٤]؟

قال مجاهد: (كل حجر يتفجّر منه الماء، أو يشقّق عن ماء، أو يتردى من رأس جبل لمنْ خشية الله نزل بذلك القرآن).

واختلف علماء العربية بمعنى (أو) بعد إجماعهم واتفاقهم على استحالة كونها للشكّ:

١. قال بعضهم: أو هنا بمعنى الواو (كالحجارة وأشد قسوة).
٢. قال آخرون: أو هنا بمعنى بل (كالحجارة بل أشد قسوة).

قال ابن جرير (ومعنى ذلك على هذا التأويل فبعضها كالحجارة قسوة، وبعضها أشد قسوة من الحجارة.

وقال العلامة السعدي: (وليست (أو) بمعنى (بل)، ولكن قلوبهم لا تقصر عن قساوة الأحجار، ثم ذكر الله فضيلة الأحجار على قلوبهم أنها: يتفجّر منها الأنهار، ويشقّق فيخرج منه الماء، وإنّ منها ليهبط من خشية الله، أما قلوبهم فلا شيء من هذا، فبهذه الأمور فضَلَتْ الحجارة قلوبهم).

سؤال ٢٠:

ما سرُّ تشبيه قلوبُهم بالحجارة؟

قستْ: أي اشتدتْ وغلظت فلم تؤثر فيها الموعظة: من بعد ما أنعم عليكم بالنعم العظيمة وأراكم الآيات فلم يكن ينبغي أن تقسو قلوبكم لأنّ ما شاهدتم ممّا يوجب رقّة القلب وانقياده. فالحجارة، أشد قسوة من الحديد، لأنّ الحديد والرصاص إذا أُذيب في النار ذابَ بخلاف الأحجار.

سؤال ٢١:

الخطاب في الآية السابقة ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة:٦١] لأمّة بني إسرائيل الذين كانوا موجودين وقت نزول القرآن، وهذه الأفعال هي فعل أسلافهم فما الفائدة أنها نُسبتْ إليهم؟

١. أنّهم كانوا يمتدحون ويُزكوّن أنفسهم، ويزعمون فضلهم على النبي محمد ومن آمن به فبيّن الله أنّهم ليسوا من أهل الصبر ومكارم الأخلاق

ومعالي الأعمال، فإذا كانت هذه حالةُ سلفهم، مع أنّ المظنّة أنهم أولى وأرفع حالة ممّن بعدهم فكيف الظن بالمخاطبين.

٢. أنّ نعمة الله على الآباء هي نعمة على الأبناء فخُوطبوا بها لأنها نعم تشملهم وتعمُّهم.

٣. أنّ الخطاب لهم بأفعال غيرهم مما يدلُّ على أنّ الأمة المجتمعة على دينٍ تتكامل وتتساعد على مصالحها، فما يعملهُ بعضهم من الخير يعودُ بمصلحة الجميع، وما يعمله من الشرّ يعود وبضرر الجميع.

٤. أنّ أفعالهم أكثرها لم يُنكروها، والرّاضي بالمعصية شريكٌ للعاصي.

سؤال ٢٢:

لمَ ذكرتْ هذه الطوائف (الذين آمنوا، هادوا، الصابئين، النصارى) في ثنايا الحديث عن بني إسرائيل؟

أخبر الله عزّ وجلّ أن المؤمنين من هذه الأمة واليهود والنصارى والصائبين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وصدقوا رُسلهم فإنّ لهم الأجر العظيم، وذلك والله أعلم أنه لما ذكر بني إسرائيل وذمّهم وذكر معاصيهم وقبائحهم ربما وقع في بعض النفوس أنهم كلهم يشملهم الذم فأراد الباري تعالى أن يُبيّن منْ يلحقه الذمّ بوصفه، ولما كان أيضاً ذكر بني إسرائيل خاصةً يوهم الاختصاص بهم، ذكر تعالى حُكماً عاماً يشمل الطوائف كلّها، ليتضح الحق ويزول التوهّم والإشكال، فسُبحان من أودع في كتابه ما يُبهر عقول العالمين.

سؤال ٢٣:

لماذا أمرهم الله بذبح بقرة وليس كبشاً أو ناقة؟ ولماذا اختير الذبح دون غيره من وسائل القتل؟

لأن البقرة كانت من معبودات بني إسرائيل فأراد الله سبحانه أن يُهينها، واختير الذبح لأنّه ينبغي للعبد أن يتأدّب، كان بالإمكان أن يتحقّق معرفة القاتل دون ذبح البقرة، ولكن ليُعلّمهم الأدب ويُقدموا قرباناً لله سبحانه، قال ابن عباس: (ولو أنّهم اختاروا أي بقرة لكفتْهُم). وقال (لو أنّهم لم يستثنوا ولم يقولوا إن شاء الله لما هدوا إليها إلى يوم القيامة).

الربع الخامس

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٧٥]

- معـــــــــــاني الكلمـــــــــــات.
- الشـــــرح والتفســـــير والبيـــــان.
- ثلاثـــــــة عشـــــــر ســـــــؤالاً.
- الأماني والدعاوَى التي يتوهَّمها بنو إسرائيل.
- لطـــائف قرآنيـــة وفوائـــد قرآنيـــة.
- الـــــــــــــــــــــــــروح.

لرّبع الخامس
معاني الكلمات

أتُحّدثونهم بما فتح الله عليكم:

١. أتخبرون المؤمنين بما بين الله تعالى لكم في التوراة من نعت محمد ﷺ وصفته.

٢. أو أتخبروهم بما حكم الله به عليكم في التوراة من أخذ الميثاق على أنبيائكم بالإيمان بمحمّد ﷺ ونُصرته.

أُمّيون: جُهّال بالتوراة، جمع أميّ. وهو الذي لا يقرأ ولا يكتب، نسبةً إلى الأم، لأن الكتاب كان في الرجال دون النساء فنُسب من لا يكتب ولا يقرأ من الرجال إلى أمّه في جهله بهما دون أبيه.

قال الحسن البصري: هؤلاء اليهود كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعضٍ قال بعضهم: لا تُحدّثوا أصحاب محمّد بما فتح الله عليكم ممّا في كتابكم ليحاجّوكم به عند ربكم فيخصموكم.

إلا أمانيّ: أكاذيب وأباطيل افتعلها أحبارهم، فأخذوها عنهم تقليداً لهم لفرط جهلهم، وهي جمع أمنية: وهي الصُّورة الحاصلة في النفس من تمنّي الشيء وتقديره، مَنى الشيء: قدّره، وأكثر ما يكون التمنّي في تصوُّر الشيء عن ظنٍّ وتخمين، فصار الكذب له أملك، وساغ أن يُعبّر عن الكذب بالتمنّي، وعن الأكاذيب بالأماني.

فويلٌ: عذابٌ أليم، أو فضيحة أو حسرة أو هلكة، أو وادٍ في جهنّم، وهو في الأصل مصدر لا فعل له من لفظه. ولا يُثنّى ولا يُجمع، مثل: ويْحْ. وقال الخليل بن أحمد: الويل شدّة الشر. وقال سبيويه: ويل: لمن وقع في الهلكة. وويح: لمن أشرف عليها.

أياماً معدودة: أي أربعين يوماً، كما يزُعمون، وهي مدّة عبادتهم العجل.

بلى: حرف جواب يُحوّل النفي إلى إثبات. وهي كنَعَمْ وأجل. إلا أنّها لا تقع جواباً إلا لنفي مُتقدم إبطالاً ونقضاً وإيجاباً له سواء دخله استفهام أم لا. فهنا بلى تمسّكم النار مُخلّدين فيها.

تظاهرون عليهم : تتظاهرون عليهم بحلفاءكم من العرب، من التظاهر: وهو التعاون وأصله من الظهر، كأنّ المُتعاونين يسند كل واحد منهم ظهره إلى الآخر. وحذفت تاؤه الثانية للتخفيف.

بالإثم: هو اسم للفعل المُبطئ عن الثواب، وجمعُهُ آثام، ولذا يُطلق على الذنب والمعصية، يُقال: أثم يأثم إثماً ومأثماً، فهو آثم وأثيم، وقيل: اسم للفعل الذي يستحق عليه صاحبُه الذم والكوم، أو ما تنفرُ منه النفس، ولا يطمئن إليه القلب.

أُسارى: جمع أسير بمعنى مأسور، وهو منْ يؤخذ على سبيل القهر والغلبة فيُشدُّ بالإسار، وهو القدّ، والقدُّ: سيرٌ يُقُّدمن جلد غير مدبوغ.

تُفادوهم: تُنقذوهم من الأسر بالفداء، يُقال: فاداه وفداه، أعطى فداءه فالقزه.

خِزْيٌ: بلاءٌ خضيحة، مَصْدر خَزِيَ الرجل يَخْزَى خِزْياً وخزى: وقع في بليّة فدلّ بذلك، وهو خزيان، وهُنّ خزايا، وأخزاه الله: فضحَهُ.

وقفَّينا من بعده بالرسل: أرسلنا على أثره الرسل مُتتابعين، يقال: فما أثره يْقفوه قَفْواً وقُفُوّاً، إذا تبعه، وقفَّى على أثره بفلان إذا أتبعهُ إياه، وقفّيتُهُ زيداً وبه: أتبعته إيّاه، واشتقاقهُ من: قفَوتُهُ إذا اتّبعتُ قفاه، والقفا: مؤخّر العنق، ثم أطلق على كل تابع ولو بعد الزمن بينه وبين متبوع.

قلوبنا غلف على غضب: مُغشّاة بأغطية حسّية مانعة من نفوذ ما جئتَ به فيها، جمع أغلف، وهو الذي جُعل له غلاف، ومنه قيل للقلب الذي لا يعي ولا يفهم: قلبٌ أغلف، كأنّه حُجب عن الفهم بالغلاف.

يستفتحون: يطلبون من الله النصر على المشركين بالنبي العربي المبعوث في آخر الزّمان الذي يجدون صفته في التوراة. والاستفتاح: الاستقصار، من الفتح وهو النصر، حيث كانت غطفان تهزم يهود خيبر فعاذت اليهود بدعاء [اللهم ربنا إنا نسألك بالنبيّ الأمي الذي وعدتنا] فهَزَموا غطفان، فلما بُعث النبي حقيقةً كفروا به فانزل الله هذه الآية.

بغياً: حسداً لأجل تنزيل الله الكتاب على محمد ﷺ، وأصلُ البغي: الظلم، وأطلق على الحسد، لأنّ الحاسد يظلم المحسود جهده بتمنّي زوال نعمة الله عنه، وهو منصوبٌ على أنه مفعول له لـ (يكفروا) أي مفعول لأجله.

فباءُوا بغضبٍ: رجعوا بغضبٍ فوق غضب: يُقال: باء بإثمه يبوء، والغضَبيْن هما: كفرهم بعيسى عليه السلام، وكفرهم بمحمد ﷺ استوجبوا واستحقّوا.

أتَّخذتُم: دخول همزة القطع الاستفهامية على همزة الوصل في الفعل فحُذفت الوصل لأنّ القطع هي الأقوى ولأنّه بحذفها لا يلتبس الخبر بالاستفهام ولأنّه من خلال الهمزة الاستفهامية ثمّ التوصل للبدء بالساكن فلم يُعد هناك حاجة لوجود همزة الوصل فبالتالي حذفت رسماً. ووقع هذا في سبعة أفعال بالقرآن.

يُحي الله: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء المحذوفة منع من ظهورها الثقل. على وزن يُفعِلُ. ولكنها رسمت في المصحف بياء واحدة، وذلك أنه: من عادة العرب إذا اجتمعتْ ياءان أو واوان متجاورتان في رسم المصحف يرسمون واحدة ويحذفون الثانية تخفيفاً لكن تُلفظ واوان أو ياءان وصلاً ووقفاً، لذلك أضاف علماؤنا رأس ياء لتدل على الياء المحذوفة (>) ونصّ على ذلك ابن الجزري إمام القراء والمُحققين في كتابه النشر في القراءات العشر، في باب الوقف على مرسوم الخط التنبيه الخامس.

ءاتوا: الأصل فيها آتِ: فأصل التاء وهي ثالث الفعل مكسورة، ولكن حُرّك بالضم لأنّ الأصل فيها (ءاتِيوا) فنُقلت ضمة الياء إلى التاء فسكنت الياء ثمّ حذفت لالتقاء الساكنين (الياء الساكن الأول والواو وهو الساكن الثاني)، وبالتالي ضمّة التاء عارضة وليست أصليّة.

ٱلْحَيَوٰةِ: (الحيوة، النجوة، الزكوة، الصلوة) أربع كلماتٍ كانت تكتبها العرب واواً وذلك حسب مادتها وجذرها (ح ي و) ولكن تُلفظ الألف التي فوقها. وهي من قاعدة الإبدال من قواعد رسم المصحف، حيث أن لفظها ألف، ورسمها واو.

وَبَآءُو : تُزاد الألف في رسم المصحف بعد كل واو متطرفة في جميع مواضعها سواء كانت واوا أصلية مثل (يعفوا)، أوواو زائدة مثل (تفتؤا)، أو واو جمع (كاشفوا) أو واو جماعة (ءامنوا) إلا في سبع كلمات منها واحدة مفرد (يعفو/ النساء) وستة واو جماعة وهي (باءو، فاءو، جاءو، تبوءو الحشر، عَتَو الفرقان، سَعَوْ سبأ) وقيل في الأفعال الأربعة

الأولى لعدم توالي ثلاث حروف علّة حيث إنه لم يكن صورة للهمز في صدر النبوّة هكذا (جاوا).

لِمَ تكفرون: قاعدة لغوية: عند دخول حرف الجر على ما الاستفهامية تحذف منها ألفها رسماً. وذلك في خمس كلمات: [فيمَ، عمَّ، مِمَّ، بِمَ، لِمَ].

يقول الراغب الأصفهاني:

ليحاجُّوكم: يجوز أن يُسمّى ما يحتجُّون به حُجّة، فسمّى الداحضة: حُجّة في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ﴾ [الشورى:١٦]، والمُحاجّة أن يطلب كل واحد أن يردّ الآخر عن حُجّته ومحجَّته.

الأُمّي: هو الذي لا يقرأ ولا يكتب من كتاب، قال قطرب: الأميّة الغفلة والجَهَالة، فالأميّ من وذلك هو قلّ' المعرفة. ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة:٧٨] أي إلا أن يُتلى عليهم، قال الفرّاء: هم العرب الذين لم يكن لهم كتاب].

أفتطمعون: الخطاب للمؤمنين والهمزة استفهاميّة.

أن يؤمنوا لكم: أن ينقادوا لكم بالطّاعة.

كلام الله: الآيات البينات.

يُحرِّفونه: يتأوَّلونه على غير تأويله.. ويُبدّلونه.

عقلوه: فهموه على الجليّة.

وهم يعلمون: يعلمون أنّهم مُخطئُون فيما حرّفوه وأوّلوه.

خلا بعضهم إلى بعضٍ: مضى إليه، أو انفرد معه.

وإذا لقُوا: أُناسٌ من اليهود آمنوا ثمّ نافقوا.

لا يعلمون الكتاب: أي لا يدرون ما فيه، جهلة بكتابهم وهو التوراة.

للذين يكتبُون الكتاب بأيديهم : هؤلاء صنف آخر من اليهود وهم الدُّعاة إلى:

١. الضلال بالزُّور والكذب على الله.
٢. وأكل أموال الناس بالباطل.

فجاء الويل مرّتين وذلك:

١. ويلٌ لهم ممّا كتبتْ أيديهم من الكذب والافتراء.
٢. ويلٌ لهم مما كسبوا من السُّحت الذي أكلوه.

معدودة: قليلة.

سؤال١:

ما معنى ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣]؟

١. الكلام الطيب الليّن.
٢. لين الجانب وخفض الجناح.
٣. الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.
٤. هو كل خلق حسن رضيهُ الله.
٥. وجاء الأمر بأن يقولوا حُسناً بعد ما أمرهم بالإحسان إليهم بالفعل، فجمع بين طرفي الإحسان الفعلي والقولي.
٦. تعليمهم العلم.
٧. النّهي عن الكلام القبيح للناس حتى للكفّار.

أقررتُم: اعترفتُم وأقررتُم بمعرفة هذا الميثاق وصحته وتشهدون به.

أشدّ العذاب: وذلك جزاءً على مُخالفتهم كتاب الله الذي بأيديهم.

فلا يُخفّفُ: لا يُفتّرُ عنهم ساعةٍ واحدة، باقٍ على شدّته، ولا يحصل لهم راحة بوقت من الأوقات.

ولاهم ينصرون: ليس لهم ناصر ينقذهم ممّا فيه من العذاب الدائم، ولا يدفع عنهم مكروه.

وعملوا الصالحات: قال العلامة السعديّ رحمه الله: ولا تكون الأعمال صالحة إلا بشرطين: ما كان أخلصه وأصوبه:

١. أن تكون خالصة لوجه الله.
٢. أن يكون مُتَّبعاً بها سنة رسوله.

أفتُؤمنون ببعض الكتاب : هو فداء الأسير.

وتكفرون ببعض: هو القتل والإخراج من البيوت (الجَلاء).

وقفّينا: أتبعنا.

من بعده بالرسل: الرُّسل الذين يحكمون بالتوراة إلى أن ختم أنبياءهم بعيسى.

وأيّدناهُ: قوّاه الله سبحانه.

بروحِ القُدس: أكثر المُفسّرين على أنه جبريل عليهم السلام وقيل إنه الإيمان الذي يُؤيد الله به عباده.

غُلْف: عليها غلاف وأغطية لا تفقه ما يسمعون وهذا كذبٌ منهم وهناك رأي آخر: قال ابن عباس (غلف أي أوعية للعلم) أي جمع غلاف أي أوعية بمعنى: أنهم ادّعوا أنّ قلوبهم مملوءة بعلم لا يحتاجون معه إلى علم آخر كما كانوا يفتون بعلم التوراة.

فقليلاً ما يُؤمنون: تقول العرب: قلّما رأيتُ مثل هذا قط، تُريد: ما رأيت مثل هذا قط إذن: فقليلاً ما يؤمنون وهم بالجميع كافرون.

سؤال ٢:

كيف ردّ اللهُ على دعواهم {لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا...}[آل عمران:٢٤]؟

أخبر الله تعالى أنّ صدق دعواهم مُتوقّفة على أحد هذين الأمرين اللذين لا ثالث لهما:

١. إمّا أن يكونوا قد اتخذوا عند الله عهداً فتكون دعواهم صحيحة.
٢. وإمّا أن يكونوا مُتقوّلين عليه فتكون كاذبة. فيكون هذا أبلغ لخزيهم، وقد علم من حالهم أنّهم:

أ- لم يتّخذوا عند الله عهداً لتكذيبهم كثيراً من الأنبياء حتى وصلت بهم الحال إلى أن قتلوا طائفة منهم.

ب- ولنُكولهم عن طاعة الله ونقضهم المواثيق فتعيّن بذلك أنهم مُتقوّلون مُختلقُون قائلون عليه ما لا يعلمون، والقول على الله سبحانه بلا علم من أعظم المُحرّمات وأشنع القبيحات.

سؤال ٣:

ما معنى ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾؟

هذا يعمُّ كلَّ إحسانٍ قولي وفعلي... والأمر بالشيء نهيٌ عن ضدّه وللإحسان ضدّان:

١. الإساءة: وهي أعظم جُرماً.
٢. ترك الإحسان بدون إساءة: وهذا محرّم لكن لا يجب أن يلحق بالأول.

وتفاصيل الإحسان لا تنحصرُ بالعدّ بل تكون بالجدّ.

سؤال ٤:

ما المقصود بالآيات الثلاثة من قوله تعالى: {﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ" إلى قوله تعالى... وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ الآيات: (٨٤، ٨٥، ٨٦).

ذلك أنّ الأوس والخزرج وهم الأنصار كانوا قبل مبعث النبي عُبّاد أصنام وكانت بينهم حروب كثيرة على عادة الجاهلية، وكانت يهود المدنية ثلاث قبائل: بنو قينُقاع، بنو النضير هم حلفاء الخزرج، وبنو قريظة حلفاء الأوس، فكانت الحرب إذا نشبتْ بينهم كالآتي:

١. قاتل كل فريق مع حلفائه فيقتل اليهودي أعداءه من الفريق الآخر.
٢. ويقتل اليهوديُّ اليهوديَّ الآخر حليف مُقاتليه (وهذا حرامٌ عليهم بنصّ ميثاق الله معهم).
٣. ويُخرجونهم من بيوتهم إذا حصل جلاء.
٤. وينتهبون ما فيها من الأثاث والأمتعة والأموال ويأخذون سباياهم (وهذا حرامٌ عليهم بنصّ ميثاق الله معهم).

ثمّ إذا وضعتْ الحرب أوزارها وكان قد وقع أسارى بين الطائفتين استفكوا (استفكاك الأسير: دفع فدية لإطلاق سراحه) وكانت الأمور الثلاثة السّابقة قد فُرضت عليهم:

١. أن لا يسفك بعضهم دم بعض.
٢. لا يُخرج بعضهم بعضاً من منزله ولا يُظاهر عليه.
٣. إذا وجدوا أسيراً منهم وجب عليهم فداؤه.

وذلك أنّ أهل الملّة الواحدة بمنزلة النفس الواحدة كما قال ﷺ : "مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتواصلهم بمنزلة الجسد الواحد إذا اشتكى..." رواه البخاري ومسلم. فآمنوا ببعض الكتاب وهو (فداء الأسير).

وكفروا ببعضه وهو (القتل والإخراج) وفيهما أكبر دليل على أنّ الإيمان يقتضي فعل الأوامر واجتناب النواهي وأنّ [المأمورات من الإيمان].

سؤال ٥:

ما الحكمة من اتجاه الخطاب إلى الجماعة المسلمة يُحدّثهم ربُهم عن بني إسرائيل؟

١. القرآن الكريم يُبصّرها بأساليبهم ووسائلهم في الكيد والفتنة.
٢. يُحذرّها كيدهم ومكرهم على ضوء تاريخهم وجبلّتهم.
٣. يُبين لهم أقوالهم ودعاويهم ووسائلهم الماكرة في الفتنة والتضليل.
٤. يدلُّ طول هذا الحديث عن بني إسرائيل وتنوع أساليبه على ضخامة ما كانت تلقاهُ الجماعة المسلمة من الكيد المنصوب لها والمرصود لدينها من اليهود.
٥. تُضعف أو تُبطل كيد اليهود في وسط الصف المسلم.
٦. تكشف دسائسهم وأحابيلهم.
٧. تُدرك الجماعة المسلمة طريقة اليهود في العمل والكيد والادعاء على ضوء ما وقع منهم في تاريخهم القديم.

سؤال ٦:

يقصُّ القرآن على المسلمين من أحوال بني إسرائيل: إنّهم فريقان فما هما؟

١. فريق أميّ جاهل، لا يدري شيئاً من كتابهم الذي نزل عليهم، ولا يعرف منه إلا أوهاماً وظنوناً، وإلا أماني في النجاة من العذاب، بما أنّهم شعب الله المختار المغفور له.
٢. فريقٌ يستغل هذا الجهل وهذه الأميّة فيزوّر على كتاب الله ويُحرّف الكلم عن مواضعه بالتأويلات المُغرضة، ويكتم عنه ما يشاء، ويبدي منه ما يشاء، ويكتب كلاماً من عند نفسه يُذيعه في الناس باسم أنّه من كتاب الله ليربح ويكسب.

الأماني والدّعاوي التي يتوهّمها بنو إسرائيل

١. يحسبون أنّهم ناجون من العذاب مهما فعلوا فهم مغفورٌ لهم كل ما يعملون وما يرتكبون من آثام.
٢. أن النّار لن تمسّهم إلا أياماً معدودات يخرجون بعدها إلى النعيم.
٣. أنهم شعب الله المختار.

٤. أنّ عندهم الكفاية من تعاليم أنبياءهم وأنّهم ماضون على شريعتهم ووصاياهم.
٥. أنّهم وحدهم هُم المُهتدون.
٦. أنّهم وحدهم هُم الفائزون في الآخرة، ليس لغيرهم من الأمم في الآخرة عند الله نصيب.
٧. إنّ الجنة وقفٌ عليهم لا يدخلها سواهم.
٨. أنهم وحدهم الذين ينالهم ثواب الله.
٩. أن فضل الله لهم وحدهم دون شريك.
١٠. وهنا يُكذّب القرآن هذه الدّعاوَى، ويُقرّ قاعدةً من قواعده الكليّة التي تتخلَّل القصص القرآني، وهي: قاعدة وحدة الإيمان، وحدة العقيدة، إسلام النفس لله، والإيمان بالله ينبثق منه العمل الصالح، وأنَّ فضل الله ليس حجراً محجوراً على عُصبةٍ خاصة، إنّما هو للمؤمنين أجمعين في كل زمانٍ ومكان، كلٌ بحسب دينه وما كان عليه.

سؤال ٧:

في التعبير القرآني ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة:٨٠] خاصيّة من خواص التعبير القرآني وضّحها كما ذكرها سيدٌ؟

قال سيدٌ: (إنّ المعنى الذهني المقصود هو اجتراح الخطيئة، ولكن التعبير يومئ إلى حالة نفسيّة معروفة؛ فالذي يجترح الخطيئة لو كرهها وأحسنّ ما فيها من خسارة يهرب من ظلّها، ويستغفر منها، ويلوذ إلى كنفٍ غير كنفها، وفي هذه الحالة لا تحُيط به، ولا تملأ عليه عالمه، ولا تغلق عليه منافذ التوبة والتفكير: أما التعبير أحاطت: أي تجسيم لهذا المعنى الذي يُصوّر المُجترح الآثم لو لم يكره خطيئته: يعيش في إطارها، ويصبح حبيسها، ويتنفس في أجوائها، ويحيا معها ولها، عندئذٍ تُغلق عليه كل منافذ التوبة في سجنها عندها يحقّ ذلك الجزاء العادل الحاسم والجواب القاطع والقول الفصل في هذه الدعوى في صورة كليّة من كليّات التصوُّر الإسلامي هي (إنّ الجزاء من جنس العمل)، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[البقرة:٨٠] وأتبعهم بالفريق الثاني ووصفه ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [البقرة:٨٢] من مقتضيات الإيمان أن ينبثق من القلب في صورة العمل الصالح.. وما أحوجنا أن نستيقن هذه الحقيقة: أنّ (الإيمان لا يكون حتى ينبثق منه العمل الصالح).

سؤال ٨:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [البقرة:٨٣] ماذا تضمن ميثاق الله معهم؟

١. القاعدة الأولى للتوحيد المطلق ألا يعبدوا إلا الله.
٢. الإحسان إلى الوالدين وذي القُربى واليتامى والمساكين.
٣. خطاب الناس بالحسنى وفي أولها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٤. فريضة الصلاة وفريضة الزكاة وهذه الأربعة في مجموعها هي قواعد الإسلام وتكاليفه.

سؤال ٩:

ما هو الدّافع لبني إسرائيل على مخالفة ميثاقهم مع الله سبحانه؟

الدافع هو استمساكهم بميثاقهم مع المشركين في حلف يقتضي مُخالفة دينهم وكتابهم، فإنّ انقسامهم إلى فريقين وانضمامهم إلى حلفين، هو خطة بني إسرائيل التقليدية في [إمساك العصا من الوسط] والانضمام إلى المُعسكرات المتطاحنة كلها من باب الاحتياط لتحقيق بعض المغانم على أية حال، وضمان مصالح اليهود في النهاية سواء انتصر هذا المعسكر أم ذاك، وهي خطة من لا يثق بالله، ولا يستمسك بميثاقه، ويجعل اعتماده كلّه على الدهاء، ومواثيق الأرض، والاستنصار بالعباد، والإيمان يحرم على أهله الدخول في حلف يناقض ميثاقهم مع ربّهم، ويناقض تكاليف شريعتهم باسم المصلحة أو الوقاية، فلا مصلحة إلا في اتباع دينهم، ولا وقاية إلا بحفظ عهدهم مع ربّهم وهذه هي قصّة شرائهم الحياة الدنيا بالآخرة.

سؤال ١٠:

لماذا قالت اليهود ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾؟ وكيف ردّ الله تعالى على قولتهم؟

أي إنّ قلوبنا مُغلفة لا تنفذ إليها دعوة جديدة ولا تستمع إلى داعية جديد، قالوها:

١. تَيْئيساً لسيدنا محمد ﷺ والمسلمين من دعوتهم إلى هذا الدين.
٢. تعليلاً لعدم استجابتهم لدعوة الرسول.

وردّ الله عليهم ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة:٨٨] أي أنه طردهم وأبعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فهم قد كفروا ابتداءً فجازاهم الله على الكفر بالطرد وبالحيلولة بينهم وبين الانتفاع بالهدى، ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ لها معنيان:

الأول: قليلاً ما يقع منهم الإيمان، بسبب هذا الطرد الذي حقّ عليهم جزاء كفرهم.

الثاني: أنّ هذه حالهم أنهم كفروا فقلما يقع منهم الإيمان فهي حال لاصقة بهم يذكرها تقريراً لحقيقتهم، وكلا المعنيين يتفق مع المناسبة والموضوع كما يقول سيد.

سؤال ١١:

ما هي الصّفقة التي كسبها اليهود نتيجة حَسدهم لرسول الله أن يختاره الله للرسالة التي انتظروها فيهم؟

اشتروا أنفسهم بالكفر وبئيس الثمن، وبئست الصفقة، وكأنّ هذا الكفر هوا لثمن المُقابل لأنفسهم، والإنسان يُعادل نفسه بثمن ما، يكثر أو يقل، أمّا أن يُعادلها بالكفر فتلك أبأس الصفقات وأخسرها، ولكن هذا هو الواقع، وإن بدا تمثيلاً وتصويراً لقد خسروا أنفسهم في الدنيا فلم ينضمُّوا إلى الموكب الكريم العزيز، ولقد خسروا أنفسهم في الآخرة بما ينتظرهم من العذاب المُهين، وبماذا خرجوا في النهاية؟ خرجوا بالكفر، هو وحده الذي كسبوه وأخذوه، وكان هذا حسداً وبغياً منهم لرسول الله فعادوا من هذا الظلم يغضب على غضب، وهناك ينتظرهم عذاب مهين جزاء الاستكبار والحسد والبغي الذميم، وهي طبيعتهم الكنود، طبيعة الأثرة الضيّقة التي لا تشعر بالوشيجة الإنسانية الكبرى، فقرّر الله خسارة الصّفقة التي اختاروها.

سؤال ١٢:

بيّنت الآيات فئات المجتمع اليهودي، ما هي؟

١. فريق العلماء والأحبار هم مجرمون لأنهم يسمعون كلام الله لا للطاعة بل ليبحثوا عن نقاط ليُحرّفوها.

٢. الفريق الثاني: المنافقون منهم وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض يعتدُّون بأنفسهم.

٣. الفريق الثالث: عامّة الشعب اليهودي وهم الأُميّون.

لطائف لغويّة وفرائد قرآنيّة

أو أشد قسوة: تشبيه خفي ضمني أن قلوبهم كشيء أشد قسوة من الحجارة كالحديد أو كالرصاص مثلاً، فالحجارة قد تفتَت وتشقق والحديد ربما يلين لكن القرآن يخاطب الناس من بيئتهم وطبيعتهم لذلك شبّهها بالحجارة.

أفتطمعون: استفهام إنكاري يفيد النفي أي لا تطمعوا أبداً أيها المؤمنون في إسلام اليهود. ولم يُسلم من اليهود إلا اثنان.

ثمّ يُحرّفونه: الأصل في السّامع التطبيق المباشر لكنهم انتقلوا من التطبيق إلى التحريف والأصل الذي يُحرّف هو الذي يقرأ غالباً، أما هنا جاء التعبير من كبر جُرمهم يسجلون ممّا يسمعون ما الذي سيُحرفونه من كلام الله لا يُكلفون أنفسهم أن يقرأوا ثم يأتوا بأقلامهم ليُحرّفوه، فالسّماع هنا هو إجرام منهم، لا بقصد السماع للطاعة بل بقصد البحث عن نقاط ليُحرّفوها وثمّ: هنا للتراخي الرّتبي، انتقلوا من جُرم السّماع إلى جُرم التحريف.

من بعد ما عقلوه : وكأنّهم بالجُرم المشهود، عن سابق إصرار وتصميم منهم، لأنّ الذي يقع بالمعصية يستحليها وينتقل إلى غيرها.

فتح الله عليكم : يزعمون أن الله قد فتح عليهم، والفتح لا يكون إلا بالحق والخير.

عند ربكم: المقصود ما عند اليهود من عقيدة الإيمان بالآخرة، ربكم: سوء أدب، لم يقولوا ربنا بل ربكم حتى يشعروا الشعب اليهودي أننا نحن العلماء والأحبار لنا خاصيّة عند الله، أنتم لستم كذلك ليس لكم علاقة بهذا التكريم، حتى بين بعضهم البعض يوجد هذا الكبرياء والاعتداد بالنفس.

أوَلا يعلمون أنّ الله يعلم ما يُسّرون وما يعلنون: ما يُعلنُونه للمسلمين:

أولا: الهمزة استفهامية للتوبيخ. ما يُسرّون لها معنيان: أما أن تكون ما اسم موصول بمعنى الذي، أو: ما مصدريه أي يعلم سرّهم وعلانيتهم.

أُميّون: صفة الأميّة صفة قدحٍ إلا في حق محمد فهي صفة مدحٍ وذلك لأنّ أمّته قد علَّمت العالم إلى يوم الدين.

وإن هم إلا يظنون: إنْ: تفيد التشكيك يظنون: ظنٌّ كاذب.

فويلٌ: لها معنيان إما: وادٍ في جهنم، أو كلمة مطلقة تفيد الوعيد الشديد المطلق المهول هي أوسع من الواد بكثير.

يكتبون الكتاب بأيدهم : مجاز لغوي وذلك لأن الكتابة بأقلامهم، ذكر الكل وأراد الجزء ليبيّن عظم الجُرم الذي قاموا به: تماماً كالآية: {جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ} هو إصبع واحد ولكن ذكر الكل وأراد الجزء.

ثمّ يقولون هذا من عند الله: ثمّ: تراخٍ رُتبي، ألفوا كتاب جديد ثم كذبوا وقالوا هذا من عند الله، ليشتروا: لام التعليل. به: أي بهذا الفعل، ثمناً كبيراً مادياً ذا ربح، لكنه قليل لأنّ المشترى شيء دنيس. وويلٌ لهم مما يكسبون. مماً تلذذوا به وربحوا بالكسب وفرحوا بالمعصية.

وقالوا لن تمسّنا : لن تُفيد النفي المؤبّد.

كسب **سيئة**: الأصل في الكسب يكون ربح، وجاء الكسب للمعصية لأنّهم استمتعوا فيها، لأنها جاءت بالسيئة. فاستلذّوا بها وتلذّذوا فقد كسبوا، كما قال أحد الصالحين [المعصية ولودٌ حقود، والطاعة ولودٌ ودود].

وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل: وهل عبادة الله وبّر الوالدين والدفء الاجتماعي يحتاج إلى ميثاق وعهد، وتقديم الصدقات للفقراء والمساكين، إنّما أخذ الله عليهم الميثاق لسوء طباعهم وسوء أخلاقهم وجبلتهم الحاقدة. إذْ هناك مشهد مستقل قائم بذاته اقتضى أن يأخذ الله عليهم الميثاق، والأخذ: كان فيه عَنَت ومشقّة واستقصاء من الطرف الآخر ونكوص ونكوث وهل ينكث الابن أباه، أخذنا: أي بالقوة والإرادة والمشيئة، نا: نون العظمة. وسرُ التعبير بيني إسرائيل مرّ سابقاً التجديد لمخاطبتهم بأبيهم يعقوب وهو إسرائيل يا أحفاد النبي الصالح: هل رعيتم هذه المواثيق.

لا تعبدون إلا الله: قال الزّمخشري: (لا تعبدون إخبار بمعنى اعبدوا الله إنما جاء النهي ليدل على نفسية بني إسرائيل). وفيه إشارة أخرى أن بر الوالدين ليس فقط بشريعة الإسلام بل بالشّرائع السابقة أيضاً. وجاء التعبير بالوالدين ولم يقل بالأب والأم لأنّ التعبير بالوالديّة وقضية الولادة فيه كثرة العواطف والإحساس ليعُمّ كل والدين ويُعطي تلك الصورة المستقلة

وجاءت التوصية في السنة النبوية المطهرة بالأب والأم والسنة تكمّل الكتاب.

وجاء التعبير بالوالدية أيضاً لليهود ولجبلّة الناس عُموماً نوعٌ من استثارة الأبناء في غاية الدقة، فالتي ولدت هي الأم وإنما ذُكر الوالدان من باب التغليب، فالأب دخل في الموضوع دخولاً أغلبياً، ولاعتبار أنّ الأب تكفّل بالنفعة وتحصيل لُقمة العيش.

إحساناً: مصور نائب عن فعله، أو مفعول مطلق لفعل محذوف وجوباً تقديره أحسنْ، وهنا مُبالغة للإحسان لأنّ المصدر هو غاية قوة الفعل، فعبّر بأقصى ما يمكن من قوة الفعل.

القُربى: وهي درجات، وأولى درجاتها الأرحام.

اليتامى: قد يكون من ذوي القربى يتامى ومساكين،وإنما سلط الضوء على اليتامى لأنّهم محتاجون مزيداً من العناية.

المساكين: ضعفوا عن طلب الرزق والاكتساب، فالمسكين إذا قلّ ماله، وضعف عن طلب الكسب، فليسعفه القول إن لم يسعفهُ الحال، ويلاحظ أنّ هذا الميثاق جامعٌ مانعٌ، وهو أساس التعامل مع البشر.. كما يُلاحظ أن الصلاة والزّكاة والعبادات الأخرى تأخّرت بعد العلاقات الاجتماعيّة، قال أبو الأعلى المودودي (إنّما وجدت العبادات من الصلاة والزكاة والصيام والحج في المحراب الصغير دعماً لأخلاقه في المحراب الكبير). والمقصود بالمحراب الكبير: الأرض. فالمسلم يجب أن يكون دافئ اللسان طلق المُحيا، صاحب خلق راقي رفيع نبيل، صاحب صيت حسن، وسمعة، طيبّة، وابتسامة مُشرقة.

توليتم: تفيد نكث العهد والميثاق + سوء النكث (أعطوا ظهورهم للأوامر والنواهي التي بالميثاق).

وأنتم معرضون : الواو: واو الحال: الحال أصلاً (أنكم في إعراضٍ عن الحق)، وجاءت جملة الحال جملة إسمية لبيان أنّ هذا الإعراض راسخٌ في جبلتهم دائمٌ في بني إسرائيل لا ينفكّ عنهم.

أولئك: اسم إشارة يستخدم للبعيد، وذلك هنا لبعد منزلتهم في السُّوء، أي أنّهم بلغوا مبلغاً بعيداً في السوء.

استكبرتم: (ا س ت) هذه الحروف الثلاثة عند دخولها على الفعل يدل على الطلب ومبالغة في الفعل. أنّهم استخرجوا كل فيروسات الكبر والعتو والعناد في أنفسهم، وهذا أدنى وضع عندهم.

ففريقاً كذبتم: من الأنبياء والرسل، والميم للجمع، والفعل ماضٍ دلالةً على أنّهم جاهزون دائماً للتكذيب، وتكذيب الرسل أمرٌ جاهزٌ فيهم.

وفريقاً تقتلون: الفعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون لأنّه من الأفعال الخمسة. وجاء بالمضارع ليفيد الاستمرارية، استمراريّة السوء ووضع أعلى الأعلى. حاولوا قتل عيسى، وحاولوا قتل الحبيب محمد وهو في سنّ السادسة، وبعدها مُحاولات كثيرة، ثم بالسّمّ من زينب بنت الحارث وعندما أكل منها الحبيب قال (ما زال سُمّها في داخلي حتى أثّر في أبهري).

فقليلاً ما يؤمنون:

١. إمّا أن تكون ما موصولة بمعنى الذي أي قليلاً الذين يؤمنون فيهم.

٢. أو أن تكون ما مصدريّة أي مصدر لنفس الإيمان أي قليلٌ هو إيمانُهم، إنْ كان ثمة إيمان في قلوبهم، فإيمانُهم قليل لا يُسعفهم بدخول الجنة ولا يخفف عنهم العذاب.

مُصدّقٌ لما معهم: أي مؤكدٌ، لم يقل لما عندهم، بل معهم بأيديهم من صُحف تُثبت أنّ محمداً رسول الله ﷺ.

يقول الراغب الأصفهاني في "مفردات غريب القرآن":

الرُّوح: في الأصل واحد هي والرَّوْح: وجُعل الروح اسماً للنفس، وذلك لكون النفس بعض الروح، كتسمية النوع باسم الجنس، نحو تسمية الإنسان بالحيوان، وجُعل اسماً للجزء الذي به تحصل الحياة والتحرك واستجلاب المنافع واستدفاع المضارّ، وسُمي أشراف الملائكة أرواحاً، وسّمّي به جبريل، وسُمّي عيسى روحاً، وذلك لما كان له من إحياء الموتى وسُمّي القرآن روحاً، وذلك لكونه سبباً للحياة الأُخروية.

والرَّوْح: التنفُس، وقد أراح الإنسان إذا تنفّس.

روح القدس: جبريل عليه السلام، والإضافة فيه من إضافة الموصوف إلى الصفة، أي الروح المُقدس، ووصف بالقُدس لطهارته عن مُخالفة ربه

في شيء، وسُمي روحاً لمُشابهته الروح الحقيقي في أنَّ كلاً منهما مادَّة الحياة للبشر، فجبريلُ عليه السلام من حيث ما يحمل من الرسالة الإلهية تحيا به القلوب، والروح تحيا بها الأجسام.

الرُّبع السادس

﴿ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [البقرة: ٩٢]

- معـــــــاني الكلمـــــــات.
- الشـــرح والتفســير والبيـــان.
- ســـــتة عشـــر ســـؤالاً.
- لطـائف لغويـة وفوائـد قرآنيـة.
- تميَّــزوا حتـــى في مصــطلحاتكم.

الرُّبع السادس
معاني الكلمات

ثمّ اتخذتم العجل: الذي صنعه لكم السامريّ إلهاً تعبدونه.

وأشربوا في قلوبهم العجل : أي داخل قلوبهم وخالطها حبُ عبادته، كما يدخل الصِبغُ الثوب. وأصل الإشراب: مخالطـةُ المائع للجامد، ثم اتّسع فيه حتى جعل في الألوان، نحو: أشرب بياضُهُ حُمْرةً، وحذف المضافان للعلم بهما، وفي ذلك مبالغةٌ.

خالصةً: أي مخصوصة بكم كما تزعمون، يقال: هذا الشيء خالصةٌ لك، أي: خالصٌ لك خاصّة.

ومن الذين أشركوا: أي وأحرص على الحياة من المشركين الذين لا يرجون بعثاً بعد الموت فهم يُحبّون طول الحياة، واليهود أحرص على الحياة منهم، لعلمهم بأنّهم صائرون إلى العذاب، ومن توقع ذلك كان أحرص الناس على أسباب التباعد منه.

من كان عدواً لجبريل: عادى اليهود جبريل لزعمهم أنه أمر أن يجعل النبوّة فيهم فجعلها في غيرهم، أو لأنّه نزل بالقرآن على محمد فأخبر تعالى أنه من كان عدواً لجبريل فلاحق له في عداوته لأنه لم ينزل بالقرآن من تلقاء نفسه، وإنما جاء به بأمره تعالى، مُصّدقاً لما سبقه من الكتب وهادياً ومبشراً للمؤمنين، وعداوتهم إنما هي عداوة لله سبحانه.

على قلبك: نزّله عليك، وذكر القلب لأنّه هو القابل الأول للوحي، ومحلُّ الحفظ والفهم.

أوَكلّما: الهمزة استفهاميّة، والواو استئنافية. طرحوه ونقضوه، وهو إلقاء الشيء وطرحُهُ لقلّة الاعتداد به، وفعله من باب ضرب.

لو يُعمّر: لو يطولُ عمرُهُ.

نبذه: طرحه ونقضه.

تتلوا الشياطين: تقرأ، أو تكذب من السحر، أو تُخبر وتُحدّث.

نحن فتنة: ابتلاء واختبار من الله تعالى. حتى يقولا: أي ينصحاه.

خلاق: نصيب من الخير أو قدْرٍ وهو ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة وتخلّق به.

وراء ظهورهم: هذا أبلغ في الإعراض كأنّهم في فعلهم هذا من الجاهلين، وهم يعلمون صدقه وحقيقة ما جاء به.

شَرَوا به أنفسهم: باعوا به أنفسهم.

قولوا انظُرْنا: انظُر إلينا، انتظرنا، أمهلْنا، تأنَّ علينا.

واتَّبعوا ما تتلوا: أقبل اليهود لمّا نبذوا التوراة على كتب السحرة من أهل بابل، التي كانت تُخبِر بها الشياطين الكهنة في عهد سليمان، وزعموا أنها علم سليمان، وأنه كان ساحراً، ولم يتمّ له المُلك والسلطان على الإنس والجن والطير والرّيح إلا به فأكذبهم الله بهذه الآية، فالتلاوة بمعنى الأخبار ولتضمُّن الفعل معنى الكذب عُدِّي بعلى.

لمثوبةٌ: لأجرٌ وجزاء. وسُمي بذلك لأن المُحسن يثوب إليه ويرفع.

تميَّزوا حتى في مصطلحاتكم

راعِنا: راعنا: من الرعاية والنظر والمُراعاة: وهي المبالغة في الرّعي، وهو: حفظ الغير وتدبير أموره وتدارك مصالحه، يريدون: راقبنا وتأنّ بنا حتى نفهم كلامك ونحفظه، وكانت هذه اللفظة بلغة اليهود سباً قبيحاً، كانوا يُميّلون ألسنتهم في نطق هذا اللفظ وهم يُوجّهونه للنبي حتى يؤدّي معنىً آخر مُشتقاً من الرعونة، أو بمعنى: اسمعْ لا سمعت، أو يا أحمق أو يا أرعن، وهي من الحماقة والخفّة ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ [النساء: ٤٦] فقد كانوا يخشون أن يشتموا النبي مُواجهةً فيحتالون على سبّه ﷺ عن هذا الطريق المُلتوي الذي لا يسلكه إلا صغار السفهاء، ومن ثمّ جاء النهي للمؤمنين عن اللفظ الذي يتخذه اليهود ذريعة، وأمروا أن يستبدلوا به مُرادفه في المعنى الذي لا يملك السفهاء تحريفه وإمالته، كي يُفّوتوا على اليهود وغرضهم الصغير السفيه، وهو انُظْرنا. وهذه الآية أصلٌ في سدّ الذرائع.

إذن: نهى الله سبحانه المؤمنين أن يقولوا للنبي ﷺ ﴿رَٰعِنَا﴾وأمروا أن يستبدلوا به مُرادفه للمعنى الذي لا يملك سفهاء اليهود تحريفه وإمالته، كي يفُوتوا عليهم غرضهم الصغير السّفيه، واستخدام مثل هذه الوسيلة من اليهود ليَشِي بما يلي:

١. بمدى غيظهم وحقدهم.
٢. كما يشي بسوء الأدب.
٣. خسّة الوسيلة.
٤. انحطاط السُلوك.

والنّهي الوارد بهذه المناسبة يُوحي بما يلي:

١. رعاية الله لنبيّه.
٢. رعاية الله للجماعة المسلمة.
٣. دفاع الله عزّ وجلّ عن أوليائه بإزاء كل كيدٍ وكل قصدٍ شرير من أعدائهم الماكرين.

ولأنّ الله اختصّهم برحمته وفضله واختارهم لهذا الخير ونزّل عليهم القرآن ويحُبّهم ويحبُّونه كان لا بُدّ مما يلي:

١. يكشف للمسلمين عمّا تُكنّه لهم صدور اليهود حولهم من الشر والعداء.
٢. يكشف للمسلمين عمّا تنغلُّ به قلوبهم من الحقد والحسد.
٣. ليحذروا أعداءهم.
٤. ليستمسكوا بما يحسدهم هؤلاء الأعداء عليه من الإيمان.
٥. ليشكروا فضل الله عليهم ويحفظوه.

جاءكم موسى بالبيّنات : الأدلة الواضحات المُبيّنة للحق.

من **بعده**: من بعد ذهابه عنكم إلى الطور لمُناجاة الله عزّ وجل.

وأنتم ظالمون: ظالمون في ذلك ليس لكم عذر.

خذوا ما آتيناكم بقوة : سماع قبول وطاعة واستجابة.

ولقد علموا: اليهود.. لمن اشتراه: أي رغب في السحر رغبة المُشتري في السلعة.

فتمنّو الموت: هذا نوع مُباهَلة بينهم وبين رسول الله ﷺ وليس لهم بعد هذا الإلجاء إلا أحد أمرين:

١. إمّا أن يؤمنوا بالله ورسوله.
٢. وإمّا أن يباهلوا على ما هم عليه بأمرٍ يسير عليهم وهو تمنّي الموت الذي يوصلهم إلى الدار التي خالصة لهم مِن دون الناس فامتنعوا عن ذلك.

عن ابن عباس قال: (أي: ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب، فأتوْا ذلك على رسول الله ﷺ ولو تمنّوه يوم قال لهم ذلك ما بقي على الأرض يهودي إلا مات).

وقال الضّحاك عن ابن عباس: (فتمنّوا الموت: فسلوا الموت، قال ابن عباس: لو تمنّى يهود الموت لماتوا)، وقال ابن جرير في تفسيره: (وبلغنا أنّ النبي ﷺ قال: "لو أن اليهود تمنّوْا الموت لماتوا، ولرأوْا مقاعدهم من النار ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً).

وسُميتّ هذه المباهلة تمنّياً لأن كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له، ولا سيما إذا كان في ذلك حجة له في بيان حقّه وظهوره، وكانت المباهلة بالموت لأنّ الحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء مآلهم بعد الموت.

بما قدّمت أيديهم: من الكفر والمعاصي.

كُلّما عاهدوا: كلّما تُفيد التكرار، فكلما وجد العهد ترتّب عليه النقض.

واتبّعوا ما تتلوا الشياطين : لمّا كان من العوائد القدريّة والحكمة الإلهية أنّ:

من ترك ما ينفعه وأمكنه الانتفاع به فلم ينتفع ابتلي بالاشتغال بما يضرّه، فمن ترك عبادة الرحمن اُبتُلي بعبادة الأوثان، ومن ترك الذلّ لربّه ابْتُلِيَ بالذلّ للعبيد، ومن ترك الحق ابتُلي بالباطل، كذلك هؤلاء اليهود ولما نبذوا كتاب الله اتبعوا ما تتلوا الشياطين وتختلق من السحر.

إلا بإذن الله: قال العلامة السعدي (وفي هذا دليل على أنّ السحر له حقيقة وأنّه يضرّ بإرادة الله والإذن نوعان: إذن قدري، وهو المتعلّق بمشيئة الله، كما في هذه الآية ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة:١٠٢]، وإذن شرعي كما في الآية ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٩٧] لتدل على أن الأسباب مهما بلغت في قوة التأثير فإنّها تابعة للقضاء والقدر ليستْ مستقلة في التأثير بل تابعة أيضاً للمشيئة ولا تخرج عن قدرة الله سبحانه، ولم يُخالف في هذا الأصل من فرق الأمة غير القدريّة في أفعال العباد زعموا أنّها مُستقلّة غير تابعة

للمشـيئة فأخرجوهـا عـن مشـيئة الله فخـالفوا الكتـاب والسـنة وإجمـاع الصحابة والتابعين).

البيان والتفسير

سؤال١:

﴿قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقـرة:٩٣] مـا هـي الصورة الفنية في الآية الكريمة؟

قال سيّدٌ: (التعبير الأول: قالوا: سمعنا، ولم يقولوا عصينا، ففيم إذن حكاية هذا القول عنهم هنا؟ إنّه التصوير الحي المواقع الصامت كأنّه واقعٌ ناطق، لقد قالوا بأفواههم سمعنا، وقالوا بأعمالهم: عصينا، والواقع العملي هو الذي يمنح القول الشفوي دلالته، وهذه الدلالة أقوى من القول المنطوق، وهذا التصوير الحي للواقع يُوميءُ إلى مبدأ كلّي من مبادئ الإسلام إنه [لا قيمة لقول بلا عمل] إنّ العمل هو المعتبر، أو هي الوحدة بين الكلمة المنطوقة والحركة الواقعة، وهي مناط الحكم والتقدير.

التعبير الثاني: أشربوا: صورة غليظة فريدة، أشربوا بفعل فاعل سواهم، أشربوا ماذا؟ العجل! وأين أُشربوه؟ في قلوبهم! صورة ساخرة هازئة عنيفة، صورة العجل يُدخَلُ في القلوب إدخالاً ويُحشَرُ فيها حشراً، وهو حُبُّهم الشديد لعبادة العجل، حتى لكأنهم أشربوه إشراباً في القلوب، هنا تبدو قيمة التعبير القرآني المصوّر بالقياس إلى التعبير الذهني المفسر، إنه التصوير السّمة البارزة في التعبير القرآني الجميل).

سؤال ٢:

أمر الله نبيَّهُ ﷺ أن يدعو اليهود إلى مُباهلة. كيف كان ذلك؟

زعم اليهود من دعواهم الكاذبة أنّهم وحدهم هم الفائزون في الآخرة وليس لغيرهم من الأمم نصيب عند الله في الآخرة، وأنّ المؤمنين بمحمد ﷺ لا نصيب لهم في الآخرة، والهدف الأول من ذلك: هو زعزعة ثقتهم بدينهم وبوعود رسولهم ووعود القرآن لهم، فأمر الله نبيّه ﷺ أن يدعو اليهود إلى مُباهلة، أي بأن يقف الفريقان ويدعوا الله بهلاك الكاذب منهما "فتمنّوا الموت"، ويُعقب على هذا التحدي بتقرير أنهم لن يقبلوا المباهلة ولن يطلبوا الموت لأنّهم يعلمون أنّهم كاذبون في دعواهم الباطلة، ويخشون أن يستجيب الله فيأخذهم، وعندئذٍ يكونون قد خسروا الدنيا بالموت الذي طلبوه، وخسروا الآخرة بالعمل

السيء الذي قدّموه، ومن ثَمّ فإنهم لن يقبلوا التحدي، فهم أحرص الناس على حياة، وهم والمشركون في هذا سواء.

سؤال ٣:

لماذا جاءت كلمة ﴿حَيَوٰةٍ﴾بالآية الكريمة مُنكّرة غير مُعرّفة؟

خصلة أخرى في يهود، خصلة يُصوّرها القرآن صورة تفيض بالزراية تنضح بالتحقير والمهانة ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة:٩٦] أيّة حياة، لا يهم أن تكون حياة كريمة ولا حياة مُميّزة على الإطلاق! حياة فقط! حياة بهذا التفكير والتحقير! حياة ديدان أو حشرات! حياة والسلام! إنها يهود، في ماضيها وحاضرها ومستقبلها سواء، وما ترفع رأسها إلا حين تغيب المطرقة، فإذا وجدت المطرقة نكّست الرؤوس، وعنت الجباه جُبْناً وحرصاً على الحياة أي حياة!!!

سؤال ٤:

نبّه سيدٌ رحمه الله إلى نعمة الإيمان بالحياة الآخرة. كيف جاء ذلك؟

١. هي نعمةٌ يفيضها الإيمان على القلب، ونعمة يهبها الله للفرد الفاني العاني.
٢. الإيمان بالآخرة إيمانٌ بعدل الله المُطلق وجزائه الأوفى.
٣. الإيمان بالآخرة دلالةٌ على فيض النفس بالحيوية، وعلى امتلاء بالحياة لا يقف عند حدود الأرض. إنما يتجاوزها إلى البقاء الطليق الذي لا يعلم إلا الله مداه، وإلى المرتع السّامي الذي يتّجه صعداً إلى جوار الله، وما أقصر الحياة الدنيا وما أضيقها حين تحسُّ النفس الإنسانية أنّها لا تتصل بحياة سواها.

سؤال ٥:

زعم بنو إسرائيل أنّ جبريل عليه السلام عدّوهم. ما السبب في ذلك؟

لقد سمعوا أنّ جبريل عليه السلام ينزل بالوحي من عند الله على محمد صلوات الله وسلامه عليه ولمّا كان عداؤهم لمحمدّ قد بلغ مرتبة الحقد والخنق فقد لجّ بهم الضغن أن يخترعوا قصة واهية وحجّة فارغة، فزعموا أنّ جبريل عدوّهم وذلك:

١. لأنه ينزل بالهلاك والدمار والعذاب.
٢. لأنّه ينزل بالوحي من عند الله على محمد.

وأنّ هذا هو الذي يمنعهم من الإيمان بمحمد من جرّاء صاحبه جبريل! ولو كان الذي ينزل إليه بالوحي هو ميكائيل لآمنوا، فميكائيل ينزل بالرخاء!! إنّها الحماقة المُضحكة، ولكنّ الغيظ والحقد يسوقان إلى كل حماقة، وجبريل لم يكن بشراً يعمل معهم أو ضدّهم، ولم يكن يعمل بتصميم من عنده وتدبير، إنّما هو عبد الله يفعل ما يأمره ولا يعصي الله ما أمره، فهم كعادتهم في تفريق الدين وتفريق الرسل، فقالوا: إنّهم على صداقة مع ميكائيل أمّا جبريل فلا، لذلك جمعتْ الآية التالية جبريل وميكال وملائكة الله ورسله لبيان وحدة الجميع، ولإعلان أنّ من عادى أحداً منهم فقد عاداهم جميعاً، وعادى الله سبحانه، فعاداه الله، فهو من الكافرين.

سؤال ٦:

ما أثر القرآن على قلب المؤمن كما وضّحه سيد رحمه الله؟

القلب: هو موضع التلقي، وهو الذي يفقه بعد التلقيّ، ويستقر هذا الكتاب فيه ويُحفظ، والقلب يعبَّر به في القرآن عن [قوة الإدراك جملةً] وليس هو هذه العضلةَ المعروفة بطبيعة الحال. وهذه حقيقة يجب إبرازها: أنّ [نصوص القرآن لتسكب في قلب المؤمن من الإيناس وتفتح له من أبواب المعرفة وتفيضُ فيه من الإيحاءات والمشاعر ما لا يكون بغير الإيمان] ومن ثَمّ يجد فيه الهدى كما يستروح فيه البشرى. فالهدى ثمرةُ الإيمان والتقوى والتعيين.

سؤال ٧:

ما هو التعبير المصور لكلمة ﴿نَبَذَ﴾؟

المقصود: أنّهم جحدوه وتركوا العمل به، وأبعدوه عن مجال تفكيرهم وحياتهم، ولكنّ التعبير المصوّر: ينقل المعنى من دائرة الذّهن إلى دائرة الحسّ، ويمثّل عملهم بحركة ماديّة مُتخيّلة، تصوّر هذا التصرُّف تصويراً بشعاً زريا، يتضح بالكنود والجحود، ويتّسم بالغلظة والحماقة، ويفيضُ بسوء الأدب، والقحّة، ويدع الخيال يتملّى هذه الحركة العنيفة، حركة الأيدي تنبذ كتاب الله وراء الظهور.

سؤال ٨:

ماذا قصّ الشياطين عن عهد سُليمان من دعاوى مكذوبة عن سليمان عليه السلام؟

أنّه كان ساحراً، والقرآن ينفي عن سليمان عليه السلام {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ} وكأنّه يعدُّ السحر واستخدامه كفراً، ويُثبته للشياطين، ثمّ ينفي أن السحر مُنزل

على الملكين هاروت وماروت من عند الله (اللذين كان مقرَّهما بابل)، فنفى القرآن هذه الفريّة أيضاً، فرية تنزيل السحر على الملكين، ثم يُبيّن الحقيقة أنّ: [هذين الملكين كانا هناك فتنة وابتلاء للناس لحكمة مُغيّبة، وأنهما كانا يقولان لكل من يجيء إليهما طالباً منهما أن يُعلّماه السحر: إنما نحن فتنة فلا تكفر].

وقد كان بعض الناس يُصرّ على تعلُّم السّحر منهما، على الرغم من تخديره وتبصيره. فيُقرّر القرآن كليّة التصوُّر الإسلامي الأساسية وهي [أنّه لا يقع شيء في هذا الوجود إلا بإذن الله] ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة:١٠٢]] فبإذن الله تفعل الأسباب فعلها، وتنشئ آثارها، وتُحقّق نتائجها، كذلك السحر يُنشئ هذا الأثر بإذن الله وهو قادرٌ على أن يُوقِف هذه الخاصيّة فيه، حين لا يأذن لحكمة خاصّة يُريدها سبحانه، إذن فكلُ مؤثر مُودَعٌ خاصيّة التأثير بإذن الله، فهو يعمل بهذا الإذن ويمكن أن يُوقف مفعوله كما أعطاه هذا المفعول حين يشاء.

سؤال ٩:

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ليس أعظم من نعمة النبوة والرسالة، ونعمة الإيمان والدعوة إلى الله، وفي هذا التلميح شعوران ما هما؟

الشعور الأول: ما يستجيش في قلوب الذين آمنوا الشعور بضخامة العطاء وجزالة الفضل.

والشعور الثاني: ما يُضمره الذين كفروا للذين آمنوا ما يستجيش الشعور بالحذر والحرص الشديد. وهذا الشعور وذكا ضروريان للوقوف في وجه جملة البلبلة والتشكيك التي قادها – ويقودها – اليهود، لتوهين العقيدة في نفوس المؤمنين.

سؤال ١٠:

لماذا جاء التعبيرُ بـِ (ما) الموصولة للضرّر، و (لا) النّافية للنفع؟

قال العلامة السّعدي (ما يضرُّهم ولا ينفعُهُم: أنّ علْمُ السِّحر مضَرَّة محضة، ليس فيه منفعة لا دينية ولا دنيويّة كما يوجد بعض المنافع الدنيوية في بعض المعاصي، كما قال تعالى في الخمر والميسر ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[البقرة:٢١٩]، فهذا السحر مضرّة محضة فليس له داعٍ أصلاً فالمنهيات: كلها إمّا:

١. مضرّة محضة.
٢. أو شرها أكبر من خيرها.

كما أن المأمورات: كلها إمّا:

١. مصلحة محضة.
٢. أو خيرها أكثر من شرّها).

سؤال ١١:

ما الدروس والعبر المُستفادة من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا ﴾.

قال العلامة السعدي: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا ﴾:

١. نهى الله المؤمنين عن هذه الكلمة سدّاً للذريعة.
٢. وفيه قاعدة: النّهي عن الجائز إن كان وسيلة إلى مُحرّم.
٣. وفيه الأدب واستعمال الألفاظ التي لا تحتمل إلا الحسن وعدم الفُحش.
٤. ترك الألفاظ القبيحة أو التي فيها نوع تشويش أو احتمال لأمر غير لائق.

وكذلك جاءت الأحاديث بالإخبار عنهم بأنهم كانوا إذا سلّموا إنما يقولون: السّام عليكم والسّام هو الموت ولهذا أُمْرنا أن نردّ عليهم: وعليكم، وإنّما يُستجاب لنا فيهم ولا يُستجاب لهم فينا.

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ...﴾ [البقرة: ٩٧].

قال ابن كثير ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾: قال الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري رحمه الله: أجمع أهل العلم بالتأويل جميعاً أنّ هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل إذ زعموا أنّ جبريل عدوٌّ لهم وأنَّ ميكائيل وليٌّ لهم، ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك، فقال بعضهم: إنما كان سبب قيلهم ذلك من أجل مناظرة جَرَتْ بينهم وبين رسول الله ﷺ في أمر نبوّته).

قال ابن كثير: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ ...وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ وما أُنزل على الملكين: قال القرطبي: ما نافية. ومعطوفٌ في قوله، وما كفر، وما أُنزل" وذلك أن اليهود كانوا يزعمون أنّه نزل على جبريل وميكائيل فأكذبهم الله وجعل قوله "هاروت وماروت" بدلاً من الشياطين، قال: وصحّ ذلك).

قال سيّدٌ: (وما تزالُ الأمة المسلمة تُعاني من دسائس اليهود ومكرهم ما عاناه أسلافنا غير أنّ الأمة الإسلامية لا تنتفع - مع الأسف – بتلك التوجيهات القرآنية، وبهذا الهدي الإلهي الذي انتفع به أسلافها، فغلبوا كيد اليهود ومكرهم في المدينة، والدّين ناشئ، والجماعة المسلمة وليدة، وما يزال اليهود بلؤمهم ومكرهم يُضلّلون هذه الأمة عن دينها، ويصرفونها عن قرآنها، كي لا تأخذ من أسلحتها الماضية، وعدّتها الواقية، وهم آمنون ما انصرفت هذه الأمة عن موارد قوّتها الحقيقية، وينابيع معرفتها الصافية، وكل من يصرف هذه الأمة عن دينها وعن قرآنها فإنّما هو من عُملاء يهود، سواء عُرف أم يعرف، أراد أم لم يُرِدْ، فيظلّ اليهود في مأمنٍ من هذه الأمة ما دامت مصروفة عن الحقيقة الواحدة المفردة التي تستمدُّ منها وجودها وقُوّتها وغلبتها - حقيقة العقيدة الإيمانية والمنهج الإيماني والشريعة الإيمانية - فهذا هو الطريق، وهذه هي معالم الطريق).

يقول الراغب الأصفهاني: الدار: المنزل، اعتباراً بدورانها الذي لها بالحائط، وجمعُها ديار. والدنيا هي داراً، والدار الدنيا، والدار الآخرة، إشارةٌ إلى المقرَّيْنِ في النشأة الأولى والنشأة الأخرى، وقيل دار الدنيا ودار الآخرة.

ألف سنة: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٦٩].

١. إمّا أن يكون العدد ألف على وجه المجاز لأنَّ العرب كانت تعدّ أكبر عدد عندها هو ألف وهذا هو الرأي الراجح والله أعلم.
٢. أو أن يكون المعنى حقيقي على وجه الحقيقة يقصدون ألف سنة يقول النبي ﷺ: "أعذر الله إلى إمرءٍ طال عمره وساء عمله"، والحديث "خيركم من طال عُمره وحسُنْ عمله".

وممّا يلاحظ بأنّ القرآن الكريم استخدم كلمة عام لأعوام الرّخاء، واستخدم كلمة سنة: لأعوام العذاب والقحوط والمعاناة. فكلمة سنة هنا تعني ما فيها من العذاب والمعاناة والخوف، وهذه إشارة إلى أنهم لا يعيشون حياة الاستقرار والهناء والاطمئنان والراحة والهدأة والسكينة بل عكس ذلك كلّه.

سؤال ١٢:

كان يتنزّل القرآن على قلب الحبيب لا على أذنيه فقط، إلام تشير الآية؟

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزَّمل:٥]، عندما كان يتنزل الوحي على رسول الله ﷺ كان يتفصّد عرقاً، حتى في الليلة الباردة. كان يتلقّى القرآن ﷺ بقلبه وروحه وعقله وجوارحه، وكان ثقيلاً عليه، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها وهي تصف حال النبي عند نزول الوحي عليه وكان رأس النبي على فخذها

(وكأنّ فخذي قُطِعتْ) من شدّة الوحي، فلم يسمعهُ ﷺ في أُذنيه فقط بل بكل كيانه، فالآية: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٩٧]، والآية {﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٤] فكان ينزل القرآن على قلب النبي ليس على أُذنيْه فقط لذلك تلقاه ﷺ بالأمور التالية:

١. بكل أوجه القراءة حتى التي نُسخ منها.
٢. بكل معاني كلماته.
٣. بكل أسماء السُور فيه.
٤. بكل أسباب النزول.
٥. بكل التفاسير فيه.
٦. بمقاطع الآيات فيه.
٧. بترتيب الآيات فيه.
٨. بترتيب السُور فيه.
٩. الابتداء، والوقوف.

فجاءت الآية: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ [الأعلى:٦] أي سنُقرئك قراءةً لا تنسى بعدها أبداً، فكانت الآية تُنقش في ذهنه ﷺ نقشاً، وتُحفرُ في قلبه وفؤاده وكيانه حفراً، وتُمزج مزجاً بكل تعابيرها ومعانيها وأبعادها وتفاسيرها وأوجه قراءتها، لا تنسى: لا نافية، تنسى: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمّة المقدّرة على الألف منع من ظهورها التعذّر [٤].

ولقد أنزلنا: تُشير إلى قسم جوابه محذوف. وكأنّ اللفظ والله يا محمد لقد أنزلنا، والقسم هنا للتوكيد والتأنيس فالقسم ضمني غير صريح، واللام دخلتْ على قد تُفيد التوكيد. والتأنيس هنا لصالح الحبيب محمد ﷺ و(نا) في أنزلنا: نون الرعاية والأُنس والعظمة.

عليك وإليك: تُشيران إلى الفترات المتتالية أي منذ القديم عليك وإليك الفترة الجديدة. وتُفيد الاختصاص والجو مُضطرب بين اليهود وأصحاب النبي فيحتاج النبي إلى شدّ الأزر والتشجيع والتقوية وشدّ العضد، لا تكترث بهم يا محمد ولا تهتم فإنّ ربك هو الذي يدير المعركة.

(٤) إضاءات في علم التجويد: د. أيمن سويد.

سؤال ١٣:

هل كلمة (شياطين) جمع مذكر سالم أم مُلحق به؟

لا هذا، ولا ذاك، لأنها لا تجمع على وزن (شياطون)، بل هي جمع تكسير، كبُستان بساتين، فستان فساتين، وإنّما الاختلاف في جذرها. وفي نونها هل هي نون أصليّة أم لا. إن كان الجذر شَاط بمعنى احترق. فالنون ليست أصليّة فيها. وإن كان الجذر فيها شَطَنَ بمعنى ابتعد.. فالنون فيها أصلية وهذا هو الرّاجح عند علماء اللغة: لأنها وردتْ منوّنة في سورة [النساء: ١١٧] ﴿شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا﴾.

سؤال ١٤:

ما معاني كلمة (شيطان) في اللغة؟

تُطلق على ثلاثة إطلاقات:

١. إمّا أن يكون المعنى المقصود هو الشيطان الرجيم وذريته.
٢. أو أتباعه من تمّردوا وخرجوا عن الحق.
٣. أو كثرة الخُبثة من الإنس والجان.

سؤال ١٥:

ما الإشارة من فتح اللام أو كسرها في كلمة (الملكين)؟

بكسر اللام: أي أنهما من البشر، كانا يُتقِنان السّحر ويُظهرا العلاج؛ حتى إنَّ الناس وصفوهم بالملائكة لأنّهما من أهل الصّلاح.

بفتح اللام: على أنهما من جنس الملائكة. قال ابن كثير: "إنهما ملكين نزلا لإظهار المُعجزة وتبيين السحر". وقال القاسمي: "إنهم آدميين من البشر". وعلاقة الموضوع بما سبق أن: ليس غريباً على بني إسرائيل أن يطعنوا في أحد، إن كانوا من قبل قد طعنوا في سيدنا جبريل عليه السلام، والنبي سليمان عليه السلام. ورأي جمهور المفسّرين على أنّهما آدميان من البشر.

حتى يقولا: ألف الاثنين.. والفعل منصوب بأن المُضمرة وجوباً بعد حتى وعلامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة على وزن يفعلان.

يقولا: أي الاثنين معاً دليل على أنّهما مُتفقان. وذلك للأمانة العلمية يخُبرانه بأنه عن ابتلاء واختبار فلا تكفر أيها المتعلّم ينقلّون العلم بدقّة مع التنبيه.

فيتعلّمـون: واو الجماعـة إشـارة إلـى أنّ الموضـوع كـان ظـاهرة اجتماعيـة وذكـر أخطر أنواع السحر وهو سحر التفريق بين المرء وزوجه الذي يؤدّي إلى تفكيك الأسرة.

فتنة: ابتلاء واختبار وهذا من الاضطراب الذي كان في بابل.

سؤال ١٦:

استنبط بعض الحقائق عن السّحر من الكتاب والسّنة؟

١. أنّ السحر ثابت حقيقة.

٢. أن السحر قد يكون تخييل، لكنّـه ثابتٌ تاريخـاً، وواقعـاً، ونصّـاً كتابـاً وسُنّة، وأجمع على ذلك جمهور أهل السلف.

٣. أنّ السحر مرضٌ خطيرٌ جداً أخطر من الأمراض العضويّة.

٤. أنّ السحر علّة قد يؤدي إلى أمراضٍ عضوية، وقد يؤدي الحسد إلى أمراض عضوية، وسرطانيّة.

٥. أنّ السحر له آثارٌ سلبيّة على كل من: الجسم، العقل، الروح، النفس، العبادات، الروحانيات، علاقة المرء بربّه، وبمنْ حوله، وبنفسه.

٦. أنّ السحر يؤدي إلى تفريق، بغضاء، وكراهة، وتنغيص العيش، وحسرة دائمة، وتبعيد الأحباب، وعذابٌ للضمير دائم لا يُفارق صاحبه، وندامة دائمة.

٧. أنّ السحر إمّا أن يكون ابتلاءٌ من الله، أو عقوبة على معصية معيّنة أو كسب غير حلال، أو عقوق لوالدين، أو غيرها.

٨. لا بُدّ من العلاج منه والاستشفاء، لقول النبي ﷺ: "إنّ الله ما أنزل داءً إلا وأنزل له دواءً"، والحديث "تداوَوْا" صحيح. فلا بُدّ من ذلك على أيدي أطباء مهرة ذوو علاقة وثيقة بالرُّقيا والقرآن الكريم.

٩. لا بُدّ من الابتعاد كل البعد عمّن يستخدم هذه الوسائل والأساليب ولا بُدّ من تقديم النُصح الخالص لهم وإرشادهم إلى الصّواب.

الرُّبع السّابع

﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [البقرة:١٠٦]

- معـــــــاني الكلمـــــــات.
- التفســـير والشـــرح والبيـــان.
- عشـــــــرون ســــــــؤالاً.
- لطـــــائف لغويــــــة.
- الحقيقـة الواضـحة والعُقـدة الدائمـة في حـرب اليهـود والنصـارى للإسـلام.

الرُّبع السّابع

معاني الكلمات

ما ننسخ من آيةٍ أو نُنْسِها : ما نُزلْ وما نرفع من حكم آيةٍ، أو التعّبد بها نُنسها: نُمحها: من القلب والحافظة.

النسخ: الرفع والإزالة يُقال نسختْ الشمسُ الظلَ تنسخُهُ، إذا أذهبته وأبطلته، ونسخُ الآية تارةً برفع حكمها مع بقاء تلاوتها، وتارةً برفع تلاوتها مع بقاء حكمها، وتارةً برفعهما معاً، وتارةً يكون النسخ ببدل، وتارةً بغير بدل، كما تقرّر في الأصول، والمُراد به في الآية هنا نسخ الحكم ببدل. لأنّ الردّ كان نأتِ بخيرٍ منها أو مثلها.

إنساءُ الآية: من النسيان، أي إذهابها من القلوب حتى لا تذكرها، وهو النوع الثالث من النسخ (برفع الحكم والتلاوة)، والمعنى: مانسخ من آية فنرفع حكمها أو نمحُها من القلوب، نأتِ بدلها بما هو أنفع لكم وأسهل، وأكثر لأجركم، أو بمثلها في النفعة والثواب. فما نُسخ بالأخفّ فهو بالعمل أيسر، وما نُسخ بالأشدّ فهو بالثواب أكبر وقُرئ "ننسَاها" من النسئ: بعمنى التأخير، أي نُؤخر إنزالها نم اللوح المحفوظ.

فاعفوا واصفحوا: تجاوزوا عمّا كان منهم من عداوة وحسد،والعفو: ترك العقوبة على الذنب، والصّفح: ترك اللوْم والعقاب عليه، وهو أبلغ من العفو، إذ قد يعفو الإنسان ولا يصفح.

حتى يأتي الله بأمره: أي بأمره بقتالهم: أو بالجزاء يوم القيامة، والأمر على الأول واحد الأوامر، وعلى الثاني واحد الأمور.

تلك أمانيُّهم: دعوى اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، ودعوى النصارى، لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى. وزعمُهم ميعاً حرمان المسلمين منها أماني باطلة تمنوْها على الله بغير حق. إذن هي شهواتهم ومُتمنيّاتهم الباطلة.

سواء السبيل: قصْدَ الطريق ووسَطه.

ودّ كثيرٌ من: سَعَوْا في ذلك، وأعملوا المكايد كي يردوّنكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً.

قل هاتوا برهانكم: أحضروا حُجّتكم على ما ادّعيتموه من اختصاصكم بدخول الجنة. هاتوا: فعل أمر، هاؤه أصلية فالبيّنة على منْ أدّعى. البرهان: الحجّة على صحّة الدعوى، مصدر بَرَهَ ـيَبْرَهُ إذا ابيضّ سُميت به الحجّة لنصوع دلالتها على المطلوب، ومنه: أَبْرَهَ إذا أتى بالبرهان، أو من البَرْهْ وهو القطع، ومنه: البُرْهة هي القطعة من الزمان، وسُميّت به الحجّة لأن بها قطْعُ دعوى الخصم أومن البَرْهنة بمعنى البيان.

مَنْ اسلم وجهه: أخلص دينه وعبادته وقصدَه لله وحده، مُتبّعٌ أمر ربه، مُحسنٌ في عمله.

منع مساجد الله: هم المشركون الذين حالوا بين الرسول ﷺ وأصحابه وبين المسجد الحرام يوم الحُديبية، وقيل: هم النصارى الذين كانوا يمنعون الناس من الصلاة في بيت المقدس، ويُظاهرون بختنصّر خرابه، والتعبير بصيغة الجمع لأنّ كل موضع منه مسجد.

ما كان لهم أن يدخلوها : ما صحّ لهم دخولها إلا خائفين من الله تعالى لمكانها من الشرف والكرامة بإضافتها إليه تعالى، أو من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلاً عن أن يستولوا: عليها ويمنعوا المؤمنين منها.

فأينما تولُّوا فثمّ وجه الله : ثُمّ: حرف عطف ثَمَّ: ظرف مكان بمعنى هناك، في أيّ مكان من المشرق والمغرب توليتم شطر القبلة التي أمركم الله بها ورضيها لكم فهناك جهته سبحانه التي أُمرتم بها.

وقالوا اتّخذ الله ولداً: زعم بعض اليهود أنّ عُزيراً ابن الله، وزعم نصارى نجران أنّ المسيح ابن الله، وزعم بعض مُشركي العرب أن الملائكة بنات الله، تعالى الله عُلُواً كبيراً عما يقولون، وكيف ذلك وله سبحانه وتعالى جميع ما في السموات والأرض عبيداً ومُلكاً وخلقاً، وتدبيراً وتسخيراً وتصريفاً: وكلّها مربوبة له سبحانه، فكيف ينسب إليه منها ولد.

سبحانه: تنزيهاً لله تعالى عن اتخاذ الولد، وعندما هو نقصٌ في حقّه، ومحالٌ عليه من اتخاذ الولد، لاقتضاء الوالديّة، النوعيّة، والجنسيّة والتناسل والافتقار، فسبحان من له الكمال المطلق من جميع الوجوه، الذي لا يعتريه نقصة بوجهٍ من الوجوه والتشبيه والحدوث، وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنّه قال: "لا أحد أصبر على أذى سمعَهُ من الله إنّهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويكافئهم.

كلٌ له قانتون: مُطيعون طاعة تسخير وانقياد، خاضعون لا يستعصي منهم شيء على مشيئته وتكوينه شاهدون بلسان الحال والمقال بوحدانيته، من القنوت، وهو لزوم الطاعة مع الخضوع.

بديعُ السماوات والأرض : مُبدعهما ومنشئهما بلا مادة ولا آلة، صفة مشبّهة من أبدع: والذي ابتدعهما من غير أصل ولا مثال هو الله تعالى، الذي ابتدع المسيح عليه السلام من غير أب بقدرته سبحانه، وابتدع عُزيراً والملائكة فكيف يُضيفون إليه تعالى بُنوّة شيء من هذه المخلوقات.

وليّ: مالك أو مُتولٍّ لأموركم.

قضى أمراً: إذا أراد شيئاً سبحانه، أو أحكمه، أو حتّمهُ، أو أراد إحداثه حدث فوراً "إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون" وهو على ما ذهب إليه كثير من أهل السنة تمثيل لحدوث ما تتعلق به إراداته تعالى بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقُّف، وليس المراد أنّه إذا أراد إحداث أمرٍ أتى بالكاف والنون، ففي الكلام استعارة تمثيلية.

وذهب آخرون إلى أنّ الأمر بـ (كُنْ) محمولٌ على حقيقته، وأنه تعالى أجرى سنتّه في تكوين الأشياء أن يكونها بكلمة "كن" أزلاً، ومن ذلك عيسى عليه السلام خُلق بكلمة "كُن" فكان.

الذين من قبلهم: هم أهل الكتاب.

الذين آتيناهم الكتاب : هم مؤمنو أهل الكتاب والكتاب: التوراة والإنجيل رأوهم أصحاب النبي ﷺ والكتاب: هو القرآن.

لا تجزي نفسٌ: لاتقضي فيه نفسٌ عن نفسٍ شيئاً، مما وجبَ عليها ولا تنوبُ عنها فيه من الجزاء، يقال: جزَىَ عنه أي قضى، شيئاً: مفعول به منصوب.

وسعى: أي اجتهد وبذل وسعه.

يقول الراغب الأصفهاني: السعي المشي السريع وهو دون العدو، ويستعمل للجدّ في الأمر خيراً كان أو شراً، وأكثر ما يستعمل السعي في الأفعال المحمودة.

وقُرئ (تُجزي) بضم التاء من أجزأ عنه، أي أغنى عنه، أي لا تُغني نفسٌ عن نفسٍ شيئاً - من الإغناء – ولا تجديها نفعاً، وشيئاً على قراءتهم تكون مفعول مطلق منصوب أيضاً.

العالمين: عالمي زمانكم.

عَدْلٌ: فدية، أو ما يُعادل البدل. ما يساوي الشيء قيمةً وقدراً وإن لم يكن من جنسه به والعِدل (بالكسر): المُساوي من الجنس، وقيل للفدية عدْل لما فيها من معنى المساواة والمماثلة والمُعادلة.

خزيٌ: ذُلٌ وصفار وقتل وأسر وفضيحة.

أرسلناك بالحق: فيها تثبيت للنبي يقضي على شُبهات المَضلّين ومحاولات الكائدين.

بشيراً ونذيراً: وظيفتك البلاغ والأداء، تبشّر الطائعين، وتنذر العصاة، فينتهي دورك.

كما سُئل موسى من قبل : المراد بذلك أسئلة التعنُّت والاعتراض.

بلى: حرف جواب يُحوّل النّفي إلى إثبات. أي ليس بأمانيكم ولا دعاويكم.

منْ أسلم وجهه: أخلص أعماله لله، مُتوجّهاً إليه بقلبه. أو أخلص دينه لله.

ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون : حصل لهم المرغوب، ونَجَوْا من المرهوب. لا يحزنون على ما مضى ممّا يتركون.

فالله يحكمُ بينهم يوم القيامة: كل فرقة تضلل الفرقة الأخرى، ويحكم الله في الآخرة بين المختلفين بحكمه العدل.

في خرابها: الخراب الحسّي: هدمها وتخريبها وتقذيرها. الخراب المعنوي: منع الذاكرين لاسم الله فيها. وهذا عام لكل من اتصف بهذه الصفة فجازاهم الله بأن منعهم دخولها شرعاً وقدراً إلا خائفين ذليليين، فلمّا أخافوا عباد الله أخافهم الله واستدلّ العلماء بالآية الكريمة على أنّه [لا يجوز تمكين الكفار من دخول المساجد] "إنما المشركون نجسٌ فلا يقربوا المسجد الحرام".

ولا تُسألُ عن أصحاب الجحيم : لستُ مسؤولاً عنهم إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب.

إنّ هدى الله هو الهدى : الذي أرسلتَ به هو الهدى وأمّا ما أنتم عليه فهو الهوى، والهدى.

يتلونه حقّ تلاوته: يتبّعونه حقّ اتباعه، والتلاوة: الاتباع، فيُحلّون حلاله ويُحرّمون حرامه. يعني هو الدّين المستقيم الصالح الكامل الشامل.

من عند أنفسهم: من قِبلَ أنفسهم.

من بعد ما تبين لهم الحق : من بعدما تبيّن أنّ محمداً رسول الله يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل.

وهم يتلون الكتاب: وهم يعلمون شريعة التوراة والإنجيل كل منهما قد كانت مشروعة في وقت ولكنّهم تجاحدوا فيما بينهم عناداً وكفراً.

واسعٌ عليم: يسع خلقهُ كلهم بالكفاية والجود والإفضال، عليمٌ بأعمالهم ما يغيبُ عنه منها شيء ولا يعزُب عن علمه بل هو بجميعها عليم.

التفسير والبيان

سؤال ١:

كان اليهود يتخذون من النسخ لبعض الأوامر والتكاليف ذريعةً للتشكيك في مصدر هذه الأوامر كيف كان ذلك ومتى؟

كانوا يقولون للمسلمين لو كانت من عند الله ما نُسخت ولا صدر أمرٌ جديد يلغي أو يُعدّل أمراً سابقاً، واشتدتّ هذه الحملة عند تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة بعد ستة عشر شهراً من الهجرة، وكان النبيّ ﷺ قد اتجه بالصلاة عقب الهجرة إلى بيت المقدس – قبلة اليهود ومُصلاّهم – فاتخذ اليهود من هذا التوجّه حُجّةً أن دينهم هو الدين، وقبلتهم هي القبلة، مما جعل الرسول صلى الله يرغب ولا يصرّح في التحّول عن بيت المقدس إلى الكعبة، وظلّت هذه الرغبة تعتمل في نفسه حتى استجاب له ربه فوجّهه إلى القبلة التي يرضاها، ونظراً لما عمله هذا التحول من دحضٍ لحجّة بني إسرائيل فقد عزّ عليهم أن يفقدوا مثل هذه الحجّة، فشنُّوها حملة وغاية ماكرة في وسط المسلمين بالتشكيك في مصدر الأوامر التي يُكلفهم بها رسول الله ﷺ وفي صحّة تلقيّه عن الوحي أي إنهم وجهوا المعول إلى أساس العقيدة في نفوس المسلمين، ثم قالوا لهم (إن كان التوجُّه إلى بيت المقدس باطلاً فقد ضاعت صلاتكم وعبادتكم طوال هذه الفترة، وإن كان صحيحاً ففيم التحوُّل عنه) ليُزعزعوا ثقة المسلمين برصيدهم من ثواب الله، وقبل كل شيء في حكمة القيادة النبويّة.

إنّما كان نسخ بعض الأوامر والتكاليف وتغييرها أو تعديلها وفق مُقتضيات النشأة الإسلاميّة الجديدة، وهو لصالح البشريّة، تخدير وتذكير للمؤمنين.

سؤال ٢:

ما هي قاعدة التصور الإسلامي التي أوضحها سيدٌ في قوله تعالى ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة:١١٢]؟

هي [ترتيب الجزاء على العمل بلا مُحاباة] قاعدة من قواعد التصوّر الإسلامي، لا مُحاباة لأمّة ولا لفرد ولا لطائفة إنما هو الإسلام والإحسان، قاعدة عامّة يستوي عندها الناس جميعاً فلا محسوبيّة عند الله سبحانه ولا محاباة. وتبرز في الآية سمة الإسلام الأولى وهي إسلام الوجه، والوجه رمزٌ للكل، ولفظ أسلم يعني الاستسلام والتسليم: الاستسلام المعنوي والتسليم العملي، ومع هذا فلا بد من الدليل الظاهر على هذا الاستسلام: "وهو مُحسن" فسمةُ الإسلام هي الوحدة بين السلوك والشعور، بين العمل والعقيدة، بين الإيمان القلبي والإحسان العملي: بذلك تستحيل العقيدة منهجاً للحياة كلّها، وتتوحّد الشخصية الإنسانية بكل نشاطها واتجاهاتها يكون قد أخلص ذاته كلّها لله، ووجّه مشاعره كلها إليه سبحانه.

سؤال ٣:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ لها معنيان ما هما؟

المعنى الأول: أي أنّهم يستحقّون الدفع والمُطاردة والحرمان من الأمن إلا أن يلجأوا إلى بيوت الله مُستجيرين مُهتمين بحرمتها مُستأمنين (كالذي حدث عام الفتح إذ نادى مُنادي رسول الله: منْ دخل المسجد الحرام فهو آمن، فلجأ إليها المُستأمنون من جبابرة قريش).

المعنى الثاني: أي أنّه ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله إلا في خوف من الله وخشوع لجلاله سبحانه في بيوته، فهذا هو الأدب اللائق ببيوت الله، المناسب لمهابته وجلاله.

سؤال ٤:

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ [البقرة:١١٦] وضّحْ النظريّة الإسلامية التجريدية الكاملة عند الله سبحانه؟

هذه مقولة النصارى في المسيح، مقولة اليهود في العُزير، ومقولة المشركين في الملائكة، ومن عجب أنها لا تزال هي التي تُناهضه اليوم تماماً ممثلة في

الصـهيونيّة العالميـة، والصـليبية العالميـة، والشـيوعية العالميـة، وهـي أشـدّ كفـراً مـن المشركين فـي ذلك الحين، والنظريـة الإسلامية تقول: [أنّ الخلق غير الخالق، وأنّ الخـالق لـيس كمثلـه شـيء]، والوجـود وحـدة فـي نظـر المسـلم: وحـده ضـرورة عـن الإرادة الواحـدة الخالقـة، ووحـدة ناموسـه الـذي يسـير بـه، ووحـدة تكوينـه وتناسـقه واتجاهه إلى ربّه في عبادة وخشوع.

سؤال ٥:

من هم الذين لا يعلمون؟ وما وجه الشّبه بينهم وبين الذين من قبلهم؟

الـذين لا يعلمـون : هـم الأميّـون العـرب الـذين لـم يكـن لهـم كتـاب، وكـانوا مشركين، إذْ لم يكن لديهم علمٌ من كتـاب، وكثيـراً مـا تحـدّوا النبـي ﷺ أن يكلّمهم الله أو أن يـأتيهم خارقـة، من الخـوارق الماديّـة. والـذين مـن قبلهم: هم اليهود وغيرهم، طلبوا مثل هذا من أنبيائهم، فلقد طلب قوم موسى أن يرو الله جهرة، وتعنّتوا في طلب الخوارق المُعجزة، ووجـه الشبه بين هؤلاء وهؤلاء:

١. شبهٌ في الطبيعة والقلوب.
٢. شبهٌ في التصوُّر.
٣. شبهٌ في الضلال والعنت.
٤. شبهٌ في الكفر والعِناد والعُتُوّ.

الحقيقة الواضحة والعقدة الدائمة
في حرب اليهود والنصارى للإسلام؟

العلّة الأصليّة: [إلا أن تتبع ملّتهم وتترك ما معك من الحقّ] ليس الذي ينقصهم هو البرهان، ولا الإقناع، ولو قدّمت إليهم ما قدمت، وتوددّت إليهم ما توددت، لن يُرضيهم من هذا كله شيء إلا أن تتبع ملتهم، وهذه هي العقدة الدائمة التي نرى مصداقها في كل زمان ومكان [إنها العقيدة] هذه هي حقيقة المعركة التي شنّها اليهود والنصارى في كل أرض وفي كل وقت ضدّ الجماعة المسلمة. وقد تتخاصم شيع الملّة الواحدة فيما بينها ولكنّها تلتقي دائماً في المعركة ضدّ المسلمين إنّها معركة العقيدة في صحيحها وحقيقتها ولكن المعسكرَين العريقيْن في العداوة للإسلام والمسلمين يُلوّنانها بألوانٍ شتّى، ويرفعانِ عليها أعلاماً شتى، في خُبثٍ ومكرٍ وتورية. فغيّروا أعلام المعركة ولم يُعلنوها حرباً باسم العقيدة خوفاً من حماسة العقيدة وجياشتها قالوا: باسم الأرض، باسم الاقتصاد، باسم السياسة، باسم المراكز العسكرية، وما إليها، بينما هم في قرارة نفوسهم [الصهيونية العالمية، والصليبية العالمية، والشيوعيّة العالميّة] جميعاً يخوضون المعركة أولاً وقبل كل شيء لتحطيم هذه الصخرة العاتية التي نطحوها طويلاً فأدْمتهُم جميعاً، إنّها معركة العقيدة وإنهم يُزيفونها علينا لغرضٍ في نفوسهم دفين، ليخدعونا عن حقيقة المعركة وطبيعتها، فإذا نحن خُدعنا بخديعتهم لنا فلا نلوُمَنَّ إلا أنفسنا فالثمن الوحيد الذي يرتضونه أن نتبّع ملّتهم وما سواه فمرفوضٌ ومردود.

سؤال ٧:

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٢٠] الآية فيها تحذيرٌ شديد للنبي ﷺ وضّحه؟

هُدى الله هو الهدى على سبيل القصر والحصر، وما عداه ليس بهدى، فلا براح منه، ولا فكاك عنه،ولا مُحاولة فيه، ولا ترضية على حسابه، ولا مُساومة في شيء منه قليل أو كثير، ومن شاء فليؤمن ولن شاء فليكفر، وحذارِ حذارِ يا محمد أن تميل بك الرغبة في هدايتهم وإيمانهم أو صداقتهم ومودّتهم عن هذا الصراط المستقيم الدقيق، بهذا التهديد المُفزع (ولئن اتبعت... مالك من الله من ولي ولا نصير) وبهذا القطع الجازم، وبهذا الوعيد الرّهيب الرّعيب، ولمنْ؟ لنبي الله ورسوله الحبيب الكريم؟!! إنّها الأهواء إن أنت ملتَ بعد الهدى.. وهي الأهواء التي تقفهم منك هذا الموقف وليس نقصُ حجّة ولا ضعف الدليل.

قال العلامة السعدي: (النسخ: هو النقل، فحقيقة النسخ نقل المكلفين من حكم مشروع إلى حكم آخر، أو على إسقاطه، وكان اليهود يُنكرون النسخ ويزعمون أنه لا يجوز، وهو مذكور عندهم في التوراة، فإنكارهم له كفر وهوى محض فأخبر الله تعالى:

١. عن حكمته في النسخ يأتِ بخيرٍ منها وأنفع لكم.
٢. وأخبر سبحانه أنّ منْ قدح في النسخ فقد قدح في ملكه وقدرته سبحانه.

قال العلامة السعدي: ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ أي: جميعهم ملكه وعبيده، يتصرّف فيهم تصرُّف المالك بالمماليك وهم قانتون له، مُسخّرون له، تحت تدبيره، فإذا كانوا كلّهم عبيده، مفتقرين إليه، وهو غنيٌّ عنهم فكيف يكون منهم أحد يكون له ولد، والولد لا بُدّ أن يكون من جنس والده، لأنّه جزءٌ منه، والقنوت نوعان: قنوت عام: وهو قنوت الخلق كلّهم تحت تدبير الخالق، وقنوت خاص: وهو قنوت العبادة، فالنوع الأول كما في هذه الآية السابقة والنوع الثاني كما في الآية: ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾.

قال العلامة السعدي في الآية الكريمة: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٢٠]: (هذا فيه النّهي العظيم عن اتباع أهواء اليهود والنصارى، والتشبُّه بهم فيما يختص به دينهم، والخطاب وإن كان للنبي ﷺ فإنّ أمته داخلة في ذلك، لأنّ الاعتبار بعموم المعنى لا بخصوص منه، كما أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب).

وقوله سبحانه: (﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ ﴾ مُشتمل على الآيات التي جاء بها، وهي ترجع إلى ثلاثة أمور:

١. في نفس إرساله ﷺ فمن حكمة الله ورحمته بعباده سبحانه أن أرسل إليهم هذا الرسول العظيم يأمرهم بعبادة الرحمن وحده لا شريك له، فبمُجرد رسالته يعرف العاقل صدقه.
٢. في سيرته ﷺ وهديه، فمن عرف النبي ﷺ معرفةً تامة وعرف سيرته وهديه قبل البعثة ونشوءه على أكمل الخصال، ثم من بعد ذلك قد ازدادت مكارمه وأخلاقه العظيمة الباهرة للناظرين، فمن عرف أخلاقه وسَبَرَ أحواله عرف أنه لا تكون إلا أخلاق الأنبياء الكاملين.
٣. في معرفة ما جاء به من القرآن والسنة، معرفة ما جاء به من الشّرع العظيم، والقرآن الكريم المشتمل على الاختبارات الصادقة،

والأوامر الحسنة، والنّهي عن كل قبيح فالأول والثاني يدخل في "إنّا أرسلناك" والثالث يدخل في قوله "بالحق".

قال سيّدٌ: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ هنا نصل إلى فكرة الإسلام التجريدية الكاملة عن نوع العلاقة بين الخالق وخلقه، وعن طريقة صدور الخلق عن الخالق، وهي أرفع وأوضح تصوّر عن هذه الحقائق جميعاً، لقد صور الكون عن خالقه، عن طريق توجّه الإرادة المطلقة القادرة (كن) فكان على الصورة المقدرة له بدون وسيط من قوة أو مادة، أما كيف تتصل هذه الإرادة التي لا نعرف كنهها بذلك الكائن المراد وصدوره عنها، فذلك هو السر الذي لم يُكشف للإدراك البشري عنه، لأن الطاقة البشرية غير مُهيأة لإدراكه، لأنه لا يلزمها في وظيفتها التي خلقت لها وهي الخلافة في الأرض وعمارتها، وبقدر ما وهب الله للإنسان من القدر على كشف قوانين الكون التي تفيده في مهمته وسخر له الانتفاع بها، بقدر ما روى عنه الأسرار الأخرى التي لا علاقة لها بخلافته الكبرى).

قال ابن كثير: (إن للعمل المُتقبّل شرطين، أحدهما: أن يكون خالصاً لله وحده والآخر: أن يكون صواباً موافقاً للشريعة، فمتى كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُتقبل، ولهذا قال رسول الله ﷺ "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ" وأمّا إن كان العمل موافقاً للشريعة في الصورة الظاهرة ولكن لم يُخلص عامله لله فهو أيضاً مردود على فاعله، وهذا حال المرائين والمنافقين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء:١٤٢].

سؤال ٨:

ذكر ابن كثير في تفسيره ثلاثة آراء في المراد من الذين منعوا مساجد الله وسعوا في خرابها فما هي هذه الآراء؟

١. عن ابن عباس: قال: هم النصارى كانوا يُصرّحون في بيت المقدس الأذى ويمنعون الناس أن يصلوا فيه.
٢. عن قتادة: قال: هو بُختنصّر وأصحابه خرّب بيت المقدس وأعانه على ذلك النصارى.
٣. عن ابن زيد: قال: هؤلاء المشركون الذين حالوا بين رسول الله ﷺ يوم الحديبية وبين أن يدخلوا مكة حتى نحر هديه بذي طوى وهادنهم، والقول الثالث هو الراجح كما قال ابن زيد). والله أعلم..

٤.

سؤال ٩:

ذكر ابن كثير بشارة الله للمؤمنين أنّه سيُظهرهم على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد وسيذل المشركين لهم، كيف تمّ ذلك؟

(نعم بشر الله بهذا، وأنّه سيذل المشركين للمؤمنين حتى لا يدخل المسجد الحرام أحدٌ منهم إلا خائفاً:

أ- يخاف أن يؤخذ فيُعاقب.

ب- أو يخاف أن يقتلْ إن لم يُسلم. وقد أنجز الله وعده وذلك:

١. من منع المشركين من دخول المسجد الحرام.

٢. أوصى رسول الله ﷺ أن لا يبقى في جزيرة العرب دينان.

٣. أن يُجلى اليهود والنصارى من جزيرة العرب.

سؤال ١٠:

ذكر ابن كثير أن الآية الكريمة ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١١٥] فيها تسلية للرسول ﷺ وأصحابه كيف ذلك؟

النبي ﷺ وأصحابه أخرجوا من مكة، وفارقوا مسجدهم ومُصلاّهم، وقد كان رسول الله ﷺ يُصلي بمكة على بيت المقدس والكعبة بين يديه، فلما قدم المدينة توجّه إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ثمّ صرفه الله إلى الكعبة بعدها عن ابن عباس قال: أوّل ما نُسخ لنا من القرآن فيما ذُكر لنا والله أعلم بشأن القبلة. وقال: مجاهد: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥] أي حيثما كنتم فلكم قبلة تستقبلونها الكعبة).

سؤال ١١:

ذكر ابن كثير عدّة معانٍ للنّسخ في الآية الكريمة ما هما؟

١. قال مجاهد: ما ننسخ: أي ما نمحو من آية.

٢. قال مجاهد: ما ننسخ: أي نثبت خطّها لا حكمها، حدّث به عن أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

٣. أصل النسخ: من نسخ الكتاب وهو نقله من نسخة إلى غيرها، فكذلك معنى نسخ الحكم إلى غيره إنّما هو: تحويله، {ننسأها} بالقراءة الأولى أي نؤخّرها. ﴿نُنسِهَا﴾ بالقراءة الثانية أي نرفعها من عندكم.

سؤال ١٢:

ما الذي يحمل اليهود على البحث في مسألة النّسخ؟

إنمّا هو الكفر والعناد، فإنّه ليس في العقل ما يدل على امتناع النسخ في أحكام الله تعالى لأنه يحكم ما يشاء، كما أنه يفعل ما يُريد، مع أنه قد وقع ذلك في كتبه المتقدمة وشرائعه الماضية، كما أحلّ لآدم تزويج بناته من بنيه ثم حرّم ذلك، وكما أباح لنوح بعد خروجه من السفينة أكل جميع الحيوانات ثم نسخ حلّ بعضها، وكان نكاح الأختين مُباحاً لإسرائيل وبنيه وقد حرّم ذلك في شريعة التوراة، وأشياء يطول ذكرها، وهم يعترفون بذلك ويَصْدفون عنه، وما يُجاب به عن هذه الأدلة بأجوبة لفظيّة فلا يصرف الدلالة في المعنى إذْ هو المقصود، وكما في كتبهم مشهوراً من البشارة بمحمد ﷺ والأمر باتباعه، فإنّه يفيد الوجوب لمتابعته ﷺ وأنه لا يقبل عمل إلا على شريعته، لأنّه ﷺ جاء بكتابٍ، هو آخر الكتب عهداً بالله تبارك وتعالى، ففي هذا المقام بيّن تعالى جواز النسخ ردّاً على اليهود، والمسلمون كلّهم متفقون على جواز النسخ في أحكام الله تعالى لما له في ذلك من الحكمة البالغة وكلهم قال بوقوعه.

سؤال ١٣:

لماذا نهى الله تعالى المؤمنين عن كثرة سؤال النبي ﷺ عن الأشياء قبل كونها؟

جاءت الآية في المائدة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾ [المائدة:١٠١] أي لا تسألوا عن الشيء قبل كونه، فلعّله أن يحرم من أجل تلك المسألة، وإنْ تسألوا عن تفصيلها بعد نزولها تُبين لكم، ولهذا جاء في الصحيح "إنّ أعظم المسلمين جُرماً من سأل عن شيءٍ لم يُحرّم فحُرِّم من أجل مسألته". صحيح البخاري / ٧٢٨٩ ومسلم ٢٣٥٨.

أم تُريدون: بل تُريدون، والاستفهام استنكاري، أم: من أدوات الاستفهام، وهو يُعلم المؤمنين والكافرين، فإنّه عليه الصلاة والسلام رسول الله إلى الجميع ومن تبديل: أي يشتري الكفر بالإيمان فقد خرج عن الطريق المستقيم على الجهل والضلال، وهكذا حال الذين عدلوا عن تصديق الأنبياء واتباعهم والانقياد لهم إلى مُخالفتهم وتكذيبهم والاقتراح عليهم بالأسئلة التي لا يحتاجون إليها على وجه التعنُّت والكفر.

سؤال ١٤:

بماذا ادّعتْ كل طائفة من اليهود والنّصارى على الأخرى؟ وعلام يدلُّ ذلك؟

ادّعتْ كل طائفة منهم أنّه لن يدخل الجنة إلا من كان على ملّتها، وهذا يدلُّ على اغترار اليهود والنصارى بما هم فيه. فأكذبهم الله تعالى بما أخبرهم، وردّ عليهم تعالى في ذلك وهكذا قال لهم في هذه الدعوى التي ادّعوها بلا حجّة ولا دليل ولا بيّنة ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ أي: أماني تمنّوها على الله بغير حق.

سؤال ١٥:

ماذا يُبين الله تعالى بادعاء اليهود: أنّه ليست النصارى على شيء، وادعاء النصارى أنه: ليست اليهود على شيء؟

١. تناقضهم جميعاً.
٢. تباغضهم جميعاً.
٣. تعاديهم جميعاً.
٤. تعانُدهم جميعاً.
٥. ظاهر سياق الآية يقتضي ذمّهم جميعاً فيما قالوه من علمهم بخلاف ذلك. وهم يعلمون شريعة التوراة والإنجيل كل منهما قد كانت مشروعة في وقت، ولكنّهم تجاحدوا فيما بينهم عناداً وكفراً ومُقابلة للفساد بالفساد.
٦. المقصودون في الآية هم أهل الكتاب الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ وهذا القول قولهم يقتضي أنّ كلاً من الطائفتين صدقت فيما رمتْ به الطائفة الأخرى.
٧. كما بيّن الله تعالى بهذا جهل اليهود والنصارى فيما تقابلوه به من القول، وهذا من باب الإيماء والإشارة.

سؤال ١٦:

ما معنى قوله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾؟

قال ابن كثير: (هذا خبر معناه الطلب أي: لا تُمكّنوا هؤلاء إذا قدرتم عليهم من دخول المساجد إلا تحت الهدنة والجزية، ولهذا لما فتح رسول الله ﷺ مكة أمر من العام القابل في سنة تسع أن يُنادى برحاب منى "ألا يحجّنّ بعد العام مشرك ولا يطوفنّ بالبيت عريان ومنْ كان له أجلٌ فأجله إلى مدّته" صحيح البخاري /٣٦٩، ومسلم /١٣٤٧.

والمعنى ما كان الحق والواجب إلا ذلك لولا ظُلم الكفرة وغيرهم وقيل: إنّ هذا بشارة من الله للمؤمنين أنه سيُظهر على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد وأنه يذلّ المشركين لهم حتى لا يدخل المسجد الحرام أحدٌ منهم إلا خائفاً يخاف أن يؤخذ فيُعاقب أو يقتل إن لم يُسلم.

سؤال ١٧:

لم كتب الله تعالى عدم دخول المشركين المساجد إلا خائفين؟

ما ذاك إلا تشريفٌ لأكناف المسجد الحرام وتطهير البقعة التي بعث الله فيها رسوله إلى الناس كافةً بشيراً ونذيراً صلوات الله وسلامه عليه، وهذا هو الخزي لهم في الدنيا لأنّ الجزاء من جنس العمل، فكما صدُّوا المؤمنين عن المسجد الحرام صُدوا عنه، وكما أجلَوْهم من مكة أجلوا هم عنها، على ما انتهكوا من حرمة البيت وامتهنوه من نصب الأصنام حوله ودعاء غير الله عنده والطواف به عرياً وغير ذلك من أفاعيلهم التي يكرهها الله ورسوله.

سؤال ١٨:

على ماذا اشتملت الآية الكريمة ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [البقرة:١١٦]؟

١. الرد على النصارى ومنْ أشبههم من اليهود ومشركي العرب ممن جعل الملائكة بنات الله.

٢. أَكْذَبَ الله جميعهم في دعواهم وقولهم أنّ الله ولداً.

٣. تقديس وتنزيه الله سبحانه عن ذلك عُلُوّاً كبيراً.

٤. ليس الأمر كما افتروا وإنما له ملك السماوات والأرض ومن فيهّن وهو المُتصرف فيهم وهو خالقهم ورازقهم ومقدّرهم ومُسخّرهم وتسيرهم ومصرفهم كما يشاء الجميع عبيد له وملك له فكيف يكون له ولد منهم سبحانه.

٥. الولد إنّما يكون متولداً من شيئين متناسبين وهو تبارك وتعالى ليس له نظير ولا شريك في عظمته وكبريائه ولا صاحبة له فكيف يكون له ولد.

سؤال ١٩:

ماذا يقولُ الإمام القرطبي في معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ﴾[البقرة:١١٨]؟

قال الإمام القرطبي (أي لولا يُخاطبنا الله بنبوّتك يا محمد، وهو ظاهر السياق والله أعلم، وهذا قول كفار العرب، والذين من قبلهم هم: اليهود والنصارى). تشابهت قلوبُهم: قال ابن كثير: (أشبهتْ قلوب مُشركي العرب قلوب من تقدّمهم في الكفر والعناد والعتُوّ، وقد أوضحنا الآيات والدلالات على صدق الرسل بما لا يحتاج معها إلى سؤال آخر، وزيادة أخرى لمن أيقن وصدّق واتبع الرسل، وفهم ما جاءوا به عن الله تبارك وتعالى، وأمّا من ختم الله على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة فأولئك قال الله فيهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٩٧﴾ [يونس:٩٦-٩٧].

سؤال ٢٠:

ورد عن الأئمة المفسرين في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة:١٢١] أنّ لها عدة معانٍ، فما هي؟

١. عن قتادة: قال هم اليهود والنصارى. واختاره ابن جرير.
٢. قال ابن مسعود: والذي نفسي بيده إنّ حقّ تلاوته أن يحلّ حلاله ويُحرم حرامه ويقرأه كما أنزل الله ولا يُحرف الكلم عن مواضعه ولا يتأول منه شيئاً على غير تأويله.
٣. قال الحسن البصري: يعملون بمُحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويكِلون ما أشكل عليهم إلى عالمه.
٤. قال أبو موسى الأشعري: من يتبع القرآن يهبط به على رياض الجنة.
٥. قال عمر بن الخطاب: هم الذين إذا مروا بآية رحمة سألوها من الله، وإذا مرُّوا بآية عذاب استعاذوا منها، قال: وقد روي هذا المعنى عن النبي ﷺ عليه وسلم أنه كان إذا مرّ بآية رحمة سأل وإذا مرّ بآية عذاب تعوّذ.

لطائف لغوية:

يقول الراغب الأصفهاني في "مفردات غريب القرآن":

بديعُ: الإبداعُ: إنشاء صنعةٍ بلا احتذاءٍ واقتداءٍ، وإذا استعمل في الله تعالى فهو إيجاد الشيء بغير آلةٍ ولا مادةٍ ولا زمانٍ، ولا مكانٍ وليس ذلك إلا لله، والبديع يقال للمبدع بمعنى الفاعل والمفعول.

البرهان: بيانٌ لحجّة وهو فُعلان، والبُرهة: مدّة من الزمن، والبرهان أوكد الأدلة وهو الذي يقتضي الصدق أبداً، لا محالةٌ.

يُوقنون: اليقين: من صفة العلم فوق المعرفة والدّراية وأخواتها، يُقال علمُ يقينٍ ولا يقال معرفة يقينٍ، وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم وقال الله تعالى: علمُ اليقين، وعينُ اليقين، وحقُ اليقين، وبينهم فروق لم يذكرها الراغب الأصفهاني في كتابه.

قانتون: القنوت: لزوم الطاعة مع الخضوع، خاضعون، وقيل طائعون، وقيل ساكتون، ولم يُعنَ به كل السكوت بل عُني به حديث الرسول "إنّ هذه الصلاة لا يصحّ فيها شيءٌ من كلام الآدميين إنّما هي قرآنٌ وتسبيح" وعلى هذا قيل: أي الصلاة أفضل؟ فقال: طول القنوت، أي الاشتغال بالعبادة ورفضُ كل ما سواه.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ..﴾ الآية ٤٠

يُلاحظ من الربع الثالث أخيراً.. وحتى نهاية الربع السابع "واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً" الآية ١٢٣ تتكلّم عن أمة استخلفها الله على هذه الأرض لمدة طويلة. وفشلتْ في المهمة.. إنها بنو إسرائيل. هو نموذج فاشل، فهم أُناسٌ حملوا المسؤوليّة وفشلوا، وتستمر السورة في ذكر أخطائهم لا لشتمهم ولكن ليقال للأمة التي ستُستخلف: تنبّهي من الوقوع في الأخطاء التي وقعت فيها الأمة التي سبقتك في الاستخلاف.

الرُّبع الثَّامن

﴿ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ
وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤ ﴾ [البقرة: ١٢٤]

- معـــــاني الكلمـــــات.
- التفســير والشــرح والبيـــان.
- واحـــدٌ وعشـــرون ســـؤالاً.
- لطـــــائف لغويـــــة.
- التَّجربة النَّاجحة: إبراهيم عليه السلام.
- القـــائمين.. و.. العـــاكفين.
- خلاصـــة التجـــارب الـــثلاث.
- المـــوت فاعـــلٌ مُـــؤخَّر.
- الوصـــية الأخـــيرة لـــلأب.

الرُّبع الثّامن
معاني الكلمات

وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُهُ : اختبره ربه تعالى بما كلّفه من الأوامر والنواهي، ومعنى اختبار الله تعالى العبد معاملتُهُ إياه معاملة المختبر مَجازاً، إذ حقيقة الاختبار مُحالةٌ عليه تعالى لعلمه المحيط بالأشياء، أو الاختبار لإظهار ما في المبتلى من جودة ورداءة، وطاعة وعصيان، دون التعرّف لحاله والوقوف على حقيقة أمره، وهو تعالى يختبر عباده تارةً بالمضارّ ليصبروا، وتارةً أخرى بالمسارّ ليشكروا، وفي كلا الحالين تبدو النفس على حقيقتها.

بكلماتٍ: بأوامر ونواهٍ وتكاليف وشرائع.

فأتمهنّ: أتى بهنّ على الوجه الأكمل، وأداهُنّ كما يليق به عليه السلام وفاءً وقضاءً.

مثابةً للناس: مَرْجعاً أو ملجأً أو مجمعاً وموضع ثوابٍ لهم، يرجعون إليه من كل جانب ويحجُّون، مصدر ميمي: من ثاب القوم إلى المكان رجعوا إليه، فهم يثوبون إليه ثوباً وثُؤباً، أو معاذاً لهم فلا يُروّعهم أحد، يلجؤون إليه، أو موضع ثوابٍ يُثابون بحجّه واعتماره فهو أمن وطمأنينة.

مقام إبراهيم: هو الحجر الذي قام عليه إبراهيم عليه السلام عند بناء البيت وهو على المشهور تحت المصلّى المعروف الآن، وقيل أنه هو البيت كلّه.

وعهدنا: وصينا، أو أمرنا، أو أوحينا.

بيتي: الكعبة المشرفة بمكة المكرمة.

أضطره: أدفعه وأسوقه وأُلجئُهُ.

مُسلمين: خاضعين مسلمين مُخلصين موحّدين لك، منْ أسلم وجهه لله: إذا أخلص نفسه أو قصده، مُنقادين لك، قائمين بشرائع الإسلام، من استسلم: إذا انقاد.. لا نشرك معك في الطاعة أحداً سواك.

إماماً: قدوةً يقودُ الناس إلى الله، ويقدمهم إلى الخير، ويكونون له تبعاً، وتكونُ له فيهم قيادة.

وأرنا مناسكنا: عرّفنا معالم الحجّ وشرائعه وأعماله، وشرائع ديننا الحنيف كالطواف والسعي والوقوف، أو مُتعبّداتنا التي تقام فيها شرائعنا كمنىً وعرفات وغيرهما، وهي جمع منسك بفتح السين وكسرها واللغتين صحيحتين، بمعنى الفعل، وبمعنى الموضع، مادّته من النُّسُك (بضم النون والسين) وهو غاية العبادات، وشاع الحجّ لما فيه من الكلفة غالباً والبعد عن العادة (أي المقصود أعمال الحج).

وابعث فيهم رسولاً منهم: وابعث في الأمة المسلمة، أو في ذريتنا وهم العرب رسولاً منهم، وهو محمد ﷺ إذْ لم يُبعث في ذريتهما غيره ليكون أرفع لدرجتهم.

يُعلّمهم الكتاب والحكمة : أي يعلّمكهم معاني التاب وحقائقه، وهو القرآن، ويعلمهم الحكمة، وهو في الأصل إصابة الحق في القول والعمل، والمراد بها هنا الفقه في الدين ومعرفة أسراره، وحكمه ومقاصده التي يكمل بها العلم بالكتاب.. وقيل الحكمة هي السنة وقيل هي فعل الخير، واتقاء الشر.

ويُزكيّهم: يُطهّرهم من أرجاس الشرك وأدران المعاصي، يقال: زكاه الله أي طهرهُ وأصلحه، ومنه زكاة المال، لتطهّره بها وطهارة النفس بإخراجها، وأصل الزكاء -بالمدّ -: النماء والزيادة، ومنه: زكا الزرع والأرض زكاءً وزُوكُوّاً، أي نما ونمتْ. التزكية: هي التربية على الأعمال الصالحة والتبرِّي من الأعمال الرديئة التي لا تزكو النفوس معها.

سَفِهَ نفسه: خسر نفسه أو أهلكها، جهلها، امتهنها، أذلّها، استخف بها، والسّفهُ: خفّة في النفس لنقصان العقل في أمور الدنيا والدين، وسَفِهَ: مُتعدٍّ بنفسه، ونفسه: مفعول به منصوب.

اصطفى لكم الدين: اختار لكم دين التوحيد، فدين الإسلام هو صفوة الأديان وهو دين الإخلاص لله في العبادة والطاعة والانقياد والحكمة، فليس عند الله دين مرضيٌّ سواه، وهو دين الإسلام.

حنيفاً: مائلاً عن الضلال إلى الهدى والحق جمعه حُنفاء، أصله من الحَنَفِ، وهو ميلٌ في إبهام القدمين من كل واحدة إلى صاحبتها، يقال حَنَفَ

يحنِفُ: مالَ يميلُ وتحنَّف إليه: مال، وتحنَّف: أي تحرّى طريق الاستقامة، والحنيف: المسلم، حنيفاً: حالٌ من إبراهيم.

خَلَتْ: مضَتْ وسلفت.

والأسباط: هم أولاد يعقوب عليه السلام الاثنا عشر، جمع سِبْط وهو الحفيد (ولد الولد)، وسُمُّوا أسباطاً بالنسبة لإسحاق وإبراهيم عليهما السلام، وقيل هم أحفاد يعقوب، وهم أولاد أولاده، وكانوا كثيرين، والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب من ولد إسماعيل، وسُمُّوا أسباطاً من السَّبَط وهو الشجرة ذات الأغصان الكثيرة لأنّهم في الكثرة بمنزلتها.

في شقاق: في مُخالفة لله تعالى ومعاداة، من الشقّ وهو الجانب، لأن كل واحد من الفريقين يكون في شقٍّ غير شقّ صاحبه، أو من قولهم: شقّ العصا إذا أظهر العداوة.

صبغة الله: مفعول به منصوب لفعل محذوف وجوباً تقديره (الزموا) أي دين الله، أو فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهي الإيمان. والصِّبْغَة (كجِلسَة) من صَبَغَ، وهي الحالة التي يقع عليها الصِّبغ عبّر بها عن التَّطهير بالإيمان بما ذُكر، لظهور أثره عليهم، كظهور أثر الصِّبغ على المصبوغ، ولتداخله في قلوبهم تداخلةً وصيرورته حليةً، لهم صبغةً: مصدر: مؤكد لـ (آمنّا). أي صَبَغَنا اللهُ صبغَتَهُ.

عهدي الظالمين : ياء إضافة (عهدي) وهي ياء متكلّم، وهي الوحيدة التي قرأها حفص بالإسكان من الياءات التي وقع بعدها (أل) التعريف.

ووصَّى: من قواعد رسم المصحف ما رُسم على إحدى القراءتين، فرُسمت هذه الكلمة (وأوصى) بمصاحف أخرى على قراءة الإمام نافع.

فلا تموتنَّ: لا ناهية جازمة، تموتون: فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل، لكنه حذف لالتقاء الساكنين بعد اتصال الفعل بنون التوكيد الثقيلة، فكان الساكن الأول الواو والساكن الثاني النون الأولى من نون التوكيد الثقيلة فحذفت الواو لأجل ذلك.

وما أُنزِل إلينا، وما أوتي موسى وعيسى: ما الموصولة بمعنى الذي عند البدء بها تتحوّل إلى ما نافية، لذلك لا يجوز البدء هنا بما أنزل، أو بـ: وما أوتي موسى.

والأسباطِ، والأسباطَ: في الآيتين (١٣٦) والآية (١٤٠) جاءت الأولى مكسورة: الأسباطِ؛ لأنها معطوفة على اسم مجرور بإلى، وكلّها كانت ممنوعة من الصرف (إبراهيم وإسماعيلَ وإسحقَ ويعقوبَ) فكانت علامة جرّها الفتحة عوضاًّ عن الكسرة لأنها ممنوعة من الصرف، أما الأسباطَ الثانية فإعرابها معطوفة على اسم إنَّ (إبراهيمَ) منصوبة وعلامة النصب الفتح.

إنك أنت السميع العليم: سميعٌ للدعاء عليمٌ بما وراءه من النيّة والشعور.

أتحاجّوننا: الجدل واللّجاج والهمزة استفهاميّة وقيل المُناظرة.

أأنتم أعلم أم الله: استفهام استنكاري. وهذا سؤال لا جواب عليه وفيه من الاستنكار ما يقطع الألسنة دون الجواب عليه**!!**

تلك أمةٌ قد خلتْ: هنا فصلُ الخطاب، ونهاية الجدل، والكلمة الأخيرة في تلك الدعاوى الطويلة العريضة، لكم ما كسبتم، ولها ما كسبتْ، ولا تُسألون عمّا كانوا يعملون وهذه هي القمة في الإفحام، ومُفارقة تامّة في كل اتجاه.

طَهِّرا: من الأذى والنجس، والأوثان والرّفث وقول الزُّور والجرس.

القواعد: جمعُ قاعدة وهي السارية والأساس.

العزيزُ الحكيم: العزيز: الذي لا يُعجزه شيء وهو قادرٌ على كل شيء، الحكيم، في أفعاله وأقواله فيضع الأشياء في محالّها وحكمته وعدله.

ونحنُ له مسلمون: خاضعون، مُطيعون، مُستسلمون، مُنقادرون لعبادته بباطننا وظاهرنا، مخلصون له العبادة بدليل تقديم المعمول وهو (له) على العامل وهو (مسلمون).

فإن آمنوا: يعني الكفار من أهل الكتاب وغيرهم.

فقد اهتدوْا: أي فقد أصابوا الحق وأرشدوا إليه.

وإن تولوْا: أي عن الحق إلى الباطل بعد قيام الحجّة عليهم.

فسيكفيكهُم الله : سينصرك عليهم ويظفرك بهم ويُخذّلهم عنك.

وما الله بغافل عمّا تعملون: فيها تهديدٌ ووعيدٌ شديد، أي أنّ علمه سبحانه محيطٌ بعملكم وسيجيزكم عليه.

مُصلّىً: معبدا، أي: اقتدوا به في شعائر الحج.

اصطفيْناه: اخترناه، ووفقّناه للأعمال، التي صار بها من المصطَفْينَ الأخيار.

وإنه في الآخرة لمن الصالحين: الذين لهم أعلى الدرجات.

قال أسلمتُ لرب العالمين: امتثالاً لله، وإخلاصاً، وتوحيداً، ومحبةً وإنابةً، فكأنه التوحيد لله نعتَهُ عليه السلام.

اصطفى لكم الدين: أي اختاره وتخيّره لكم رحمةً بكم، وإحساناً إليكم فقوموا به، واتصفوا بشرائعه، وانصبغوا بأخلاقه، حتى تستمروا على ذلك فلا يأتيكم الموت إلا وأنتم عليه.

حضر يعقوبَ الموتُ: أي مُقدّماته وأسبابه وهنا قدّم المفعول على الفاعل.

بَنِيَّ: أصل الكلمة (بنينَ) ملحق بجمع المذكر السالم، عندما أضيفت الكلمة إلى ياء المتكلم حذفت النون للإضافة، وبقيتْ الياء التي قبلها ساكنة وفُتحتْ ياء المتكلم لالتقاء الساكنين بكلمة واحدة ثمّ أدغمت ألياء الأولى بالياء الثانية (المتكلّم).

وما أُنزل إلينا: يشمل القرآن والسنة، من صفات الباري، وصفات رسله، واليوم الآخر، والغيوب الماضية والمستقبلية.

وما **أُنزل إلى إبراهيم**: الإيمان بجميع الكتب المنزلة على جميع الأنبياء، والإيمان بالأنبياء عموماً، وخصوصاً ما نصّ عليه في الآية لشرفهم، ولإتيانهم بالشرائع الكبار.

لا **نُفرق بين أحدٍ منهم**: نؤمن بهم كلهم، هذه خاصية المسلمين التي انفردوا بها عن كل من يدّعي أنه على دين.

ونحنُ له عابدون: العبادة: اسم جامع لكل ما يُحبّه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، بشرط أن يقصد بها وجه الله وحده، فتقديم المعمول وهو (له) على العامل وهو (عابدون) يؤذن بالحصر..

ووصفهم باسم الفاعل (عابد) الدال على الثبوت والاستقرار ليدل على اتصافهم بذلك وكونه صار صبغةً لهم مُلازماً.

هم في شقاق: المُشاقّ: هو الذي يكون في شق، والله ورسوله في شق، ويلزم من المُشاقة المحادّة، والعداوة البليغة، التي من لوازمها بذل ما يقدرون عليه من أذيّة الرسول، فلهذا وعد الله رسوله أن يكفيه إياهم، لأنه السميع: بجميع الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، العليم: بما بين أيديهم وما خلفهم بالغيب والشهادة بالظواهر والبواطن، فإذا كان كذلك كفاك الله شرهم. وقد أنجز الله وعده لرسوله وسلّطه عليهم وهذه من معجزات القرآن وهو: الإخبار بالشيء قبل وقوعه.

صِبغةَ الله: دينَه قوموا به قياماً تاماً حتى يكون لكم صبغة وصفة من صفاتكم ويصيرُ لكم الدين طبيعة لكم بمنزلة الصّبغ التام للثوب الذي صار له صفة. ومَنْ: استفهام على سبيل التعجُب المتقرّر للعقول الزكية فهو تقريري أي: لا أحسن صبغة من صبغته سبحانه وفي ضمنه أنه لا أقبح صبغة ممنّ انصبغ بغير دينه.

كتم شهادة عنده من الله: كتموا الحق ولم ينطقوا به، وأظهروا ضده وهو الباطل، ودَعْوا إليه، وهي شهادة عندهم مُودعة من الله، لا من الخلق، فيقتضي الاهتمام بإقامتها فكتموا وأظهروا ضدّها.

التفسير والبيان

التجربة الناجحة: إبراهيم عليه السلام

جاءت مناسبة الآيات لتقرير حقيقة دين إبراهيم عليه السلام، ولبيان أنّ العقيدة تراث القلب المؤمن لا تراث العصبيّة العمياء، إنّ حقيقة دين إبراهيم عليه السلام هي التوحيد الخالص، وهناك بُعد كبير ما بينها وبين العقائد المشوّهة المنحرفة التي عليها أهل الكتاب والمشركون سواء، فإنّ أهل الكتاب ليرجعون بأصولهم إلى إبراهيم عن طريق إسحاق عليهما السلام، ويعتزّون بنسبتهم إليه وبوعد الله له ولذريته بالنمو والبركة، وعهده معه ومع ذريّته من بعده، ومن ثمّ يحتكرون لأنفسهم الهدى والقوامة على الدين، كما يحتكرون لأنفسهم الجنّة، وإنّ قريشاً لترجع بأصولها كذلك إلى إبراهيم عن طريق إسماعيل عليهما السلام وتعتز بنسبتها إليه،وتستخدمها القوامة على البيت، وعمارة المسجد الحرام، وتستمّد كذلك سلطانها الديني على العرب، وفضلها وشرفها ومكانتها، فجاءت مناسبة الآيات لتُقرّر الحقائق الخاصة في ادعاءات اليهود والنصارى والمشركين جميعاً حول هذا النسب وهذه الصلات، فالعقيدة هي تراث القلب المؤمن لا تراث

العصبيّة العمياء، وإنّ وراثة هذا الدين وهذا التراث لا تقوم على قرابة الدم والجنس ولكن على قرابة الإيمان والعقيدة.

سؤال ١:

ما هو السبب الوحيد الذي تقوم عليه وراثة العقيدة؟

١. الإيمان بالرسالة.
٢. حُسن القيام عليها.
٣. الاستقامة على تصوّرها الصحيح.. فمنْ آمن بهذه العقيدة ورعاها في أي جيلٍ ومن أي قبيل فهو أحقُّ بها من أبناء الصُّلب وأقرباء العصب فالدّين دين الله، وهذا يُمثل شطراً من الخطوط الأساسية في التصوّر الإسلامي وهذا يسير بنا منذ أن ابتلى الله إبراهيم عليه السلام واختبره فاستحقّ اختياره واصطفاءه، وتنصيبه للناس إماماً، إلى أن نشأت الأمة المسلمة المؤمنة برسالة محمد ﷺ استجابةً من الله لدعوة إبراهيم وإسماعيل فاستحقتْ وراثة هذه الأمانة دون ذريّة إبراهيم جميعاً وسقطت الوراثة عن اليهود والنصارى منذ ما انحرفوا عن هذه العقيدة.

سؤال ٢:

بمَ استحقّ إبراهيم عليه السلام الإمامة؟ ومن الذي يستحقُّ الإمامة؟ ومنْ تُمنع عنه؟

قد شهد الله لإبراهيم عليه السلام بإتمامه الكلمات التي هي الأوامر والنواهي والتكاليف على أكمل وجه وفاءً وقضاءً، وقد شهد الله لإبراهيم في موضع آخر بالوفاء بالتزاماته على النحو الذي يُرضي الله تعالى فيستحق شهادته الجليلةَ بقوله تعالى ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾[النجم:٣٧] وهو مقام عظيم، مقام الوفاء والتوفية بشهادة الله عز وجل، والإنسان بضعفه وقصوره لا يُوفي ولا يستقيم وإن الذي يستحقّ الإمامة هو من قام بالعمل والشعور بالصلاح والإيمان وليست وراثة أصلاب وأنساب، فالقربى ليستْ وشيجة لحمٍ ودم، إنمّا هي وشيجة عقيدة ودين.

وإنّ الإمامة تُمنع عن الظالمين﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾والظلم أنواع وألوان:

١. ظلم النفس بالشرك.
٢. ظلم الناس بالبغي.

والإمامة الممنوعة على الظالمين تشمل:

أ- إمامة الرسالة.
ب- إمامة الخلافة.
ج- إمامة الصلاة.
د- وكل معنى من معاني الإمامة والقيادة.

سؤال ٣:

ما الفرق بين التصوُّر الإسلامي والتصوُّر الجاهلي من حيث الوشائج والصلات؟

التصوّر الإسلامي يقطع الوشائج والصلات التي لا تقوم على أساس العقيدة والعمل، ولا يعترف بقُربى ولا رحم إذا انبتّتْ وشيجة العقيدة والعمل، ويسقط جميع الروابط والاعتبارات ما لم تتصل بعروة العقيدة والعمل، ويُفرّق بين جيلٍ مؤمن وجيلٍ فاسق، ليسا أمة واحدة وليس بينهما صلة ولا قرابة.

أمّا التصوُّر الجاهلي فيعتبر الصلة عنده هي صلة الجنس والنسب، ولا يُفرق بين جيل وجيل من الأمّة.

سؤال ٤:

في آية الدعاء على لسان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ومع تكرار كلمة ﴿رَبَّنَا﴾ تبرز إحدى خصائص التعبير القرآني الجميل وضحها؟

إنّ التعبير يبدأ بصيغة الخبر، ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ ، وكأنها حكاية تُحكى، وإذ بالسياق يكشف لنا عن عن النبييْن الكريميْن ويُرينا إيّاهما، كما لو كانت رؤيا العين، لا رؤيا الخيال، وكأنهما أمامنا حاضران، نكاد نسمع صوتهما يبتهلان بالدعاء، فنغمة الدعاء، وموسيقى الدعاء، وجوّ الدعاء ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ﴾ كل هذه الأجواء وكأنها حاضرة تقع اللحظة حيّة شاخصةً متحركة، فهذه إحدى خصائص التعبير القرآني الجميل، ردّ المشهد الغائب الذاهب حاضراً يُسمع ويرى، ويتحرك ويشخص، وتفيض منه الحياة، إنها خصيصة (التصور الفني) بمعناه الصادق، اللائق بالكتاب الخالد، وفي ثنايا الدعاء أدب النبوة، وإيمان النبوة، وشعور النبوة بقيمة العقيدة في هذا

الوجود، وهذا كلّه يريد القرآن أن يعلّمة لورثة الأنبياء وأن يعمّقهُ في قلوبهم ومشاعرهم.

سؤال ٥:

من خلال دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يتضّح لنا أنّ طابع الأمّة المسلمة هو التضامن كيف ذلك؟

نعم.. إنّه التضامن، تضامن الأجيال في العقيدة، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسۡلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة:١٢٨] وهي دعوة تكشف عن اهتمامات القلب المؤمن، إنّ أمر العقيدة هو شغله الشاغل، وهو همّهُ الأول، وشعور إبراهيم وإسماعيل بقيمة النعمة التي أسبغها الله عليهما يدعوان الله ألا يحرم ذرّيتهما هذا الإنعام الذي لا يكافئه إنعام، لقد دَعَوا الله أن يرزق ذريتهما من الثمرات ولم ينسيا أن يدعواه ليرزقهم من الإيمان، وأن يريهم جميعاً مناسكهم، ويًبين لهم عباداتهم وأن يتوب عليهم، بما أنّه هو التواب الرحيم وكانت الاستجابة لدعوتهما هي بعثة النبي ﷺ بعد قرون وقرون من ذريتهما، فالدعوة المستجابة تُستجاب ولكنّها تتحقق في أوانها الذي يقدره الله بحكمته غير أن الناس يستعجلون وغير الواصلين يملُّون ويقنطون.

سؤال ٦:

بماذا أوصّى إبراهيم بنيه ويعقوب؟

ملّة إبراهيم هي: الإسلام الخالص الصّريح، ولم يكتف إبراهيم بنفسه إنما تركها في عقبه، وجعلها وصية في ذريته، ووصى بها إبراهيم بنيه، كما وصّى بها يعقوب بينه ثم إن بني إسرائيل لا يُلبّون وصيته ووصيّة جدّه وجدّهم إبراهيم، تلك الوصية التي كرّرها يعقوب في آخر لحظة من لحظات حياته، والتي كانت شغله الشاغل الذي لم يصرفه عنه الموت وسكراته.

وإنّ أقل ما توجبهُ رعاية الله لهم،واختياره لهم، وفضله عليهم هو:

١. الشكر على نعمة اختياره واصطفاءه.
٢. الحرص على ما اختاره لهم.
٣. الاجتهاد في: ألا يتركوا هذه الأرض إلا وهذه الأمانة محفوظة فيهم، ميتٌ يحتضر، فما هو الأمر الجللْ الذي يشغل باله ساعة الاحتضار، ويريد أن

يطمئن عليه ويستوثق منه؟ ما هي التركة التي يريد أن يخلّفها لأبنائه ويحرص على سلامة وصولها إليهم فيسلمها لهم في محضر يُسجل فيه كل التفصيلات؟ إنها العقيدة!! هي التركة، هي الذخر، وهي القضية الكبرى، وهي الأمر الجلل.

سؤال ٧:

ما هو الأمر الذي جمع يعقوب أولاده من أجله لحظة الموت والاحتضار؟

الأمر هو سؤاله لهم ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾، هذه هي القضية التي أراد يعقوب عليه السلام الاطمئنان عليها، وهذه هي التركة والذخر والأمانة والتراث ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ﴾ إنهم يتسلّمون التراث ويصونونه، ويطمئنون الوالد المحتضر ويريحونه، وظلت وصية إبراهيم لبنيه مرعيةٌ في أبناء يعقوب، وكذلك هم ينصّون نصاً صريحاً على أنهم مسلمون، وهذا الذي كان يشهد به الله، ويُقرّره، ويقطع به كل حجّة لهم في التمويه والتضليل، ويقطع به كل صلة حقيقية بينهم وبين أبيهم إسرائيل.

سؤال ٨:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ فهل هناك مجالٌ للصلة بين السابقين واللاحقين؟

في ضوء التقرير السابق يظهر الفرق الحاسم بين الأمة التي خلت، وبني إسرائيل الجيل الذي كانت تواجهه الدعوة حيث لا مجال لصلة، ولا بوراثة، ولا نسب، فلكلٍ حساب، ولكلٍ طريق، ولكلٍ عنوان، ولكلٍ صفة، أمة المؤمنين لا علاقة لها بأعقابها الفاسقين، إنّ هذه الأعقاب ليست امتداداً لتلك الأسلاف، هؤلاء حزب وهؤلاء حزب، لهؤلاء رايةٌ، ولأولئك راية. فالتصور الإسلامي يفرق بين جيل مؤمن وجيل فاسق فليسا أمةً واحدة، وهذا هو التصور اللائق بالإنسان الذي يستمّد إنسانيته من نفحة الروح العلوية لا من التصاقات الطين الأرضية.

سؤال ٩:

ما هي الوحدة الكبرى التي بين الرسالات جميعاً وبين الرُسل جميعاً.

إنّها قاعدة التصور الإسلامي، وإنها الوحدة الكبرى للدين، تلك القاعدة:

١. هي التي تجعل من الأمة المسلمة: الأمة الوارثة لتراث العقيدة القائمة على دين الله في الأرض.
٢. وهي التي تجعل من النظام الإسلامي: النظام العالمي الذي يملك الجميع الحياة في ظله دون تعصُّب ولا اضطهاد.

٣. وهي التي تجعل من المجتمع الإسلامي: مجتمعاً مفتوحاً للناس جميعاً في مودة وسلام.

سؤال ١٠:

﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾ ما هي الحقيقة الكبرى التي تُقرّرها الآية الكريمة؟

حقيقة أنّ هذه العقيدة هي الهدى من اتبعها فقد اهتدى، ومن أعرض عنها فلن يستقر على أصل ثابت، "فقد اهتدوا" هذه الكلمة من الله، وهذه الشهادة منه سبحانه، تسكب في قلب المؤمن الاعتزاز بما هو عليه، فهو وحده المُهتدي ومن لا يؤمن بما يؤمن به فهو المُشاقّ للحق، المُعادي للهدى، ولا على المؤمن من شقاق مَنْ لا يهتدي ولا يؤمن، ولا عليه من كيده ومكره، ولا من جداله ومعارضته، فالله سيتولاهم عنه، وهو كافيه، وحسبه.

سؤال ١١:

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾؟ تبرز في الآية الكريمة سمة من سمات التعبير القرآني ذات الدلالة العميقة، وضحها كما يراها سيدٌ؟

إنّ صدر هذه الآية من كلام الله التقريري "صبغة الله، ومن أحسنُ من الله صبغة" أمّا باقيها فهو كلام المؤمنين، يُحلقه السياق بلا فاصل بكلام البارئ سبحانه، وكلّه قرآنٌ منزل، ولكن الشطر الأول حكاية عن قوله الله، والشطر الثاني حكاية عن قول المؤمنين، وهو تشريفٌ عظيم أن يلحق كلام المؤمنين بكلام الله في سياقٍ واحد، بحكم الصلة الوثيقة بينهم وبين ربّهم، وبُحكم الاستقامة الواصلة بينه وبينهم، وأمثال هذا في القرآن كثير، وهو ذو مغزىً كبير.

سؤال ١٢:

أشار ابن كثير إلى فائدة دعويّة تربويّة مهمة جداً ضمن الآية الكريمة ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ فما هي تلك الفائدة؟

[لن يكون الداعية إماماً يُقتدى به في التوحيد إلا بعد أن يقوم بما كلفه الله تعالى به من الأوامر والنواهي] فإبراهيم عليه السلام وفَّى جميع ما شُرع له فعمل به صلوات الله وسلامه عليه، فقام بالكلمات على أتمّ وجه، فجزاءً على

ما فعل، كما قام بالأوامر وترك الزواجر، جعله الله للناس قدوةً وإماماً يُقتدى به ويحتذى حذوه.

سؤال ١٣:

لابن كثيرٍ لفتة طيّبة في قوله تعالى ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ما هي؟

لما جعل الله إبراهيم إماماً سال الله أن يكون الأئمة من بعده من ذريته فأُجيب إلى ذلك، والويل على أنه أجيب إلى طلبه قوله تعالى في سورة العنكبوت ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ فكل نبيٍ أرسله الله، وكل كتابٍ أنزله الله بعد إبراهيم ففي ذريته عليه السلام، وأخبر أنه سيكون من ذريته ظالمون ولن ينالهم عهد الله ولا يكونون أئمة فلا يقتدى بهم. واختلفوا في الظالمين فمن هم في معنى الآية:

١. قال مجاهد: إنه سيكون في ذريّتك ظالمون.
٢. وقال: لا يكون لله إمام ظالم.
٣. وقال: لا يجعل الله إماماً ظالماً يقتدى به.

سؤال ١٤:

ما معنى ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ كما يراها ابن كثير؟

مضمون ما فسّر الأئمة به هذه الآية ان الله تعالى يذكر شرف البيت وما جعله موصوفاً به شرعاً وقدراً من كونه مثابةً للناس: أي مجمعاً، ومحلاً تشتاق إليه الأرواح وتحنُّ إليه، ولا تقضي منه وطراً، ولو ترددت إليه كل عام، استجابةً منا لله تعالى لدعاء خليله إبراهيم عليه بل ازددت شوقاً إليه وولعاً به، وجعله أمناً: من العدو وأن يحمل فيه السلاح، وقد كانوا في الجاهلية يُتخطف الناس من حولهم وهم آمنون لا يُسْبَوْن، فمن دخله آمن، ولو كان قد فعل ما فعل ثم دخله كان آمناً، ويجد أحدهم قاتل أبيه في الحرم فلا يُهيّجه، فلما جاء الإسلام زاده حُرمةً وتعظيماً وتشريفاً وتكريماً.

سؤال ١٥:

أين كان مكان مقام إبراهيم عليه السلام قديماً، وأين هو مكانه اليوم؟

كان هذا المقام مُلصقاً بجدار الكعبة قديماً، واليوم مكانه معروفٌ إلى جانب الباب مما يلي الحجر يمنة الداخل من الباب في البقعة المستقلة هناك، وكان الخليل

عليه السلام لما فرغ من بناء البيت وضعه إلى جدار الكعبة، أو أنه انتهى عنده البناء فتركه هناك. ولهذا والله أعلم أمر بالصلاة هناك عند الفراغ من الطواف وناسب أن يكون عند مقام إبراهيم حيث انتهى بناء الكعبة فيه، وإنما أخره عن جدار الكعبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي قال فيه رسول الله ﷺ: "اقتدوا باللذَيْن من بعدي أبي بكر وعمر" صحيح الجامع (١١٤٢) للألباني وقال حديث صحيح.

سؤال ١٦:

هل كان قبل بناء إبراهيم عليه السلام عند البيت شيءٌ من الأصنام والأوثان؟

أجاب ابن جرير بوجهين:

١. أمرهما الله بتطهيره مما كان يُعبد عند البيت زمن قوم نوح من الأصنام والأوثان ليكون ذلك سنّة لمن بعدهما إذ كان الله تعالى قد جعل إبراهيم إماماً يقتدى به.

٢. أمرهما الله سبحانه أنه يخلصا في بنائه لله وحده لا شريك له فيبنياهُ مُطهراً من الشرك والريب، على اسمه وحده لا شريك له، للطائفين به، والعاكفين عنده، والمصلين إليه، من الركع السجود.

القائمين.. و.. العاكفين

ذكرت الآية في سورة الحج ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الحج: ٢٦] وهنا في البقرة "للطائفين والعاكفين" وذلك أمر يقتضيه السياق..

العاكفين: هم المقيمين فيه.

قال عطاء: من انتابه من الأمصار فأقام عنده فهو من العاكفين.

وقال: من جاور الحرم من الغرباء فهو من العاكفين وقيل هم المُعتكفون فيه..

القائمين: هم المصلين إليه.

العكوف: الإقامة ولزوم المكان.. عكف على الشيء: أقبل عليه مواظباً.

لا يصرف وجه عنه.. والعكوف: الإقامة في المسجد وعدم الخروج منه إلا لحاجة..

وإن البيت إنما أسس لمن يعبد الله وحده لا شريك له إما [بطوافٍ أو بصلاةٍ] فذكرت الآية في سورة الحج أجزاء الصلاة الثلاثة (قيامها وركوعها، وسجودها) ولم يذكر العاكفين لأنّه تقدّمتها آية "سواءً العاكفُ فيه والباد" أصلها والبادِيُ لكن حذفت منها الياء لأنها اسم منقوص ممنوع من الصرف ومعناها: هو المقيم في البادية . كما ذكر الراغب الأصفهاني: [يقال للمقيم في البادية بادٍ].

وأما في سورة البقرة ذكرت الآية (الطائفين والعاكفين والركع السجود واكتفى بذكر الركوع والسجود عن القيام (القائمين))، لأنه قد علم أنه لا يكون ركوع ولا سجود إلا بعد قيام.

وقفات ولطائف:

الموتُ فاعلٌ مؤخّر

﴿إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ ﴾

يُلاحظ القارئ للقرآن، والناظر في آياته، أنّ الآيات التي تتحدث عن "الموت" تجعل الموت فاعلاً مؤخراً دائماً، والميت مفعولاً به مُقدماً دائماً.. والمفعول به هو الإنسان الذي مات..ولذلك حِكَمٌ:

أ- الموت هو الفاعل لأنه هو الذي يأتي للإنسان الذي انتهى أجله، فيكون هو في موضوع الحضور والإتيان المجيء.

ب- تأخير الفاعل وهو "الموتُ" وتقديم المفعول به "الميت" عليه دائماً لكراهية الإنسان للموت وعدم محبته قدومه..

ج- إن الموت مُؤخر عن شعور الإنسان وتفكيره، وقد راعى السياق هذه الرغبة النفسية البشرية فأخَّره في الجملة القرآنية.

د- إن الموت هو الذي يأتي لصاحبه، وليس صاحبه هو الذي يسيرُ إليه، فأسند الحضور والإتيان إليه.

الوصيّة الأخيرة للأب

أشار ابن كثير إلى فائدة أُخروية دينية في معنى الآية ﴿ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾:

أي أحسنوا في حال الحياة والزموا هذا ليرزقكم الله الوفاة عليه فإن المرء يموت غالباً على ما كان عليه، ويبعث على ما كان عليه، ويبعث على ما مات عليه، وقد أجرى الله الكريم عادته بأنّ من قصد الخير وفق به، ويسر عليه، ومن نوى صالحاً ثبت عليه.

فإنّ إبراهيم ويعقوب عليهما السلام لحرصهما على الإسلام ومحبتهما له حافظا عليه إلى حين الوفاة ووصَّيا أبناءهم به من بعدهم. كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾. وهي حرصهم على نقل أمانة الاستخلاف من الآباء إلى الأبناء والذريّة.

سؤال ١٧:

ما الحكمة من ابتلاء الله تعالى لإبراهيم عليه السلام؟

كما هي عادة الله في ابتلائه لعباده، ليتبين الكاذب الذي لا يثبت عند الابتلاء والامتحان، من الصادق الذي ترتفع درجته، ويزيد قدره،ويزكو عمله، ويخلص ذهبه، وكان من أجلهم في هذا المقام الخليل عليه السلام، فأتم ما ابتلاه الله به، وأكمله ووفاه فشكر الله له ذلك، ولم يزل الله شكوراً فقال "إني جاعلك للناس إماماً" أي يمشون خلك إلى سعادتهم الأبدية، ويحصل لك الثناء الدائم، والأجر الجزيل، والتعظيم من كل أحد، وهذه أفضل درجة تنافس فيها المتنافسون، وأعلى مقام شمرّ إليه العاملون وأكمل حالة حصلها أولو العزم من المرسلين.

لطيفة قرآنية:

أضاف الباري البيت إليه {بَيْتِيَ} لفوائد منها:

١. أنّ ذلك يقتضي شدة اهتمام إبراهيم وإسماعيل بتطهيره لكونه بيت الله، فيبلذان جهدهما، ويستفرغان كل وسعهما في ذلك.
٢. أنّ الإضافة تقتضي التشريف والإكرام. ففي ضمنها أمر عباده بتعظيمه وتكريمه.
٣. أن هذه الإضافة هي السبب الجاذب للقلوب إليه.

لفتة طيبة:

أشار العلامة السعدي إلى لفتة جميلة في دعاء الخليل عليه السلام.

كان دعاء إبراهيم عليه السلام الأول (ومن ذريتي) فدعاؤه هذا فيه الإطلاق، فجاء جواب الله له مقيداً بغير الظالم (قال لا ينال عهدي الظالمين) أما عندما دعا إبراهيم بالمرة الثانية بالرزق قيّده بالمؤمن ﴿وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ﴾ وهذا أدباً مع الله، فكان رزق الله شاملاً للمؤمن والكافر والعاصي والطائع، قال تعالى (ومن كفر) أي: أرزقهم كلهم مسلمهم وكافرهم، أما المسلم فيستعين بالرزق على عبادة الله، ثم ينتقل منه إلى نعيم الجنة، وأما الكافر فيتمتع فيها قليلاً (ثم أضطره) أي الجنة وأُخرجه مكرهاً (إلى عذاب البار وبئس المصير).

سؤال ١٨:

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ تشير إلى مفارقة كبيرة بين القول المجرد، والقول المقترن به عمل القلب، وضّحْ ذلك؟ ولماذا قرن الفعل (آمن) بـ (نا) الدالة على الجماعة؟

قولوا: بألسنتكم متواطئة عليها قلوبكم، وهذا هو القول التام المترتب عليه الثواب والجزاء، فكما أن النطق باللسان بدون اعتقاد القلب نفاق وكفر، فالقول الخالي من العمل (عمل القلب) عديم التأثر، قليل الفائدة، وفي قوله تعالى "قولوا"، إشارة إلى الإعلان بالعقيدة.

وفي قوله تعالى ﴿ءَامَنَّا﴾ صدور الفعل منسوباً إلى جميع الأمة، إشارة إلى أنه يجب على الأمة الاعتصام بحبل الله جميعاً والحث على الائتلاف حتى يكون داعيهم واحداً، وعملهم متحداً، وفي ضمنه النهي عن الافتراق، وفيه أن المؤمنين كالجسد الواحد.

سؤال ١٩:

﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ فيها دلالات واضحات ما هي؟

١. دلالة على أن عطية الدين هي العطيّة الحقيقية المتصلة بالسعادة الدنيوية والأخروية.
٢. لم يأمرنا الله سبحانه أن نؤمن بما أوتي الأنبياء من الملك والمال ونحو ذلك بل أمرنا أن نؤمن بما أعطوا من الكتب والشرائع.

٣. أن الأنبياء مبلغون عن الله ووسائط بين الله وبين خلقه في تبليغ دينه، ليس لهم من الأمر شيء.
٤. إشارة إلى أن من كمال ربوبية الله سبحانه لعباده أن ينزل عليهم الكتب، ويرسل إليهم الرسل، فلا تقتضي ربوبيته تركهم سدىً ولا هملاً، بل يحسن إليهم بالنعم الدينية المتصلة بسعادة الدنيا والآخرة.
٥. وإذا كان ما أوتي النبيون إنما هو من ربهم ففيه الفرق بين الأنبياء وبين كل يدعي النبوة، فالرسل لا يدعون إلا لخير، ولا ينهون إلا عن كل شر، وكل واحدٍ منهم يصدق الآخر، ويشهد له بالحق، من غير تناقض ولا تخالف لكونه من عند ربهم.

يقول العلامة السعدي: اشتملت هذه الآية ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ ...﴾ على إيجازها واختصارها على أنواع التوحيد الثلاثة:

١. توحيد الربوبية.
٢. توحيد الألوهية.
٣. توحيد الأسماء والصفات.

كما اشتملت على جميع ما يجب الإيمان به. وعلى التخصيص الدال على الفضل بعد التعميم، وعلى التصديق بالقلب واللسان والجوارح والإخلاص لله في ذلك.

سؤال ٢٠:

لم تكررت الآية مرتين ﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾؟

وذلك لقطع التعلُّق بالمخلوقين، وأن المعوّل عليه هو ما اتصف به الإنسان لا عمل أسلافه وآبائه، فالنفع الحقيقي بالأعمال، لا بالانتساب المجرد للرجال.

سؤال ٢١:

هناك محاجّة في الله من المشركين، ومحاجّة في رسل الله، وضّحْ المُحاجَّتان وما معنى المُحاجَّة؟

المحاجّة الأولى:

كان أهل الكتاب يزعمون أنهم أولى بالله من المسلمين، وهذه دعوى تفتقر إلى البرهان والدليل، فإذا كان رب الجميع واحداً، ليس رباً لكم دوننا، وكلٌ منا

ومنكم له عمله، فاستوينا نحن وإياكم بذلك،فهذا لا يوجب أن يكون أحد الفريقين أولى بالله من غيره، لأن التفريق مع الاشتراك في الشيء من غير فرقٍ مؤثر دعوى باطلة، وإنما يحصل التفصيل بإخلاص الاعمال الصالحة لله وحده، وهذه الحالة وصف المؤمنين وحدهم، فتعيّن أنهم أولى بالله من غيرهم لأن الإخلاص هو الطريق إلى الخلاص، فهذا هو الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ففي هذه الآية "قل أتحاجوننا في الله" إرشادٌ لطيف لطريق المُحاجة وأن الأمور مبنية على الجمع بين المتماثلين والفرق بين المختلفين.

المحُاجّة الثانية:

زعموا أنهم أولى برسل الله المذكورين من المسلمين في الآية ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾ فـــــردّ الله عليهم ﴿ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ فالله يقول: " ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً" وهم يقولون بل كان يهودياً أو نصرانياً، فإمّا أن يكونوا هم الصادقين، أو يكون الله تعالى هو الصادق، فأحد الأمرين متعين لا محالة، وصورة الجواب في الآية متهم، وهو في غاية الوضوح والبيان، حتى أنه من وضوحه لم يحتج أن يقول: بل الله أعلم وهو أصدق، لانجلائه لكل أحد، وهذا يعرفه كل من له أدنى عقل حتى إنهم بأنفسهم يعرفون ذلك، فكتموا هذا العلم وهذه الشهادة لهذا فإن ظلمهم أعظم الظلم.

تعريف المحاجّة:

هي المجادلة بين اثنين فكثر، تتعلق في المسائل الخلافية، حتى يكون كل من الخصمين يريد نصرة قوله وإبطال قول خصمه، فكل واحد منهما يجتهد في إقامة الحجّة على ذلك، والمطلوب منها: أن تكون بالتي هي أحسن، بأقرب طريق يرد الضال إلى الحق ويبين الباطل، فإن خرجت عن هذه الأمور، كانت مماراة ومخاصمة لا خير فيها، وأحدثت من الشر ما أحدثت.

لطائف لغوية:

يقول الراغب الأصفهاني في "مفردات غريب القرآن":

- ذُريّة: أصلها الصغار من الأولاد، وإن كان قد يقع على الصغار والكبار معاً في التعارف، ويستعمل للواحد والجمع، وأصله الجمع. وفيها أقوال:

١. من ذرأ الله الخلق ذُريئة، فأبدلت همزته ياء ثم أدغمت بالياء أصبحت ذريّة كبريّة ورويّة "ولقد ذرأنا".
٢. قيل أصله ذُرْوية على وزن فعليّة "قال ومن ذريتي".

- الركوع: الانحناء.. فتارةً يستعمل في الهيئة المخصوصة للصلاة كما هي وتارةً في التواضع والتذلل إما في العبادة أو في غيرها.

خُلاصة التجارب الثلاث

يُلاحظ في الربع الثامن والأخير من الجزء الأول: تجربة سيدنا إبراهيم عليه السلام الناجحة في الاستخلاف. وسيدنا إبراهيم عليه السلام جعله الله خليفةً في الأرض ويكون الترتيب هذا منطقياً، فبدأ بآدم التجربة الأولى وختم بالتجربة الناجحة لرفع المعنويات وبينهم التجربة الفاشلة، للتعلُّم من الأخطاء السابقة وأخذ الدروس والعبر.

يُلاحظ أنّ سيدنا إبراهيم عليه السلام لم ينجح في الامتحان نجاحاً عادياً بل (أتمَّهنَّ) أي قام بهنَّ خير قيام، فلما أتمّ هذه الابتلاءات (تحدّي الأب، تحدّي القوم، الرمي في النار، الهجران وترك الولد في الصحراء، ذبح الولد) أخبره الله سبحانه أنّه سيجعله للناس إماماً (الاستخلاف) لأنه قد أطاع الله تعالى.

وفي الختام جاء حرص سيدنا يعقوب على نقل أمانة الاستخلاف من آبائه إبراهيم وإسحق إلى أبنائه وذريته بني إسرائيل.

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما علاقة القصص الثلاثة (آدم عليه السلام – بني إسرائيل- إبراهيم عليه السلام) ببعضها البعض؟

إنّ العامل المشترك هو أن كل هذه القصص اختبار للطاعة، فجرى اختبار آدم عليه السلام بالأكل من الشجرة، وبني إسرائيل في ذبح البقرة، وخضع إبراهيم عليه السلام لاختباراتٍ كثيرة في طاعة الله عزَّ وجلَّ فأتمّها ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ﴾ [البقرة: ١٢٤].

فبعد أن أخبرنا عن أحوال الأمم السابقة وأراد رسم المنهج لهذه الأمة، كانت أولى مقوّمات المنهج هي الأمر بالطاعة، فالله تعالى لم يقصّ علينا القصص إلاّ لحكمة، وهي ترسيخ مفهوم الطاعة عند الأمة المسؤولة عن الأرض، فجاءت حادثة تغيير القبلة كامتحان عملي. ولذلك كانت الآية (١٤٣) واضحة جداً في بيان هذا المعنى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ

ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة:١٤٣].

وقد يظن البعض أن المسألة كانت سهلة لكنّ الواقع غير ذلك، فالعرب كانت تُقدّس الكعبة من عهد سيدنا إبراهيم، فجعل الله قبلة المسلمين لبيت المقدس، ثم جعل الأمر بالاتجاه للكعبة مرة ثانية، طاعة لله.

ويُلاحظ أنه جاء الربع السابع مهّد لفكرة النسخ ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ﴾ - وهو تغيير الأحكام - في بدايته، ثمّ يأتي الربع الثامن ليتحدث عن بناء الكعبة ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ﴾، وكانت آخر حلقات السلسلة بيان أن نسخ الحكم سيكون بتغيير اتجاه القبلة، فانظر إلى جمال ترابط الآيات ببعضها.

وهنا نتذكر دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام في آخر الجزء الأول من السورة ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ فكان التفصيل في أحكام الحج في الآيات (١٩٦-٢٠٠) استجابة لدعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام في الآية (١٢٨).

كما يُلاحظ أمر هام، وهو أنّ أركان الإسلام الخمسة لم تأتِ مُفصّلة ومُجتمعة في أي سورة من سور القرآن كما في سورة البقرة.

كما يلاحظ تمييز الأمة في مصطلحاتها عن الأمم الأخرى ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا﴾[البقرة:١٠٤] فهي اختبار للطاعة، وأمر بالتمييز عن الآخرين بالمصطلحات. فلا بُدّ من أن يأتي الأمر بالتمييز عن طريق تغيير اتجاه القبلة ليتميّز المسلمون فلا يشعروا بالتقليد والتبعيّة للأمم الأخرى حيث كان اليهود يُصلّون باتجاه بيت المقدس، فأمر المسلمون بمخالفتهم والتوجُه للكعبة. وكأنّ الرسالة هنا: كيف تُستخلف أمة على هذه الأرض وهي ليست متميزة عن غيرها؟!

ولذلك تأتي في هذا الربع آية هامّة في رسم المنهج ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] ، فأنت مُنتمٍ إلى أمّة مُتميّزة: تخيّل أنّك أنت ستشهد على البشرية التي تعاصرها، وأنت ستقول يوم القيامة أين الحق وأين الضلال، فتأمّل حجم المسؤوليّة المُلقاة على عاتقك يوم القيامة.

أسئلة شاملة

١. بعد قراءة قوله تعالى ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢٢] اقتنصي من تفسير ابن كثير بعض الفوائد التي ذكرها ابن كثير رحمه الله في الدلالة على ما أبدعه الله سبحانه في السماوات والأرض؟

٢. ذكر سيدٌ العبقريُّ الشهيد الحي كثيراً من الإيحاءات المستفادة من قصّة آدم عليه السلام. اذكريها.

٣. الآية الكريمة ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة:٤٤]:

أ- لمن توجّه الخطاب في الآية.

ب- ما المقصود بالناس؟

ج- ما غرض الاستفهام في (أتأمرون)، وفي (أفلا تعقلون)؟

د- ما دلالة التبعير بِـ (البر)؟

هـ- ما دلالة التعبير بِـ (وتنسوْن أنفسكم)؟

و. تضمّنت الآية أحكاماً في غاية الأهمية. استنتجي اثنين منها؟

٤. الآية الكريمة: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة:٤٨]:

أ- ما علاقة الآية بما قبلها؟

ب- ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا﴾؟

ج- ما فائدة التنكير في (يوماً)؟

د- إلى ماذا يعود الضمير في (منها)؟

هـ- تضمّنت الآية الكريمة الاحتمالات الممكنة التي يستعين بها من وقع في مكروهٍ، ما الاحتمالات الممكنة؟ وما سرُّ الترتيب وتقديم الشفاعة على العدل في الآية؟

٥. لصاحب "الظلال" تعقيبٌ جميل على الآية الكريمة السابقة. بيّن أهميته ودلالته، ووضّحه؟

٦. لسـيد وقفـة مهمـة عنـد قولـه تعـالى: ﴿فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة:٤٩]، اذكري ما اتحفنا بـه سيدٌ من توسيعٍ لدائرة الفهم في معنى (يسومونكم)؟
٧. لسيدٌ تعقيبٌ جميل في ضرورة المطابقة بين القول والفعل. لخص أبرز ما جاء في الآية (أتأمرون) من دروس دعوية وفوائد تربوية؟
٨. ماذا تفيدي من كلام سيّدٌ: إنّ الكلمة لتنبعث ميّتة، وتصل هامدة، مهما تكن رنّانة مُتحمّسة، إذا هي تنبعث من قلبٍ يؤمنُ بها)؟
٩. قـال تعـالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة:٥٧]:
أ- ما وجه المناسبة لما قبلها من الآيات؟
ب- ما معنى المنّ والسلوى. وما الذي رجّحهُ ابن كثير في معناها.
ج- هنـاك وجـوه مـن الإعجـاز العلمـي فـي (تظليـل الغمـام) و(إنـزال المـن والسلوى) دون غيرها من أصناف الغذاء. هاتِ بعض صوره.
د- ماذا يفيد الأمر في (كُلوا)؟
هـ- ذكر ابن كثير أنه من خلال هذه الآية تبين فضيلة أصحاب محمد ﷺ ما الذي قصده ابن كثير هنا؟
١٠. ما الذي رجّحه ابن كثير في كلٍّ من:
أ- اهبطوا مصراً.
ب- معنى الصابئين.
ج- معنى الطور.
د- من هم القردة الخاسئين.
ه- من هم الأُميّون.
و- معنى وأحاطت به خطيئته.
ز- وإنّ منها لما يهبط من خشية الله.
ح- فقُلنا اضربوه ببعضها.
١١. فسّر قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة:١٠٢] إلى آخر القصة تفسيراً تحليلياً.
١٢. ما المعاني والدلالات المستفادة من الكلمات والجمل التالية:
أ- وادخلوا الباب سُجّداً.

ب- وقولوا حطةٌ.
ج- وإذ استسقى.
د- (فانفجرت منه) (فانبجست) بالأعراف.
ه- وضُربت عليهم الذلة والمسكنة.
و- لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون.
ز- فذبحوها وما كادوا يفعلون.
ح- وقالوا قلوبنا غلف.
ط- يودُ أحدهم لو يُعمَّر ألف سنة.
ي- فهي كالحجارة أو أشدُ قسوة.
واذكر تعقيب سيّد قطب على كلٍّ منها.

١٣. بعد قراءة ما ذكره سيد من خلال سورة الفاتحة استخلص كليّات التصوّر الإسلامي المبثوثة في السورة (ثلاثة فقط).
١٤. تحدّث سيد بشيء من التفصيل حول علاقة الهجرة النبويّة الشريفة ومجتمع
١٥. المدنيين الأول بتنزُّل سورة البقرة وضّحْ ذلك في ثلاثة أسطر.
١٦. ما الذي قصده سيد حينما أكد أن المهاجرين سواءً في الحبشة أو غيرها لم يكونوا من الضعفاء؟
١٧. حاول سيد رحمه الله أن يستخلص أسباب العداوة المحمومة التي شنَّها اليهود على المجتمع المسلم منذ بداية الأمر فما هي؟
١٨. لسيدٍ وقفة مُوفّقة في الربط بين بداية وختام سورة البقرة من فضلك شيء من التوضيح بسطرين فقط.
١٩. التفت صاحب "الظلال"التفاتة طيّبة لطيفة في حديثه عن (الم) والحروف المقطعة أوائل السور ما هي؟
٢٠. جاء التعبير في سياق الحديث عن صفات المتقين {**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**} بالإنفاق لا بالزّكاة فهل من أسرار يمكن تلمُّسها بسطرين فقط.
٢١. عرف سيد التقوى تعريفاً لطيفاً رقيقاً.
٢٢. يُلحظ أن الحديث عن فئة المنافقين كان أكثر تفصيلاً وتشخيصاً من غيرهم وضّحْ ذلك.
٢٣. في التذوُّق الجمالي:
أ- بعد قراءتك المُتأنيّة في الظلال اكتبي بعض العبارات والألفاظ التي لاقتْ لديك استحساناً وجمالاً (أربع أسطر).

ب- أحسن ابن كثير في توضيح المثلين المائي والناري: وضّحْ كل مثل على حدة، وكيف فرّق رحمه الله بينهما.

ج- ختم ابن كثير حديثه في تفسيره الربع الأول بفذلكة رائعة ذكر فيها طوائف الخلق اذكرها؟

الكلمات القرآنية التي ورد فيها الخلاف عند القُرّاء والرُّواة في الفاتحة والجزء الأول من البقرة

مالك: قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف (مالك)، والباقون الستة على القراءة الثانية: (مَلِك).

الصراط: فيها ثلاث قراءات: بالصاد، وبالسين سراط، وبالصاد المُشمّة صوت الزاي. وذلك بمزج صوت الصاد بالزاي حيث يتولّد منها حرف ليس بصاد ولا بزاي، ولكن يكون صوت الصاد متغلباً على صوت الزاي. وهذا يحتاج إلى تلقٍّ ومشافهةٍ على أيدي المشايخ المُتقنين لهذا العلم.

وما يَخْدعون: قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: (وما يُخادعون) على وزن (يُفاعلون). وقرأ الباقون السبعة: (وما يخدعون) على وزن يفعلون.

بما كانوا يكذبون: قرأ الكوفيون الأربعة عاصم وحمزة والكسائي وخلف: (يَكذبون) بالتخفيف على وزن (يَفْعلون) وقرأ الباقون الستة: (يُكذِّبون) بالتثقيل على وزن (يُفَعّلون).

قِيل: قرأ بالإشمام هشام والكسائي ورويس؛ أي قارئ واحد وراويان، والباقون سبعة قُراء وراويان بالكسرة الخالصة للقاف. وكيفية الإشمام هنا: أن تُحرّك أول حرفٍ في الفعل وهو القاف بحركة مركّبة من حركتين، ضمّة وكسرة، وجُزء الضمّة مقدّم وهو الأقل، وعليه جزء الكسرة وهو الأكثر. ويُبدأ بالكلمة بضم الشفتين فيها ثم فردهما للنطق بالياء. ويكون تعريف الإشمام هنا عبارة عن خلط حركة بحركة.

ثم إليه تُرجَعون: قرأ يعقوب فقط: (تَرْجِعون) على أنه فعلٌ مبنيٌ للمعلوم، وانفرد بهذه الكيفيّة. أمّا باقي القراء التسعة يقرؤونها (تُرْجَعون) على وزن (تُفعَلون) على أنه فعل مضارع مبني للمجهول، والواو فيه ضمير متصل في محل رفع نائب فاعل.

وهُو: قرأ بإسكان الهاء ثلاثة قراء وراوٍ وهم: قالون وأبو عمرو والكسائي وأبو جعفر، والباقون القراء الستة وراوٍ قرؤوها بضمّ الهاء. وهكذا حكمه حيث ورد.

للملائكة اسجُدوا: للقراء التسعة. وقرأ جعفر بمفرده بضم التاء: (للملائكةُ اسجدوا)، وذلك بخلف عن ابن وردان راوي أبو جعفر الأول، والوجه الثاني لابن وردان إشمام كسرة التاء الضم، والمُراد بالإشمام مزج حركة الكسر مع حركة الضمّ.

فأزلّهما: للقراء التسعة. وقرأ حمزة بمُفرده: (فأزالهما).

آدمُ من ربه كلماتٍ: للقراء التسعة حيث آدمُ: فاعل، كلمات: مفعول به، وقرأ ابن كثير بمُفرده: (آدمَ من ربه كلماتٌ): على أن آدمَ: مفعول به مقدّم، كلماتٌ: فاعل مؤخر مرفوع.

لا خوفٌ: للقراء التسعة. وانفرد يعقوب بقراءته: (لا خوفَ) على أنها اسم لا النافية للجنس.

لا يُقبل منها شفاعة: للقراء السبعة بالتذكر، وقرأ الثلاثة ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (لا تُقبلُ) بالتأنيث.

واعدنا: للقراء السبعة ومنهم عاصم، وقرأ الثلاثة أبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب (وَعَدْنا) من غير ألف على وزن (فعلْنا). أمّا قراءة الباقين فهي بألف المُشاركة على وزن (فاعلْنا).

نغفرْ لكم خطاياكم: للقراء السبعة ومنهم عاصم، وقرأ المدنيان نافع وأبو جعفر بتذكير الفعل ومبنيٌ للمجهول على وزن (يُفْعَلْ): (يُغفَرْ لكم)، وانفرد ابن عامر الدمشقي بتأنيث الفعل بالتاء ومبنيٌ للمجهول تُغفَرْ على وزن (تُفْعَلْ).

النبيّين: أصلها من "نبيء" فتبُدل الهمزة ياء ثم تدغم بالياء التي قبلها. وهذه قراءة التسعة رحمهم الله وانفرد الإمام نافع بقراءتها بالهمز وكل الباب النبيئين، النبوءَة، النبيءِ، الأنبئاء، وهكذا حيث ورد.

والصابئين: قراءة الهمز للقراء الثمانية ومنهم عاصم. وقرأ المدنيان نافع وأبو جعفر بحذف الهمز: (الصّابين).

هُزُواً: انفرد حفص رحمهُ الله في قراءة هذه الكلمة ومثلها (كُفُواً) بإبدال همزتها واواً إذْ الأصل فيها من [هَزَأَ وكَفأ] فضمَّ الحرف الذي قبل الواو وأبدل الهمزة واواً، وقرأ الباقون التسعة مع شعبة راوي عاصم الأول بالهمز:

(هزؤاً). ومنهم منْ ضمَّ الزاي ومنهم من أسكنها وكذلك الفاء في (كفؤاً). وهذه الكلمة من انفرادات حفص.

عمّا تعملون: بالتاء بالخطاب للقراء التسعة. وانفرد ابن كثير بقراءته بالغائب: (يعملون) بالياء.

أمانيَّ: بالتشديد للياء قراءة التسعة. وانفرد أبو جعفر بتخفيف الياء وذلك كل باب الأماني وحيث ما ورد.

وأحاطت به خطيئتُه: للقراء الثمانية ومنهم عاصم بالإفراد. وانفرد المدنيان نافع وأبو جعفر بقراءته بالجمع: (خطيئاتُه).

لا تَعبدون إلا الله: القراء السبعة بتاء الخطاب ومنهم عاصم، وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بياء الغائب: (يَعبدون) على وزن (يفعلون).

وقولوا للناس حُسْناً: للقراء الستة ومنهم عاصم على وزن (فُعْلا). وقرأ الأربعة حمزة والكسائي ويعقوب وخلف: (حَسَناً) بفتح الحاء وبفتح السين على وزن (فَعَلاً).

تظاهرون عليهم: بالتخفيف الكوفيون الأربعة ومنهم عاصم، وقرأ الباقون الستة بالتثقيل للظاء: (تظّاهرون عليهم).

أُسارى: على وزن فُعالى وذلك للقراء التسعة ومنهم عاصم، وانفرد حمزة بقراءته: (أَسْرى) على وزن (فَعْلَى) والمُفرد في كليهما (أسير).

تُفادوهم: كقراءة نافع وعاصم والكسائي وأبو جعفر ويعقوب وقرأ الباقون الخمسة: (تَفْدُوهم).

عمّا تعملون: بالتاء على الخطاب خمسة قراء مع حفص. وقرأ الباقون أربعة قراء مع شعبة (يعملون) بالياء على الغائب.

بروُح القُدُس: للقراء التسعة ومنهم عاصم بضم الدال، وانفرد ابن كثير بإسكان الدال. (القُدْس)

جِبْرِيل: قراءة حفص وخمسة قراء آخرين، كسر الجيم والراء وياء مديّة بعدها، وانفرد ابن كثير بفتح الجيم وكسر الراء وياء مديّة بعدها: (جَبْريل). وقرأ شعبة بخُلْف عنه وحمزة والكسائي وخلف: (لجَبْرئيل) بفتح الجيم

والراء وياء مدّية بعد الهمزة. وقرأ شعبة بوجهه الثاني بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة لكن من غير ياء مدّية بعدها.

ميكال: قراءة حفص وأبو عمرو ويعقوب. وفيها قراءة: (ميكائل) من غير ياء مدية بعد الهمزة، (وميكائيل) مع ياء مدّية بعد الهمزة.

ولكنَّ الشياطين: قراءة عاصم وخمسة قراء آخرين، على أن (الشياطينَ) اسم إنّ منصوب وعلامة نصبه الفتحة. (لكنَّ): حرف استدراك ونصب من أخوات إنَّ. والقراءة الثانية: و(لكنِ الشياطينُ). حيث إن لكنْ المخفّفة مُعلّقة عن العمل فلا تنصب الأول ولا ترفع الثاني؛ لأنه بعد التخفيف بَطُلَ عملها، و(الشياطينُ): مبتدأ مرفوع. وهذه قراءة القراء الأربعة الباقين.

ما نَنْسَخْ: قراءة التسعة ومنهم عاصم. وانفرد ابن عامر الدمشقي بقراءته ما نُنْسِخْ على وزن نُفْعِلْ ومجزوم بما الشرطية، وذلك بخلف عن هشام. والوجه الثاني لهشام كقراءة الباقين التسعة (نَنْسَخْ) على وزن (نَفْعَلْ) مجزوم أيضاً؛ لأنه فعل الشرط.

نُنْسِها: قراءة القراء الثمانية مجزوم جواب الطلب، ومنهم عاصم. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو، (نَنْسَأْها).

فثمَّ وجه: وقف رُويس بخُلف عنه بهاء السكت (فَثَمَّهْ) وقفاً فقط. والباقون يقفون على مرسوم الخط وهو حرف الميم المشدّد (فثَمْ).

كن فيكونُ: التسعة على أنه مضارع مرفوع. وانفرد ابن عامر الدمشقي (فيكونَ) بالنصب بأن المُضمرة وجوباً بعد فاء السببّية.

ولا تُسْأَلُ: قراءة القراء الثمانية على أنّه مبنيٌ للمجهول على وزن (تُفْعَلُ) وقرأ نافع ويعقوب (تَسْألُ) على وزن (تَفعل) مبنيٌ للمعلوم.

ابتلى إبراهيم: انفرد ابن عامر الدمشقي بقراءته: (إبراهام)، بخُلف عن ابن ذكوان والباقون التسعة قرأوا: (إبراهيم) بالياء.

واتَّخِذوا: قراءة الثمانية ومنهم عاصم. وقرأ نافع وابن عامر الدمشقي بفتح الخاء (واتخَذُوا).

فأُمَتِّعُهُ: بفتح الميم وتشديد التاء مكسورة للتسعة ومنهم عاصم على وزن (أُفَعِّلُ). وانفرد ابن عامر الدمشقي بإسكان الميم وكسر التاء مخففة على وزن: (أُفْعِلُ).

ووصَّى: قراءة السبعة ومنهم عاصم على وزن (فَعَّلَ). وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر: (وأوصى) على وزن (أَفْعَلَ).

فأَتَمَّهُنَّ: وقف يعقوب بهاء السكت بخلف عنه: (فأتمَّهُنَّهْ)؛ وذلك لأنها نون مشددة في جمع الإناث الغائب وذلك سواء اتصل به شيء أم لم يتصل. ووقف الباقون على نون مشدّدة لإتباع مرسوم الخط.

عهدي الظالمين: أسكن الياء حفص وحمزة فقط. والباقون الثمانية مع شعبة قرأوا بالفتح لياء الإضافة (عهديَ) وذلك وصلاً.

بيتيَ للطائفين: قرأ بالفتح نافع وهشام وحفص وأبو جعفر قارئان وراويان، وقرأ الباقون ستُ قراء وراويان بإسكان (بيتي). وهذا وصلاً. أما حال الوقف فالجميع بالإسكان..

أم تقولون: على وزن (تفعلون) بتاء المخاطب أربعة قراء وراويان منهم حفص. وقرأ الباقون أربعة أيضاً وراويان بالياء على الغائب (يقولون) على وزن (يفعلون).

خاتمة الكتاب

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: (حقيقٌ بالإنسان أن يُنفقَ ساعات عمره، بل أنفاسه، فيما ينال به المطالب العالية، ويخلُص به من الخُسران المُبين، وليس ذلك إلا بالإقبال على القرآن، وبفهمه وتدبُّره، واستخراج كنوزه، وإثارة دفائنه، وصرف العناية إليه، والعكوف بالهمّة عليه، فإنّه الكفيل بمصالح العباد في المعاش والمعاد، والموصل لهم إلى سبيل الرشاد، فالحقيقة، والطريقة، والأذواق، والمواجيد الصحيحة، كلّها لا تُقتبس إلا من مشكاته، ولا تُستثمر إلا من شجراته).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ربما طالعتُ على الآية الواحدة نحو مئة تفسير، ثم أسأل الله الفهم، وأقول يا مُعلّم إبراهيم علّمني)، وقال الإمام القرطبي: (مكث عمر بن الخطاب رضي الله عنه اثنتي عشرة سنة يتعلّم سورة البقرة فلما أتمّها نَحَر جَزُوراً شكراً لله)، وقال الإمام مالك رحمه الله: أنّ ابن عمر رضي الله عنهما ختم سورة البقرة في ثماني سنين.

والمقصود من هذين القولين دراسة أحكامها وليس حفظها، فإنّ القرآن الكريم يحتاج منّا الكثير من الجدّ والاجتهاد، وإنّ عظيم الهمّة لا يقنع إلا بالتقوى والعلم، وإنّ شعاره دائماً: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٢] فهذا هو الميزان والضابط عنده، فكلما زاد تقواهُ لله عزّ وجلّ علّمه الله أكثر وفتح عليه أبواب العلم والتعلُّم من حيث لا يدري، وإن تعسّرتْ يوماً ما عليه مسألة أو حفظٌ أو فهمٌ فليعلم أنه قد ابتعد عن مولاه، فلا يقنع بملء وقته بالطاعات، وإنّما يُفكر كيف لا تموتُ حسناته بموته، ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ [يس:١٢]، وإنّ الإنسان يكونُ وفيّاً لنسبه السماويّ يوم يُكدّسُ قلبهُ ولُبّهُ لله سبحانه.

ومَنْ تكُنِ العلياءُ همّةُ نفسِهِ ... فكُلُّ الذي يلقاهُ فيها مُحبَّبُ

فالعلم لا يُغني صاحبه عن الفهم، والفهمُ لن يُصلح الأجيالَ دون الوعي، والوعيُ ليس له قيمةٌ دون العمل بالعلم، فالعلمُ أصل الشجرة، والفهمُ غذاؤها، والوعيُ هو الشمس المُشرقة التي تزوّد الخلايا الخضراء بالنور والحرارة كي تُصبح قادرةً على اصطناع اليخضور الذي تحيا به، فالعلمُ شجرةٌ يُسقى بماء المذاكرة، وأربعٌ يسودُ فيها العبد: العلمُ، والأدبُ، والفقهُ، والأمانةُ.

واعلم أنّ صفاء القلب في أربع خصال: التواضع لله، والخوف من الله، والفقر إلى الله، والرجاء من الله.. ثمَّ بعد ذلك تأتي خطوات العلم الخمس وهي:

الصمت، والاستماع، والحفظ، والعمل، والنّشر. ولقد سُئل الإمام الشافعيّ رحمه الله: بمَ نِلْتَ العلم؟ قال: (بافتراش المِدَرْ (الحصير)، وطول السهر، والاستناد إلى الحجر).

بـيضُ الوجـوهِ إذا المواقـفُ أظْلمـتْ … ألفَيْتَهُم فـي الليـلِ مثـلَ الأنْجـمُ

وكما جاء في "جواهر الأدب":

العلـمُ زَيْـنٌ فكُـنْ للعلـمِ مُكتسباً … وكُنْ له طالباً ما عِشْتَ مُقْتَبِسا

ارْكُـنْ إليـهِ وثـقْ بـاللهِ واغـنَ بـهِ وكُـنْ … حليمـاً رَزِيـنَ العقـلِ مُحْتَرِسـا

وكُـنْ فتـىً سـالِكاً محـضَ التُّقـى ورِعـاً … للـدِّين مُغتنِمـاً للعلـمِ مُفترسـا

فَمَـنْ تخلَّـق بـالآدابِ ظـلَّ بهـا … رئيسَ قومٍ إذا ما فـارقَ الرُّؤسا

فيا أحبّتي.. لنقرأ القرآن ونفهمه ونتدبّره، بكل كياننا، حتى نكون مصاحف تمشي على الأرض، ونكون من أهله، الذين هم أهل الله وخاصّته، قال أحد الصالحين وهو يوصي ابنه: (يا بُنيَّ: اقرأ القرآن بكل خلايا جسمك حتى يمتزج بلحمك ودمك وعظمك، وتخيَّل أنّه أنزل عليك، فكيف تكون؟!).

اتـلُ المصـحفَ صُبْحاً عَصْراً … تعشـقُ روحُـك هـذا الـذِكرا

وأختمُ كتابي هذا بقول الله تعالى:

﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [يوسف:١٠١]

﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦﴾ [الأعراف: ١٩٦].

﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾}[هود:٨٨]

غفر الله لي ولوالديَّ ولأساتذتي وشيوخي وجميع المسلمين، وصلى الله على محمّدٍ وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

والحمد لله رب العالمين

قائمة المراجع

١. القرآن الكريم.
٢. آدم عليه السلام – محمد البهي الخولي.
٣. أساس البلاغة – الزمخشري.
٤. الإتقان في علوم القرآن – جلال الدين السيوطي.
٥. الأرض في القرآن – زغلول النجار.
٦. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير – الدكتور محمد أبو شهْبة.
٧. البحر المحيط – أثير الدين محمد بن يوسف بن حيّان الأندلسي.
٨. التحرير والتنوير – ابن عاشور.
٩. التسهيل لعلوم التنزيل – الإمام الحافظ أبي القاسم محمد بن جُزَيّ.
١٠. الجامع لأحكام القرآن والمُبيّن لما تضمنّه من السنة النبوية وآي الفرقان – محمد بن أحمد القرطبي.
١١. الحيوان في القرآن – زغلول النجار.
١٢. الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور – جلال الدين السيوطي.
١٣. السلوك – البهي الخولي.
١٤. السماء في القرآن – زغلول النجار.
١٥. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – محمود بن عمر الزمخشري.
١٦. الكشف والبيان عن تفسير القرآن – أبو إسحاق أحمد بن محمد النّيسابوري.
١٧. المُنطلق – محمد أحمد الراشد.
١٨. المحرّر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز – ابن عطيّة الأندلسي.
١٩. المعجم الوسيط – إبراهيم أنيس ورفاقه.
٢٠. الوسيط – الإمام النيسابوري.
٢١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل – ناصر الدين البيضاوي.
٢٢. تفسير القرآن العظيم – الحافظ عماد الدين ابن كثير.
٢٣. توحيد الخالق – عبد المجيد الزنداني.

٢٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان – العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي.
٢٥. جامع البيان في تأويل القرآن – ابن جرير الطبري.
٢٦. خواطر قرآنية – عمرو خالد.
٢٧. روح المعاني – والسبع المثاني – علاّمة الرافدين شهاب الدين محمود أبو الثناء الآلوسي.
٢٨. صحيح الجامع –محمد ناصر الدين الألباني.
٢٩. في ظلال القرآن – سيد قطب.
٣٠. قصص الأنبياء – عبد الوهاب النّجار.
٣١. قصص القرآن – د. فضل عباس.
٣٢. كلمات القرآن تفسير وبيان – حسنين مخلوف.
٣٣. المفردات في غريب القرآن – الراغب الأصفهاني.
٣٤. محاسن التأويل – الإمام القاسمي.
٣٥. مختار الصّحاح – محمد بن أبي بكر الرازي.
٣٦. مختصر تفسير ابن كثير – ابن كثير.
٣٧. معالم التنزيل – أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي.
٣٨. معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم – أنطوان الدحداح.
٣٩. معجم لغة النحو العربي – أنطوان الدحداح.
٤٠. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون – السمين الحلبي.
٤١. الوسيط في تفسير القرآن المجيد – محمد سيد طنطاوي.
٤٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم – الإمام محمد بن محمد أبي السعود العمادي.
٤٣. لطائف قرآنية – د. صلاح الخالدي.
٤٤. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل – د. فاضل صالح السامرائي..
٤٥. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) – محمد رشيد رضا.
٤٦. نظم الدُرر في تناسب الآي والسور – برهان الدين البقاعي.
٤٧. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني – د. فاضل صالح السامرائي.
٤٨. البحر المحيط– ابن حيان.

٤٩. المُيسَّر في القراءات الأربعة عشر – محمد فهد خاروف، ومحمد كريم راجح..
٥٠. التعبير القرآني – د. فاضل صالح السامرائي.
٥١. لسان العرب – ابن منظور.
٥٢. تصويبات في فهم بعض الآيات – د. صلاح الخالدي.

الفهرس